NYU BOBST LIBRARY
3 1142 04175574 8

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE
* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *	

108386

LB66/04/253-102

قضية ليبيا

بقلم

محمود الشنيطي

١٩٥١

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية

٩ شارع عدلي باشا : بالقاهرة

DT
235
.S5
1951

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

الإهـــداء

الى العاملين فى سبيل وحدة ليبيا واستقلالها

تصـــــــــــدير

اتجهت الأنظار منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى ليبيا والقضية الليبية وشغلت هذه القضية الأذهان فكانت موضع مساومات بين الدول الكبرى ومثار لهفة وترقب فى البلاد العربية ومحل خلاف بين أهل ليبيا أنفسهم .

وهذا كتاب حاولت فيه دراسة هذه القضية منذ مطلع القرن العشرين وسايرت تقلب مصائرها بين إهمال الأتراك وطغيان الطليان واحتلال بريطانيا وفرنسا حتى تفتحت لها الآمال فقررت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة منح ليبيا الاستقلال فى أول يناير سنة ١٩٥٢ .

وإذا كانت ليبيا قد راعت الشرق والعالم ببسالة أبنائها فى مقاومة الغزو الايطالى وانتزعت الأعجاب بحركة شهيدها الشيخ البطل عمر المختار ولقيت فى سبيل الحرية فناء نصف سكانها وهجرة الآلاف من أبنائها ، فإن الشرق والعالم ليتجه اليوم إلى أبناء أولئك الأمجاد ليحققوا للوطن الليبى مايرجى له من الحرية والوحدة والاستقلال .

أن ليبيا الموحدة المستقلة ضرورة تحتمها ظروف الشرق العربى الحالية ودعامة من أهم دعامات الاستقرار والأمن فيه ، وقرار هيئة الأمم المتحدة لا يعدو أن يكون وعدا ، وعلى الليبيين أن يتكاتفوا لتنفيذه ويفضحوا المؤامرات التى تحاك لتبديده .

هذه خطة الكتاب وتلك غايته ، وبقى فى عنق دين لمن سبقونى إلى الكتابة ولمن عاونونى بتقديم المعلومات أو مراجعة أجزاء من الكتاب ؛ فإذا كان فى الكتاب ما يحمد فأكثره راجع إلى هؤلاء ، أما القصور والأخطاء فتبعتها تقع على وحدى .

فهرست

صفحات

تصدير

تمهيد « ليبيا والقضية الليبية » ١ — ١٨

١ — أهمية قضية ليبيا ١

٢ — البلاد الليبية ٣

٣ — مراحل قضية ليبيا الحديثة ١٦

الباب الأول : « الحكم التركى والغزو الايطالى » ١٩ — ٦٣

الفصل الأول « الحكم التركى » ١٩

الفصل الثانى « السنوسية » ٣٣

الفصل الثالث « الغزو الايطالى » ٤٣

الباب الثانى : « كفاح ليبيا بين الحربين » ٦٤ — ١٥٤

الفصل الأول « بدء المقاومة » ٦٤

الفصل الثانى « المفاوضات » ٨٠

الفصل الثالث « استمرار المقاومة ـ عمر المختار » ٩٩

الفصل الرابع « الاستعمار الايطالى » ١٢٧

الباب الثالث : « ليبيا فى مفترق الطرق » ١٥٥

الفصل الأول « الليبيون والحرب العالمية الثانية » ١٥٥

الفصل الثانى « الاحتلال البريطانى والفرنسى » ١٧٥

الفصل الثالث « قضية ليبيا فى الميدان الدولى » ١٩٣

الفصل الرابع « تجدد الكفاح الوطنى فى طرابلس » ٢٥٢

الفصل الخامس « قرار الأمم المتحدة فى عام » ٢٩٦

ختام : « الموقف الآن »

خريطة ليبيا بآخر الكتاب

تمهيد

ليبيا والقضية الليبية

---

(١)

أهميـة قضية ليبيا

تعتبر قضية ليبيا من أهم القضايا الدولية فى هذه الأيام . ويرى المتتبع لأدوارها فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية ، ومنذ انتقلت إلى المحافل الدولية أن قضية هذا القطر قد أصبحت مظهرا من مظاهر تكتل الدول الغربية ورغبتها فى السيطرة على النقط الأستراتيجية فى الشرق الأوسط واستعمالها لأغراضها الحربية ، ويرى أنها فى عين الوقت مظهر من مظاهر النزاع بين هذه الدول نفسها يريد كل منها أن يستأثر فيهـا بالنفوذ أو يكون له من ذلك نصيب . فبريطانيا تسعى إلى السيطرة على برقه وإيطاليا ترنو إلى طرابلس وفرنسا قد وضعت يدها على فزان ووقفت أمريكا من وراء هذه الدول جميعا تؤكد حاجتها إلى القواعد الأستراتيجية وتأمين مصالحها البترولية خاصة وتلوح ببرنامج النقطة الرابعة . وقد تطورت سياسة هذه الدول منذ عام ١٩٤٥ بين سافرة وخافية حتى أنتهت هيئة الأمم إلى إقرار مبدأ أستقلال ليبيا فى عام ١٩٥٢ وتعيين مندوب لهـا يعاونه مجلس أستشارى فى فترة الأنتقال . ولـكن هذا القرار لايلغى الإدارة العسكرية البريطانية والفرنسية ولايسمح للمندوب أو للمجلس الأستشارى بالتدخل فى شئونهما .

وإلى جانب هذا الوجه من المشكلة نجد لها وجها آخر هو أن هذه الدول قد بدأت تساوم لتنفيذ أغراضها وتحاول أن توهم الناس فى ليبيا وفى الخارج بأنها ماضية فى منح هذه البلاد أستقلالها ، ولـكنه أستقلال ذاتى فى كنف الرعاية الأوروبية .

والوجه الثالث للقضية أننا نجد فى ليبيا شعباً قدبدأ مرحلة جديدة من مراحل كفاحه الطويل المرير فى سبيل المطالبة بحقوقه المشروعة فى الوحدة والاستقلال . ولـكن هذه الحركة لازالت فى مهدها وهى معرضة للتميع نتيجة الضغط الخارجى والمساومات فى الداخل .

ثم أن الوضع فى ليبيا يتصل اتصالا وثيقا باستقرار ما اصطلح على تسميته الشرق الأوسط ، وهو من اقصاه إلى اقصاه منطقة يشيع فيها الوعى الوطنى والرغبة المتوثبة إلى استكمال حقوقه . ولاشك أن هـذا الجانب من القضية الليبية يهم أبناء الشرق الأوسط جميعا على السواء .

وقضية ليبيا أخيرا تتصل اتصالا وثيقا بسلامة الوطن المصرى فان بيننا وبين ليبيا حدودا مشتركة تتحكم فينا من جهة الغرب وقد كابدنا أثر ذلك فى الحرب العالمية الأخيرة . إذ لم تعد الصحراء الفاصلة بيننا حاجزا يعوق الغزو .

(٢)

البلاد الليبية

تمتد ليبيا مسافة ١٩٠٠ ك . م تقريبا على الساحل الأفريقى الشمالى بين رأس أغادير وهى نقطة الحدود فى تونس غربا ، وبين بئر الرملة الواقعة شمال غرب السلوم المصرية بعشرة كيلو مترات تقريبا شرقا ، أى بين خطى طول ٩ إلى ٢٥ شرقا تقريبا .

وأقصى نقطة فى الشمال توازى خط عرض ٣٣ شمالا تقريبا ، وقدامتدت الأراضى جنوبا فى أثناء الاحتلال الإيطالى إلى مسافة بعيدة فى ١٩٣٠ - ١٩٣١ بناء على اتفاق مع فرنسا فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ نتيجة معاهدة سنة ١٩١٥ وأصبحت الحدود الغربية تمتد منحنية من غرب غدامس الى جنوب تمو ويدخل فيها غات . وبناء على الاتفاق مع فرنسا فى ١٩٣٥ يسير خط الحدود الجنوبى مع أفريقيا الغربية الفرنسية على خط من تمو إلى نقطة تقاطع خط طول ٢٤ شرقا مع خط عرض ٤٥ َ ١٨ ° شمالا .

ويلاحظ أن هذه الحدود اصطناعية لم يتوفر لها من المظاهر الطبيعية ما يميزها ولذلك فهى غير ظاهرة للعيان ، كثيرا ما تعبرها القبائل ويحدث الاحتكاك بين دوريات الحدود . وكثيراً ما كانت محل مساومة وتغيير فى صالح الأقوى كما حدث لايطاليا الفاشستية حين عدلت الحدود الشرقية فاستولت على الجغبوب فى ٦ ديسمبر ١٩٢٥ من حكومة زيور باشا وضمت اقليم تبستى سنة ١٩٣٥ حين كان لافال وزيرا لخارجيه فرنسا .

ويختلف تقدير مساحة ليبيا نتيجة تعديل الحدود وتقدر الآن بحوالى ٦٧٩٣٥٨ ميلا مربعاً أى مايقرب من مساحة الهند . على أن هـذه المساحة الشاسعة صحارى لايصلح للزراعة منها الا ١٧٢٣١ ميلا مربعاً .

* * *

قبائل برقة
البحر
الأبيض
المتوسط
الدرسة
الحاسة
عبيد
العبيدات
الفواخير
العواقير
المغاربة
أولاد على
البردى
طبرق
بنغازى
زويتينة
البريقة
اجدابية
البطنية
بير حكيم
ام الرزم
الفايدية
مرادة
تكنس
طلمية
تكرة
دربانة
الابيار
الرهة
سلوق
سليطين
سيدى التميمى
زاوية الغزالة
بشارة
جردس
منيلى
ورنة
كوسة

البحر الأبيض المتوسط
زوارة
نوايل
عجيلات
قبائل عربية
قبائل البربر
قبائل طرابلس
مسلاته
ترهونة
أولاد يوسف
بنو وليد
أورفلة
أولاد مشاشة
أولاد يوسف
أولاد مشاشة
أورفلة
نالوت
جرود
جوش
نفوسة
زنتان
حادو
غريان
يفرن
عقارة
جفارة
خمس
زليطن
مصراتة
وادي سوفجين
وادي زمزم
مزدة

ويربو عدد السكان الآن على المليون النسمة ، وقد ورد فى آخر احصاء فى ٣١ / ١٢ / ١٩٣٨ أن عددهم ٨٨٨٤٠١ منهم ٨٩٠٩٨ ايطالى ، ٦٠٧٨ أوربى أما الأهالى فبلغوا ٧٩٣٢٥٥ منهم ١٧٩ ٧٦٣ مسلم .

ويرجع سكان ليبيا إلى عنصرين أساسيين : البربر (حاميون) والعرب (ساميون) . والبربر هم سكان ليبيا الأصليون وقد ورد ذكرهم فى التاريخ لأول مرة فى الكتابات المصرية القديمة التى تدل صورها وتماثيلها على أن الليبيين جنس أبيض ذو سمات حادة خفيف الشعر أزرق العينين وتظهر هذه الخصائص الآن لدى التوارق . وينتشر البربر فى شمال أفريقيا وأن اختلطوا فى الشمال والشرق بالعرب وفى الجنوب بالزنوج . ويسود بينهم المذهب الأباضى .

وقد دخل العرب ليبيا منذ الفتح فى القرن السابع الميلادى ثم فى القرن الحادى عشر حين اجتاحت البلاد قبائل بنى هلال قد سيطر العرب على المناطق الساحلية وقلما توغلوا فى الداخل . وقد امتزجوا بالسكان الأصليين وخاصة كلما اتجهنا غربا .

وغالبية العرب بدو رعاة يعيشون فى الخيام وقد يعملون فى الزراعة وينزلون فى مواسم التمر بالواحات . أما البربر فأميل إلى الاستقرار والزراعة ويعيشون فى بيوت مستقرة قد تنحت أحيانا تحت الأرض على أن من البربر قبائل كالتوارق والتبو بادية ، وللبربر لهجاتهم الخاصة وأن أخذت العربية تشيع بينهم بعد اعتناقهم الأسلام .

ويسكن برقة قبائل عربية فى الساحل أما فى الواحات الجنوبية فتوجد قبيلة التبو الذين انتشروا من وطنهم فى تبستى وكانوا وحدهم سكان الكفرة قبل مجىء السنوسية .

أما فى طرابلس فتسكن القبائل العربية الساحل وقد انحاز البربر إلى الجبل

حول ترهونة ونالوت ويسكن حول غدامس التوارق وهم أنقى عناصر البربر وفى فزان قبائل عربية وان كانت غير مستقرة تنزل بها فى مواسم التمر أماسكانها المقيمون فبربر امتزجوا إلى حد كبير بالزنوج .

وينسب عرب ليبيا إلى بنى سليم وهم بطن من بنى هلال وتقسم سليم إلى فخذين كبيرين : الكعوب وأبو الليل : أما الكعوب فيسكنون بين قصر سرت شرقا إلى حدود تونس . ومنها قبائل المحاميد وترهونة وأولاد سليمان والرفلة وقبائل أخرى صغيرة ، بعضها سكن مدن السواحل وبعضها اندمج فى هذه القبائل الكبيرة . وأما أبو الليل فهؤلاء المسمون الآن بالسعادى ويسكنون من قصر سرت إلى السلوم ومنهم البراغيث والعقاقرة ومن البراغيث الحرابى وهم خمس قبائل البراعصة والعبيدات والدرسة والحاسة وأولادفايد . والبراغيث منهم فى طرابلس الجبارنه أو أولاد جبريل ومنهم العواقير والمغاربة والعبيد والعرفاء .

ومن طوائف السكان الخليقة بالاعتبار : ا — قبائل الشرفاء وينزلون فى ودان وواحة الجفرة ومنطقة مسلاتة وعلى الساحل قرب طرابلس والخمس . ب — المرابطون وينسبون إلى أولياء صالحين ولهم نفوذ دينى وسياسى كبير بين القبائل المجاورة لهم ، وللمرابطين فى برقة مركز خاص فهم ليسوا بقبائل مستقلة بل بطون لاتملك أرضا يعتمدون فى حياتهم الاقتصادية على السعادى أو ملاك الأرض فى مقابل ضريبة يدفعونها جـ ـ القولوغلية وهم أنسال من تزاوج الموظفين والجند الأتراك مع السكان الأصليين وتوجد منهم جماعات كبيرة فى طرابلس والزاوية والخمس وزليطن ومصراطة وقد يبلغ عددهم ٤٥٠٠٠ نسمة . د — اليهود وهم عنصر من أقدم العناصر فى المدن الساحلية ويندر وجودهم فى الداخل وربما كان بعضهم من نسل اليهود الذين عاشوا فى ليبيا فى العصر اليونانى الرومانى كما أن هنالك يهودا من أصل أسبانى . هـ ـ الزنوج وهم قسم هام من

سكان ليبيا فقد كانوا يجلبون منذ أزمان سحيقة من وسط القارة الى الشاطىء الشمالى وقدكان منهم العبيد فى المنازل ويسكنون فى قرى من الأخصاص خاصة بهم خارج المدن ويكثرا متزاجهم بالسكان كلما اتجهنا جنوبا . وأكثر زنوج ليبيا من الوجنقات وبرقو ووداى ومناطق التبوّ فى أقصى الجنوب .

* * *

ويمكن أن نقسم ليبيا الى ستة أقاليم طبيعية متمايزه : ثلاثة منها على الساحل وثلاثة فى الداخل . فعلى الساحل مناطق طرابلس ثم منطقة خليج سرت ثم برقة : وفى الداخل صحراء الحمارة وبها واحة غدامس ومنخفض فزان وعاصمته مرزق وواحات الكفرة الخمس . ونرى أن أقليم خليج سرت وطرابلس والحمارة وفزان تكون ولاية طرابلس ، وبرقة والكفرة تكون ولاية برقة .

١ ـ وإذا بدأنا بطرابلس وجدنا على الساحل منطقة من الكثبان الرمليلة يتراوح ارتفاعها بين ٣٠ ـ ١٠٠ قدم وعرضها من ٣٠٠ ـ ٧٠٠ ياردة . ويلى هذه الكثبان ملاحات وأراض سبخة وسلسلة متقطعه من الواحات هى أهم مناطق الاستيطان وأخصب أراضى طرابلس . وأهم هذه الواحات من حدود تونس زوارة وبوعجيلة والزاوية وجدّايم ولماية وصياد وزنزور والمنشية وفيها طرابلس ثم تاورغاء وزليطن ومصراته .

ويلى هذا السهل الساحلى هضبة من حجر الجير ترتفع إلى ٢٨٠٠ قدم فى قمة تكوك فى جبل غريان وتمتد بها سلسلة من أربعة جبال هى من الغرب جبل نفوسة وجبل يفرين وجبل غريان وجبل ترهونة ، تفصل بينها وديان كثيرة لايجرى فيها الماء إلا شتاء .

وتنحدر الهضبة ببطء نحو الداخل بسهل منبسط حجرى قاحل مساحته حوالى ٤٠٠٠٠ ميل مربع يعرف بصحراء الحارة فى جنوب غرب طرابلس

وتقع فيها واحة غدامس قرب حدود تونس ، وهى على طريق القوافل بين تونس وطرابلس وفزان وبحيرة تشاد . الخ .

ويبدو أن الجزء الأوسط من الهضبة كانت تجرى فيه أنهار تصب شرقا فى خليج سرت وتحمل الماء من جنوبى جبل غريان . وتنتهى الهضبة فى أقصى الجنوب بكثبان رملية ثم تعود فترتفع مرة أخرى سلسلة من الجبال هى الحد الجنوبى لصحراء الحمارة وأهمها الجبال السوداء التى يعبرها الطريق المباشر من طرابلس إلى مرزق .

ثم يأتى بعد ذلك منخفض الفزان ثم ترتفع الأرض مرة أخرى عند جبل تمو إلى هضبة الصحراء . وفى حوض فزان نجد الواحات الهامة مرزق وقطرون وتجرى ويبدو أنها تقع فيما كان قديما وديان أنهار تصب فى الشمال الشرقى بخليج بسرت .

ب — ونجد فى برقة سهلا ساحليا يبلغ أقصى اتساعه عند بنغازى فيكون ٣٠ ميلا ثم يأخذ فى التضاؤل فيكون عند دريانة تسعة أميال ، ثم تقترب الهضبة من الساحل حتى لا يبقى من السهل الساحلى الا نصف ميل عند طلميثا ثم ينمحى أو يبقى منه بقع صغيرة متفرقه عند مرسى سوسة . ويتسع عند درنة ثم يزول إلى الشرق .

ويلى هذا السهل الساحلى الضيق هضبة من حجر الجير هى هضبة برقة ويبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم . ويمكن أن يقسم إلى قسمين : غربى من بنغازى إلى بمبه وشرقى من بمبه إلى السلوم . ويلاحظ أن الغربى أكثر ارتفاعا . ويتدرج الارتفاع فتكون هناك مساحات مستوية تسقيها الينابيع المنحدرة من القمم العالمية .

وتنحدر الهضبة فى الجنوب انحدارا رفيقا حتى تنتهى إلى الصحراء دون أن يمكن الفصل بينهما ، وتكثر الوديان الجافة التى نجد فى وهادها مجموعة

واحات الكفرة ، وهى واحات خمس فى جنوب برقة هى كبابو وبسيمة وتازربو وزيغن وأربهنا .

* * *

وتنقسم ليبيا إلى ثلاثة أقاليم نباتية من البحر الأبيض إلى الداخل :
- ١ - أقليم البحر الأبيض - ٢ - شبه الصحراء - ٣ - الصحراء .

- ا - أقليم البحر الأبيض وهو سهل زراعى يمكن تقسيمه إلى : ا) الواحات على طول الساحل وهى أغنى الواحات فى شمال أفريقيا وينمو فيها النخيل والزيتون والبرتقال ونباتات البحر الأبيض : ب) منطقة الأستبس وتصلح لزراعة الحبوب والقمح والشعير والمراعى ، وفى هذه المنطقة وحدها كان أغلب انتشار الاستعمار الايطالى ، وفيها الزيتون واللوز والعنب والبرتقال والتوت . الخ : ج) الكثبان وفيها تزرع أشجار الموز والصنوبر والطلح .
د) منطقة الجبل وفيها الزيتون والتين والكرم وأشجار فواكه أخرى وهى تنحدر إلى الشرق بتلال سلاطة الخصبة .

وتنمو فى المنطقة شبه الصحراوية نبات الحلفا أما المنطقة الصحراوية فجرداء الا من الواحات الخصبة التى يكثر فيها النخيل .

* * *

وليبيا بلاد فقيرة فى ثروتها الطبيعية ، تستعمل فى زراعتها الأدوات البدائية وتعتمد اعتمادا تاما على المطر الذى يزيد نسبيا على الساحل وإلى الغرب فهو فى مدينة طرابلس حوالى تسع بوصات وفى بنغازى حوالى خمس بوصات .

وفى ليبيا حوالى ٣ مليون نخلة ، منها ٢ ½ مليون فى طرابلس وفزان و ١ ½ مليون فى برقة .

وأهم المحصولات الشعير الذى يعطى فى السنوات العادية عشرة اضعاف البذور وفى سنوات الخصب من عشرين إلى ثلاثين ضعفا أو تزيد وتمر سنوات القحط

كل خمس سنوات أوست تقريبا وكان آخرها عام ١٩٤٧ وليست لدينا سوى احصائيات قديمة(١) فقد صدر من بنغازي فى ١٩٠٥ مابلغ ١١٦ ألف طن من الشعير ٨٠ ألف منه إلى انجلترا ، وفى عام ١٣ / ١٤ بلغ محصول الشعير ٣٤١٤٠ طن والقمح ٣٠٠٠ طن وزيت الزيتون الذى كان أهم محصول فى ليبيا أيام الرومان بلغ فى ١٩٤١ - ٢٥٠٠ طن متري ثم التبغ الذى كانت تحتكره الدوله العثمانية ثم احتكرته السلطات الايطالية وتوسعت فى زراعته ، ويضاف إلى ذلك الزراعات المختلفة لنباتات البحر الأبيض كالموالح والخروع والحناء والخضر وخاصة الحلفاء التى تنبت فى منطقة الخمس أو تنمو برية وتصدر إلى الخارج وخاصة إلى انجلترا وفرنسا وتستخرج منها مادة السيلولوز لصناعة الورق.

أما الثروة الحيوانية فيلاحظ من الاحصائيات المتفاوتة أنها تتناقص ويرجع ذلك إلى عدم استقرار الأحوال فى البلاد وتشريد أهلها ، وآخر تقدير للثروة الحيوانية عام ١٩٣٨ كما يلى :

٨٩٠٣٢٣ - ٧٢٦٠٠٦ ماعز - ٦٩٦٧٠ ماشية - ٩١٠٠٠ جمل - ٥٥٦٧٩ حمارا وحصانا وبغلا - ٢٠٥٧ خنزيرا .

ومن أهم موارد الثروة الحيوانية سمك التونة ، فقد صيد منه ٩٢٧٢ طنا عام ١٩٣٨ والأسفنج وهو من أجود أنواعه فى العالم ، ويقوم باخراجه غواصون من اليونان والطليان وتنتج ليبيا ١/٥ انتاج البحر الأبيض تقريبا ، فقد صيد فى عام ١٩٣٨ ماوزنه ٩٦٩٣٧ كجم وكانت تحتكره الحكومة الإيطالية .

أما عن الثروة المعدنية فأهم ما يستغل منها الآن الملح وقد استخرج منه فى عام ١٩٣٨ ما بلغ ٣٦٩٠٥ طن صدر منها ١٦٢٩٠ طنا . ولا يعرف بعد

---

(١) جاء فى تقرير لجنة التحقيق ان كمية الانتاج الزراعى لطرابلس سنة ١٩٤٤ كالآتى :—
شعير ١٢٥٠٠٠ طن قيمتها ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه
قمح ١٣٠٠٠ طن « ٢٧٣٠٠٠ «
زيتون ٣٣٠٠٠ طن « ٥١٠٠٠٠ « (ص ٢٥ من الترجمة العربية)

ذلك من المعادن ذات القيمة الاقتصادية الا الفسفات والنترات . على أن هذا الحقل لايزال مجهولا .

***

وليس للصناعة حتى الآن دور أساسى فى ليبيا فالصناعات القائمة بدائية يقوم بها عمال حرفيون لسد الحاجات المحلية . فهناك صناعات الغزل اليدوى للصوف أو القطن وصناعة السجاد والحصر وخاصة فى مصراته ، وغزل الحرير وتنظيفه ونطريز المخمل والحرير بأسلاك الفضة وصياغة الذهب ويقوم بها اليهود خاصة ، وتنظيف ريش النعام وبعض صناعات العاج[١].

وقد حاول بنك روما قبل ١٩١٣ تمويل بعض الصناعات فأنشئ مطحن للدقيق ومعصرة للزيوت واتسع ذلك بعد الفتح الايطالى وكثرت الأموال المستخدمة فى الصناعات فأنشئت الورش والمناشير الكهربائية ومكابس الحلفا ويلاحظ أن أكثر العمال فى هذه المصانع من الايطاليين .

***

اشتهرت ليبيا بأنها منفذ وسط أفريقيا إلى البحر ، واشتهر الليبيون فى القديم بالتجارة بين الساحل الأفريقى ووسط القارة يحملون من المتاجر الأوروبية المصنوعات القطنية والشاى والبن والسكر والمرايا والصبغات وورق اللف للكتابة ، ويعودون بريش النعام والعاج والجلود . وتسير القوافل فى فى طرق للقوافل مطروقة . وقد قدرت التجارة مع الجنوب أواخر ١٨٨٠ م بمبلغ ٤٠٥٠٠٠٠٠ فرنك . ثم أخذت هذه التجارة تضمحل لسببين :

١ — احتلال الفرنسيين تمبكتو فى ١٨٩٤ وهى المركز العظيم للتبادل بين شمال أفريقيا والمناطق الغنية جنوب النيجر .

---

(١) جاء في تقرير لجنة التحقيق ص ٣٠ : « لا يوجد صناعة هامة فى البلاد ولكن صناعة التبغ والكحول وتجفيف الأسماك واستخراج الملح وصناعة الخمور وعمل الورق كان لها أهمية محلية وبعد الاحتلال البريطانى وجدت صناعة الصابون حيث يوجد الآن ٢٧ مصنع صابون وكذلك صناعة مختلف انواع المشروبات الروحية . »

٢ — تقدم المواصلات فى نيجريا فالبضائع التى تصل إلى كانو تحمل بالسكك الحديدية إلى لاجوس ومنها إلى ليفربول . وقد تحولت المواصلات فى السودان الفرنسى فى الأغلب إلى هذا الطريق . ولما نجحت ايطاليا فى امتلاك فزان أنعش ذلك طرق القوافل وخاصة مع برقو فأصبحت تأتى تجارتها إلى طرابلس عن طريق مرزق وغدامس .

ولما اشتد الكفاح بين الايطاليين والليبيين واضطربت الأحوال انقطعت الصلة بين المنطقة الساحلية المحتلة وبين الداخل ، وتدهورت تبعاً لذلك التجارة مع الجنوب .

وأهم طرق القوافل الآن طريقان :١- من بنغازى - جالو - كفرة - بشارة - سرا - برقو - إلى وداى ٢ - من طرابلس - جفرة - مرزق - قطرون - تمو - بلما - كانم - إلى بحيرة تشاد .

هذا عدا طرق كثيرة تربط بين نواحى ليبيا . وأما طرق الاتصال الأخرى بين نواحى البلاد فقليلة. هناك حوالى ٢٤٢ ميلا من السكك الحديدية من الخطوط الضيقة التى تربط بعض المدن و٣٥٤٤ ميل من طرق العربات و٢٧٥٦ ك . م من خطوط التلغراف و٧٩٣٤ ك . م من خطوط التليفون . وتتصل مدينة طرابلس بمالطة وسيراكيوز بالتلغراف وبخطوط أرضية مع بيخاردين فى تونس وبمحطة لاسلكية مع روما .

* * *

وعلاقات ليبيا التجارية واسعة فهى تصدر الماشية إلى مصر ومالطة والجلود إلى صقلية وفرنسا وانجلترا وأمريكا والصوف إلى مرسيليا والحلفا والأسفنج والشعير إلى انجلترا وايطاليا وهولندة . وقد كانت بريطانيا تحتكر تجارة ليبيا ثم احتلت ايطاليا هذه المكانة بعد الاحتلال ويبدو أن بريطانيا عادت مرة أخرى فأصبحت لها المكانة الأولى فى تجارة ليبيا . وقد قدرت صادرات ليبيا

فى ١٩٢٩ بـ ٥٠٠ر٠٠٠ ليرة وقدرت فى ١٩٤٨ بـ ١٠٨٩٦١٥٤٥ ويلاحظ أن قيمة الليرة انخفضت بعد الحرب إلى أكثر من العشر . ومن هذه الصادرات نرى الصادرات مع بريطانيا كالآتى :

فى ١٩٣٨	٧و١٢٦ جنيها
« ١٩٤٦	٦٢و٠٠١ جنيها
« ١٩٤٧	٢٤٧و٥٧٠ جنيها

على أن واردات ليبيا كانت دائما أكبر من صادراتها ، فقد قدرت فى سنة ١٩٢٩ بمبلغ ٣١٥٠٠٠٠ ليرة ، وفى سنة ١٩٤٨ بمبلغ ٨٨٢٠٥٧٥٣٢ ليرة وكانت وارداتها من بريطانيا كالآتى :

فى	١٩٣٨	—	١٤و٢٧٨ جنيها
و فى	١٩٤٦	—	٢٥٢و٣٨٨ جنيها
و فى	١٩٤٧	—	٤٣٤و٤٤٨ جنيها

وأهم الواردات المصنوعات القطنية والحديد والصلب والسكر والفحم .

* * *

أما ميزانية ليبيا فى العهد التركى فكانت تأتى من مصادر ثلاثة : ١ - ضريبة الوركو ٢ - ضريبة الجمرك والميناء والبريد والبرق ٣ - ضريبة الاحتكارات ، وقد بلغت ايرادات طرابلس عام ١٩٠٨ منها على التوالى : ١٦٠ر٠٤٠ ل.ت؟ ٣٩٥٢٠ ل . ت ؟ ٣٨٤٤٠ ل . ت المجموع ٢٣٨٠٠٠ ل . ت . وبلغت المصروفات ١٧٣٤٤٠ ل . ت فكان الفائض الذى ذهب لتركيا ٦٤٥٦٠ ل.ت يقابله فائض عن برقة قدره ٣١ر٤١٨ ل . ت [1]

---

(١) Cachia, Libya under the Second Ottomen Occupation pp. 79-89.

وبلغت ميزانية ليبيا فى عام ١٩١٣ - ٠٠٠و٠٠٠و٥ ليرة منها ٩٩٢و٦٩٩و١ ليرة من الاحتكارات (٣٩٠و٥٥٠و١ ليرة من التبغ و٩٤٣و٤٩ ليرة من الملح) و٤٢٤و٣١٧و١ ليرة من ضرائب الجمارك والموانى والبريد .

وقدرت ميزانية ليبيا فى عام ١٩٣٩/١٩٤٠ بمبلغ ٠٠٠و١١٥و٦٠٠ ليرة.

* * *

والآن وقد استعرضنا طبيعة البلاد الليبية وألممنا بمنابع ثروتها الزراعية والحيوانية والطبيعية ورأينا حظها من الصناعة والتجارة - نستطيع أن نستهدى بهذا كله فى التعرض لتاريخ المسألة الليبية فى العصر الحديث .

(٣)

مراحل قضية ليبيا الحديثة

نستطيع أن نقول أن تاريخ ليبيا الحديثة يبدأ منذ أواخر القرن التاسع عشر حين أخذت الأمبراطورية العثمانية الشاسعة تتحلل ، وبدأت القوميات المختلفة تتململ من فساد الحكم متأثرة بالنزعات الأصلاحية فى النواحى الدينية والسياسية اللتى شاعت فى أرجاء الامبراطورية العثمانية نتيجة الوعى القومى والاتصال والغرب . ونستطيع أيضا أن نقول أن هذه الحقبة من تاريخ ليبيا كانت تتنازعها دائما تيارات ثلاثة :

أولا : الحكم التركى فقد كانت ليبيا أو طرابلس الغرب كما كانت تسمى أيام العثمانيين ، ولاية عثمانية تشمل أقليمى طرابلس وبرقة ، ويحكمها وال تركى يعين بفرمان من السلطان ويعاونه مجلس الديوان وحامية انكشارية وعلى رأسها الباى . وكان لهذه الطبقة التركية الحاكمة أثرها البعيد فى تسيير أمور البلاد وخاصة إذا راعينا ضعف الحكومة المركزية وبعدها عن الولاية وصعوبة المواصلات .

ثانياً : أهالى ليبيا وهم خليط من الحضر ومن سكان البادية فيهم البربر وهم السكان الاصليون وفيهم العرب المستوطنون منذ الفتح العربى وفيهم الزنوج الذين نزحوا من أواسط أفريقيا . ولهؤلاء جميعا مصالح تجارية وحيوية فى المدن والواحات والصحارى الواسعة ولقبائلهم منازل معروفة ولمشايخهم نفوذ قوى وخاصة فى المناطق الداخلية حيث يضعف السلطان التركى .

وقد ظهر منذ أواسط القرن التاسع عشر بين الليبيين نفوذ السنوسية فانتشرت زواياهم وآراؤهم فى الاصلاح الدينى والاجتماعى وأصبحوا قوة يحسب لها حساب كبير فى البلاد .

ثالثا : الدول الاستعمارية الغربية وهى فى هـذه الفترة انجلترا وفرنسا وأيطاليا ، وقد أخذت هذه الدولة عن طريق قناصلها تسعى لتقوية نفوذها فى ليبيا ، مستغله الامتيازات الأجنبية التى كانت تركيا تمنحها للرعاية الأوروبيين وانتهى الأمر بين هذه الدول إلى التفاهم فيما بينها وتقسيم مناطق النفوذ على الساحل الأفريقى بسلسلة من المعاهدات . فـكانت اتفاقية ديسمبر سنة ١٩٠٠ بين فرنسا وإيطاليا باطلاق يد فرنسا فى المغرب الأقصى مقابل اطلاق يد إيطاليا فى طرابلس الغرب ، وقد عززت هذه الاتفاقية فى نوفمبر سنة ١٩٠١ كما وصلت انجلترا وفرنسا إلى اتفاق سنة ١٩٠٤ الذى تعترف فيه بريطانيا بحق فرنسا فى المغرب الأقصى نظير اعتراف فرنسا بمركز بريطانيا فى مصر . وقد تركت هذه الاتفاقات أمر ليبيا إلى إيطاليا ، فاحتلت البلاد فى سنة ١٩١١ .

وتنازعت هذه التيارات الثلاثة تاريخ ليبيا الحديث فـكان هذا التاريخ حقبة من الـكفاح المرير تعرضت فيها البلاد لأنواع من الخراب والقهر فـكسدت تجارتها واضطرب أمنها وأهملت أراضيها ، وفقد نصف سكانها تقريبا ، وعانت البقية ألوان الأرهاق فى الداخل والتشريد فى الخارج .

ونستطيع أن نميز فى هذه الحقبة من تاريخ ليبيا مراحل ثلاثا :

المرحلة الأولى : من أواخر القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩١١ : وكانت هذه الفترة نزاعا بين التيارات الثلاثة السالفة الذكر . ففرنسا قد احتلت المغرب والجزائر وتونس واحتلت بريطانيا مصر وأخذت أيطاليا ترنو إلى طرابلس ولا تجرؤ على احتلالها . والحـكم التركى متشبث بالساحل قد أرهبه أحداق الدول الاستعمارية به من الشرق والغرب فحاول أن يقوى قبضته على طرابلس وأهالى ليبيا والسنوسيون قد اعتصموا بداخل البلاد وركزوا فيها سلطتهم ، فلما تهددت البلاد بالغزو مال أهالى البلاد إلى معاونة الترك حرصا على الخلافة الاسلامية ، ولـكن تركيا ما لبثت أن تخلت عنهم وتركت البلاد لأيطاليا بمقتضى معاهدة أوشى سنة ١٩١٢

المرحلة الثانية : من ١٩١١ إلى ١٩٤٣ أى منذ احتلال الطليان ليبيا إلى جلائهم عنها : وفى هذه المرحلة واجه الليبيون الغزو الايطالى وحدهم إلا من المساعدات الطفيفة من تركيا ومن الولايات العثمانية الأخرى . وقد استمر الكفاح المسلح فى طرابلس إلى ١٩٢٣ وفى برقة إلى ١٩٣١ حين قتل عمر المختار ، وفى هذه الفترة تبرز زعامة السنوسية .

ونرى من جهة أخرى وحشية الغزو الايطالى قبل الفاشية وبشاعته فى العهد الفاشى عهد جرازيانى وبالبو . فقد كان حملة منظمة لأفناء أهالى البلاد وسلبهم أراضيهم وموارد ثروتهم ، وتشريدهم فى أنحاء الأرض .

المرحلة الثالثة : من ١٩٤٣ إلى الآن . وفى هذه المرحلة كانت ليبيا موضع مساومات بين الدول الغربية الاستعمارية : فظهر من جديد أطماع بريطانيا فى برقة وفرنسا فى فزان وتمسك أيطاليا بمستعمراتها السابقة ، ومن وراء هذا كله حرص أمريكا على بقاء قواعدها الحربية التى أنشأتها فى أثناء الحرب العالمية الثانية . وفى هذه المرحلة أيضا انتقلت القضية إلى الأمم المتحدة . ومن جهة أخرى أيضاً نرى بين الليبيين وعيا قوميا جديداً يبدو فى حالة القلق والتوتر التى تعم البلاد وتظهر بين الحين والحين برغم الأحكام العسكرية المفروضة ويبدو فى الحياة الحزبية التى بدأت تنشط فى البلاد وتهدف إلى المطالبة بوحدة القطر الليبى واستقلاله . على أن هذه القومة الشعبية ، وهى لازالت فى المهد ، تتعرض إلى أنواع من الضغط والمساومات تقوم بها بريطانيا خاصة وتقصد من ورائها إلى اقرار نوع من الحكم الذاتى فى البلاد يستند إلى نفوذها ويرتبط معها بمعاهدة عسكرية . وموضع الخطر أنها تجد بين من يتزعمون الحركة الوطنية فى ليبيا من يحسنون بها الظن ويتعجلون ثمرة الكفاح ويقامرون بمصلحة البلاد الحقيقية .

وهنا تقف ليبيا عند مفترق الطرق .

الباب الأول

الحكم التركى والغزو الايطالى

الفصل الأول

الحكم التركى

(١)

فى أواخر القرن التاسع عشر كانت ولاية طرابلس قد خلعت قرونا من الحكم التركى . بدأ هذا فى عهد سليمان الأول سنة ١٥٥١ فحكمت البلاد حكما مباشراً عن طريق الولاة الأتراك والجنود الانكشارية حتى سنة ١٧١١ حين وثب إلى الحكم أحمد باشا القرمنلى فأصبحت لتركيا السيادة الرسمية وتوارثت الأسرة القرمنلية الحكم حتى سنة ١٨٣٥ فعادت تركيا مرة أخرى إلى حكم البلاد حكماً مباشراً استمر حتى الاحتلال الايطالى سنة ١٩١١ .

وقد أخذت هذه الولاية العثمانية تنحدر مع الامبراطورية العثمانية إلى خاتمتها . وتجمعت لذلك عناصر أهمها فساد الحكم التركى فساداً ساعد عليه بعد الولاية عن مركز الدولة وصعوبة المواصلات وكثرة النزاع بين الولاة

ورؤساء الجند وكثرة الفتن الداخلية وسوء الأحوال الاقتصادية نتيجة القحط والاسراف والاهمال حتى لقد اندفع الولاة منذ أواخر أيام القرمنليين إلى الإلتجاء إلى الجاليات الأجنبية وخصوصاً الفرنسية والإنجليزية فأصبح لقناصل هذه الدول مراكز ممتازة عجلت بالقضاء على الولاية وجعلتها موضع تربص من الدول الاستعمارية بخاصة بعد أن زحفت هذه الدول على الشاطىء الأفريقى فاحتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس عام ١٨٨١ والمغرب سنة ١٩١١ واحتلت انجلترا مصر سنة ١٨٨٢ ، وقد لاحت لولاية طرابلس فرصة انسلاخ من الامبراطورية العثمانية والاستقلال فى عهد القرمنليين فاستطاع أحمد باشا القرمنلى — مؤسس الأسرة — أن يبسط نفوذه على برقة وطرابلس ويمده جنوبا إلى فزّان ويفتح طريق التجارة مع وسط القارة وينشىء قوة بحرية عظيمة ويسبق بهذا كله محاولة محمد على فى مصر بقرن تقريبا — ولكن ضيع الفرصة إهمال الولاة بعده النهوض بالبلاد لمقاومة الاستعمار الغربى وتورطهم فى سياستهم البحرية وتخليهم عن سلطان تونس بالتعهد مع بريطانيا ١٨١٥ وتكتل الدول الغربية بعد مؤتمر ڤيينا سنة ١٨١٥ وتطور الدول الغربية نحو الاستعمار .

نرى فى أواخر القرن التاسع عشر — أى فى أواخر العصر العثمانى الثانى من سنة ١٨٣٥ إلى ١٩١١ — ان الحكم التركى قد تقلص حتى لم يعد يمتد وراء السواحل وانتشرت الدعوة السنوسية فى داخلية البلاد حتى أصبح لها النفوذ الفعلى بين القبائل بل فى منطقة النفوذ التركى ، وظهرت الدول الغربية على المسرح ، تخطو خطوتها الثانية لتثبيت نفوذها فى البلاد مستغلة ضعف الدولة العثمانية وتأخر الولاية .

(٢)

كانت دولة آل عثمان قد هزمت ودبت فيها عوامل الانحلال فى القرن التاسع عشر . وإذا علمنا أن أداة الحكم كانت مركزة فى القسطنطينية وأن الولايات المختلفة كانت تحكم حكما مباشرا عن طريق وال تركى يعين بفرمان سلطانى ، أدركنا أن فساد الحكومة المركزية يستتبعه فساد أكبر فى الولايات المختلفة وخاصة ما كان منها بعيداً عن مركز الدولة كولاية طرابلس .

كانت الأمبراطورية العثمانية مملكة شاسعة قدرت مساحتها بين ١٫٧٩٠٫٠٠٠ ك . م مربع وقدرت حدودها بـ ١٢٠٠٠ ك . م وشواطئها ٨٠٠٠ ك . م . — تجمع أقواما يفرق بينهم اختلاف العنصر واللغة والدين والعادات (قدّر سكان الامبراطورية بين ٢٠ / ٢٣ مليون — أتراك ٩ / ١٠ مليون — عرب ٦ مليون ، أكراد ١½ مليون ، أرمن مليون ، قوميات مختلفة ٢ مليون)[١] فيها المجتمع القبلى البدائى والمجتمع الأقطاعى والمجتمع الذى اتصل بالغرب وأخذ عنه أحدث الآراء السياسية والاجتماعية .

وقد أخذت القوميات المختلفة التى يضمها نطاق الدولة تستيقظ فاتجه المسيحيون منهم كالأرمن واليونان وغيرهم إلى الدول الغربية يستعدونها على الدولة ، وانتقض الأكراد فى جبالهم النائية والعرب فى صحاريهم القاحلة فكثرت بينهم الثورات والفتن وساعد على ذلك كله فقدان الكفاية وانتشار روح التمرد وتفشى الفساد والرشوة بين الموظفين فى مختلف نواحى المملكة ، واهمال الدولة للشئون العامة ، فقد قدرت نسبة المتعلمين فى الدولة قبيل الحرب العالمية الأولى ٧و٠ / ٠ ولم يؤد فرض التعليم الاجبارى قبيل ذلك بنحو ٥٠ عاما إلى نتيجة ما . ولم تكن الحالة الصحية خيرا من ذلك فقد خلت بلاد بأسرها ومدن من العناية الصحية وقدرت نسبة وفيات الأطفال بـ ٠٨٠ / ٠

(١) AHMED EMIN, Turkey in the World War, New Hnven 1930 p.79.

أما طرق المواصلات فكانت متأخرة ولم يكن فى الامبراطورية العثمانية كلها من السكك الحديدية سوى ٥٩٧٥ك . م بينما كانت فى ألمانيا ٦٤٠٠٠ كم ، وفى فرنسا ٥١٠٠٠ كم . ولئن لم تبلغ احدى هاتين الدولتين نصف مساحة الامبراطوية . وكان المجتمع السائد فى الدولة هو المجتمع الزراعى ولكن الزراع كانوا نهبا للسادة الاقطاعيين والأمراء من جهة ، ولقطاع الطرق ورجال العصابات من جهة أخرى ولجباة الدولة من جهة ثالثة ، لا يعصمهم من الظلم قانون فقد كان نظام القضاء كثير التكاليف معقداً بطيئا ، ولذلك كان الزراع يكتفون بانتاج ما يكفى طعامهم وبذور عامهم القابل ، وحتى إذا حاول أحدهم أن ينتج ما يفيض عن حاجته لم يكن يستطيع أن ينقله إلى الأسواق فإن رداءة المواصلات كانت تقف عقبة فى سبيله بل أنه إذا استطاع أن يصل إلى السوق وجد أن الوارد من الخارج أجود من انتاجه وأرخص ثمنا . هذا مع تأخر وسائل الرى وإهمال تنظيم مياه الأنهار والاعتماد على وسائل الزراعة العقيمة البدائية ، ولذلك كله أصبح الفلاح فى الدولة العثمانية مضرب المثل فى الكسل والخمول .

وكانت الصناعه فى الدولة العثمانية يدوية متأخرة بعد أن مر أكثر من قرن على الثورة الصناعية فى أوروبا ، ولذلك كانت الدولة تعتمد اعتمادا تاما على الواردات من الخارج ، وكانت بلادها أسواقا رائجة للصناعات الغربية وأصبح تأخر الصناعة من أهم الأسباب الدافعة إلى تزاحم الدول الغربية ، لاحتكار أسواق الدولة وبسط نفوذها الاقتصادى والسياسى فى أرجائها ، وساعد على ذلك أن الدولة لم تكن تستطيع زيادة المكوس على الواردات إلا بموافقة الدول الغربية .

وقد قدر عدد المؤسسات الصناعية التى تشغل أكثر من خمسة عمال بـ ٢٦٩ فى عام ١٩١٣ منها ٨٧ للمواد الغذائية و٣١ لمواد البناء و١٣ مدبغة و٧٠ ورشة

نسيج يدوى و٥٥ مطبعة و ١٣ معملا كيماويا وكان ٥٥ ٪ من هذه الصناعات بالقسطنطينيه وكان ٢١٤ من هـذه المصانع ملكا لأفراد وبلغ عدد الصناع ١٦و٩٧٥ فى عام ١٩١٣ .

وإزاء هـذا الاهمال لموارد البلاد الطبيعية ، وتأخر الزراعة والصناعة ، واعتماد الدولة على الواردات الأجنبية أصبح الميزان التجـارى فى غير مصلحة الدولة دائما كما نرى من هذه الاحصائيات .

السـنة	الواردات	الصادرات
١٨٨٤	٢٠و٦٣٨و٠٠٠	١٢و٧٩٩و٠٠٠ ليرة تركية
١٩٠٨	٣١و٤٣٢و٢٠٠	١٨و٤٣٩و٠٠٠ » »
١٩١١	٤٤و٩٩٠و٧٠٠	٢٤و٧١٢و١٠٠ » »

« وكانت مالية الدولة قد وضعت بمقضى معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ تحت أشراف هيئة الديون العثمانية المؤلفة من ممثلى الدول الأجنبية كانجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا وكانت هـذه الهيئة الأجنبية تقوم بتخمين وتحصيل وصرف واردات الدولة من انحصار الملح والدخان ورسوم الطوابع وضرائب السمك والكحول والحرير . ولم يكن أعضاء هذه الهيئة فى الحقيقة سوى رسل الرأسماليين من أبناء بلادهم كما هى حال جميع الأجانب المستخدمين فى البلاد المتأخرة وكانوا القابضين على الشئون الاقتصادية يسيرونها حسبما تقتضيه مصلحة الرأسماليين الأوروبيين [١] »

وإذا تأملنا ميزانيـة الدولة فى ١٩١١ / ١٩١٢ وجدنا ما دفع منهـا من الديون العامة ١١و٢٨٨و٠٠٠ ليرة تركية أى ما يعادل ٣٠و٧ ٪ من الميزانية

---

(١) على طريق الهنـد ص ٩٩ — ١٠٠

العامة ، ٠٠٠و٢٨٠و١١ لوزارة الحربية ، ٥٠٠و٧١٨و١ للبحرية وتعادل ٧و٤ ٪ و٠٠٠و٤٢٩و١ للبوليس وتعادل ٩و٣ ٪ و٠٠٠و٨٥٠ للتعليم وتعادل ٣ و٢ ٪ ، ٠٠٠و٣٧٣ للتجارة والزراعة وتعادل ١ ٪[١] .

وكان العجز فى الميزانية ٥٣١و٦٢٨و٢٢ سدد من الديون الخارجية وكان كل دين يزيد الحالة سوءا لأنه لا ينفق لتنمية موارد البلاد بل يسد عجزا طارئا فى المصروفات الجارية .

وكانت الدولة تجابه هـذا النقص الواقع فى الدخـل القومى باقتطاع المصروفات فى الأمور الضرورية فتهمل التعليم والصحة والتطور الاقتصادى والإصلاح الإدارى . وكان من أهم عوامل الفساد فى الدولة طبقة طفيلية كبيرة من الموظفين تصل مرتباتهم فى بعض المصالح إلى ٢٥ ٪ من ميزانيه المصلحة ، وكانت مرتباتهم دون مستوى المعيشة فانفتح أمامهم باب الرشوة وأصبح دافع الضريبة مرهقا بضريبة جديدة قد تـكون أعلى من الضريبة الأصلية .

(٣)

والآن وقد استعرضنا حالة الدولة العثمانية فى أواخر أيامها نستطيع أن نرى أن ولاية طرابلس وهى ولاية فقيرة بعيدة عن مركز الدولة ، يصعب الاتصال بها ، ما كانت لتجد من هذه الدولة رعاية أو عناية ، ويكفى أن نقول إنه فى فترة العصر العثمانى الثانى (١٨٣٥ – ١٩١١) أى فى مدى سبعة وسبعين عاما ولى على طرابلس ثلاثة وثلاثون واليا ، بلغت مدة ولاية بعضهم عاما

---

(١) Turkey in tbe World War pp. 94—95.

واحدا ، فلم يكن يتسنى للوالى أن يبقى فترة تمكنه من العمل على النهوض بالبلاد كما نرى مثلا فى ولاية مدحت باشا بالعراق فى هذه الفترة ، هذا إلى ما انحدرت إليه هيبة الوالى والدولة نتيجة الفتن المتلاحقة ، وثورات القبائل ، حتى لقد انحصر السلطان التركى على الساحل .

وكانت طرابلس مركز الوالى العثمانى وقد قسمت الولاية أربعة الوية أو مديريات هى لواء طرابلس ولواء الخمس على الساحل ، ولواء فزان ولواء الجبل فى الداخل .

وكانت برقة لواء يتبع ولاية طرابلس أحيانا وينفصل عنها أحيانا ، وكان الأمر فيه إلى متصرف تركى أو نائب الوالى ، وله حق الاتصال المباشر بالقسطنطينية فى المسائل الإدارية أما المسائل العسكرية والقضائية والبريد والجمارك فمرجعه فيها إلى الوالى فى طرابلس .

وقد حاول بعض الولاة مثل المشير رجب باشا (١) القيام ببعض الاصلاحات فى النظام القضائى وتحسين الحالة الاقتصادية والحد من امتيازات قناصل الدول الأجنبية التى حصلوا عليها فى العهد القرمنلى ، ولكنهم كانوا دائما موضع حسد رجال الدولة فى العاصمة ، فلا يلبث الوالى المصلح أن يعزل ويولى مكانه حسيب أو قريب .

وكان لهذا الاهمال من جانب الدولة أثره فشاعت فى الولاية موجات

---

(١) عين واليا على طرابلس عام ١٩٠٤ وبقى ٦ سنوات وكان من أشد الناس وطأة على السياسة الايطالية — (جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب ص ٩ وما بعدها)

العصيان والثورة ونجحت هذه الثورات فى إجهاد الحكومة وإضعافها وان فشلت فى تحقيق التخلص من العثمانيين .

وكانت موراد البلاد الطبيعية مهملة ، تستولى الدولة على كل ما تستطيع منها فهى تحتكر الملح والاسفنج والتبغ وتفرض الضرائب الباهظة على الأراضى والتجار ورؤوس الماشية والعشر على الحبوب ، عدا ما يبتزه الموظفون والحكام . وقد أشرنا إلى ما وصل إلى يدنا من احصائيات عن حالة البلاد فى أواخر الحكم التركى فيما سبق .

وقد حاولت الدولة العثمانية فى عهد السلطان عبد الحميد أن تتشبث أزاء هذا الخراب الاقتصادى بشىء يبقى عليها وحدتها ويجمع بين شعوبها لمناهضة أطماع الدول الاستعمارية فكانت فكرة الجامعة الاسلامية . وقد حاول السلطان عبد الحميد أن يتقرب بهذه الفكرة إلى أهالى ليبيا كما فعل فى الولايات الأخرى ، فأخذ يظهر الرضا عن السنوسيين والعطف على السيد المهدى ، وإن أبطن الشك فى نيات السنوسية ، وخشى استفحال أمرها حتى تهدد الخلافة العثمانية ، وتخلت الدولة عن مظاهرة الشرفاء المحمودية ارضاء للسنوسية .

وفى سنة ١٨٨١ احتلت فرنسا تونس وكان لذلك أثر بعيد فى طرابلس وفى دار الخلافة . فقد اتجهت الدولة إلى تقوية روابطها بالولاية ، وعملت على شد أزر التونسيين فأرسل الوالى عزت باشا بأمر من القسطنطينية السيد محمد النائب شيخ البلد إلى تونس للاتصال بأهل البلاد . ولجأت قبائل من جنوب تونس إلى طرابلس ، وعززت الدولة الحامية العسكرية وأنشأ الوالى الجديد نظيف باشا معسكرات على الحدود لمعاونة الحركات الثورية فى تونس وأقيمت استعراضات للقوات الوطنية . وصدر فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠١ فرمان يبطل الامتيازات التى منحت فى سنة ١٨٣٥ خاصة بالاعفاء من الخدمة العسكرية الاجبارية والضرائب .

وقد حاولت الدولة فى هذه الفترة أيضا أن تمد سلطانها جنوبا ، فأرسلت حامية لتحتل منطقة تشاد بعد أن ذبحت حاميتها الأولى فى سنة ١٨٨٦ . ومن سنة ١٩٠٦ / ١٩١٠ حاول الأتراك احتلال جانت وهى واحة جنوبى شرقى تشاد تبعد عنها ٧٥ ك م ثم أرادوا فى سنة ١٩٠٩ / ١٩١١ أن يمدوا سلطانهم فى اتجاه برقو فاحتلت القوات التركية عين جالاكا وبارداى وصادف هذا التقدم مقاومة من القبائل النازلة هناك ، كما ناهضته فرنسا فاضطر العثمانيون إلى التقهقر .

وفى ٢٤ يولية سنة ١٩٠٨ حدثت الثورة التركية التى أنهت حكم عبد الحميد وألقت مقاليد الدولة فى أيدى جمعية الاتحاد والترقى . وقد قوبلت هذه الثورة فى طرابلس كما قوبلت فى جميع أقطار العالم الاسلامى بحماس عام وكان الناس يرون فيها نهاية عذاب دام ثلاثين عاما ، وعلامة على خلاص الدولة وتجددها . ولكن رجال تركيا الفتاه لم يقصروا فى الانتقام من شيعة النظام القديم ومن العرب ومن رجال الدين ، وقد قامت فى طرابلس اضطرابات أيدها حسن القرمنلى حفيد الأسرة المالكة القديمة وطالبت أغلبية الناس بابعاد رجال تركيا الفتاة الذين كانوا منفيين فى الولاية ، فرحلوا إلى القسطنطينية فى أول أغسطس سنة ١٩٠٨ مع رجب باشا والى طرابلس فى ذلك الحين ، وكان قد عين ناظرا للحربية .

ويظهر أن العناصر البربرية كانت أميل إلى الثورة فاشتركت القبائل الأباضية فى انتخابات مجلس المبعوثان وانتخبوا الشيخ سليمان البارونى نائبا عن الجبل . وكان الشيخ ممن ناهضوا استبداد عبد الحميد وقد اشترك — حينما نزل مصر — فى جمعية سرية ثورية وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة مدى الحياة ثم صدر العفو عنه ولبث تحت رقابة الشرطة السرية فى طرابلس .

لم تستقم الأمور للاتحاديين فكثرت الثورات الداخلية حتى لقد نشب منها فى خلال عامين ست ثورات اربع فى بلاد العرب واثنتان فى بلاد الألبان ، فكانت ثورات الدروز والكرد والإمام يحي فى اليمن والأدريسى فى عسير ، هذا عدا الفتن الداخلية الموضعية الأخرى التى اتقدت فى العراق وشرقى الأناضول فأخمدتها الدولة دون كبير عناء .

ولاشك أن تتابع الفتن واتساع دائرة التنافس بين شعوب الأمبراطورية وسياسة الاتحاديين فى تتريك الشعوب العثمانية ورجوعهم إلى الأساليب الحميدية العتيقة ، وفساد أداة الحكم فى الدولة وأفلاس الخزينة ، وظهور الانقسام بين ضباط الجيش واشتداد الجفاء بين زعماء البرلمان وقيام وزارة إبراهيم حقى باشا الضعيفة — كل ذلك جعل الدولة عاجزة مشلولة حين عزم الطليان على احتلال طرابلس عام ١٩١١ .

ولا أدل على ذلك من أن الدولة استدعت إبراهيم باشا[١] والى طرابلس استرضاء لإيطاليا حين ادعت أنه يقسو فى معاملة الجالية الإيطالية ، واستدعت كذلك قائد الحامية البكباشى وحيد بك ونقلت جانبا من القوات إلى اليمن فلم يبق فى البلاد سوى ثلاثة آلاف جندى .

وبين يدينا وثيقة تبين إلى أى مدى أهملت الولاية عشية الغزو الإيطالى وهى طلب قدمه محمود ناجى بك وصادق بك مبعوثا طرابلس إلى رياسة مجلس النواب العثمانى لمحاكمة حقى باشا وزملائه باعتبارهم مسئولين عن الكارثة التى حلت بالولاية وبالدولة .

وتنقسم هذه العريضة قسمين :—

فى القسم الأول بيان لما كان ينبغى أن تقوم به الدولة من تقوية البحرية ووضع سياسة خارجية قوية وجعل إدراة الولاية فى أيدى أبنائها وحسن تدبير الشئون المالية .

---

(١) راجع جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب للطاهر الزواوى ص ١٨ — ٢١

وفى القسم الثانى عد لسوءات وزارة حقى باشا السياسية والإدارية التى ارتكبها فى طرابلس الغرب[1] نثبتها بنصها كما جاءت فى الوثيقة :

أولا : كان عدد الجيش المرابط دائما فى طرابلس الغرب حتى فى العهد السابق يتراوح بين ١٥ / ٢٠ ألفا . وأنشئت فى ذلك الحين فرق من الأهالى (قول أوغلى) يتراوح عددها بين أربعين وخمسين ألفا ، وكانوا يتمرنون على استعمال السلاح حتى صار فى إمكانهم معاونة الجيش النظامى .

أما وزارة حقى باشا فلم تكتف بإهمال هذه القوة الأهلية كل الإهمال بدلا من أن تعنى بتنظيمها بل سيرت عدداً من الجيش النظامى إلى اليمن ولم ترجعه ولا استبدلته بسواه وكانت هذه القوة مؤلفة من آلايين فأنزلت إلى آلاى واحد بناء على هذا هبط عدد جنود طرابلس من أربعين ألفا إلى أقل من خمسة آلاف .

ثانيا : أن الأهالى ما فتئوا منذ إعلان الدستور يطلبون متشوقين الانتظام فى الجندية حتى أنهم قدموا طلباتهم مرارا بدفك لدفع التعدى عن وطنهما ولكننا نقول أنه بالرغم من مخاطبتنا الشفاهية والتحريرية ومن قبول مجلس النواب والحكومة فتح اعتماد فى ميزانية سنة ١٣٢٦ (١٩١٠) لعسكر طرابلس وبنى غازى ... لم يبدأ بإجراء ذلك إلا فى هذه السنة أى منذ أربعة أشهر وذلك فى طرابلس الغرب فقط ، ونقول والأسف ملء صدورنا أن هذا العمل لم ينفذ فى شكل ملائم لحاجة البلاد ، فقد أخذ ثلاثة آلاف وأربعمائة فقط من الأفراد الداخلية فى الأسنان العسكرية مع أن عددهم هو ستة عشر ألفا ولم تطلب الحكومة سواهم فكان إهمالها هذا سببا فى تثبيط همم الأهالى مع أنهم يودون أداء الخدمة العسكرية بشوق عظيم ، ثم أنها

---

(١) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة . ج ٢ ص ٤٥٠ — ٤٥٧ . جهاد الابطال ص ٣٦ — ٤٢ ويلاحظ اختلاف الرواية عن الأصل التركى .

لم تهمل أمر القرعة (التجنيد) فقط بل أهملت أمر الريف أيضا (الاحتياطى)

ثالثاً : كانت حكومة العهد السابق قد احتاطت للطوارىء فى طرابلس فحفظت فيها ٤٠٠٠٠ بندقية من طراز مارتن وشنيدر لتسليح الفرق المؤلفة من الأهالى حين الحاجة إلى معونتهم فنقلت هذه البنادق الى الأستانة بحجة استبدالها بسلاح جديد ولم ترسل أسلحة بدلا منها .

كانت المدافع وغيرها من الأسلحة ترسل إلى طرابلس فى العهد السابق سراً مع أن خصومنا كانوا يعترضون على إرسالها فى ذلك الحين ولكن هذا المحذور زال فى عهد الدستور ولم يبق هناك مايعوق إرسال الأسلحة وتحصين ولاياتنا لأن مجلس النواب كان على استعداد لأن ينفق المال فى سبيل الدفاع عن الوطن . ومع هذا تركت الوزارة ولايتنا ولم تعمر استحكاماتها مع أنها مطمح أنظار الأعداء .

رابعاً : يعرف الأطفال قبل الحكومات أن الإيطاليين طامعون فى الاستيلاء على ولاية طرابلس الغرب أن عاجلا أو آجلا ، ولهذا كان واجباً على الضباط الذين فى طرابلس والموظفين أن يكونوا ملمين باللسان العربى وواقفين على الأحوال العسكرية وطبيعة الأراضى ليستطيعوا قيادة العساكر الأهلية التى يجب ضمها إلى العساكر النظامية حين حدوث خطر كالخطر الذى نحن فيه الآن ، ولكن الحكومة استقدمت جميع الضباط المحليين المتخرجين من المكتب الحربى إلا قليلين منهم وضباطاً آخرين تعلموا اللسان المحلى وعرفوا طبيعة الأراضى لطول مدة استخدامهم هناك فظلت محلاتهم خالية ولم ترسل ضباطاً سواهم مع شدة الحاجة ، ولم تشترط الحكومة على العدد القليل الذى أرسلته بدلا منهم وجوب معرفة اللسان المحلى .

وبناء على هذا حرم الأهالى الذين تسلحوا للدفاع عن بلادهم من الأعداء ، قواداً يفهمونهم ويقودنهم أبان الحرب . ولقد بات هؤلاء المنكودو الحظ فى يأس وألم عظيمين .

خامساً : ان أهل طرابلس الغرب الذين قاموا فى وجه العدو مدافعين عن ولايتهم الى فقدت أسباب الدفاع تقريباً أحلت بلادهم منذ أربعة أعوام ، وابتلوا بغلاء وجدب شديدين هما فوق حد التصور ، ولقد أوضحنا ذلك لحضراتكم منذ سنين فى مخاطباتنا الشفاهية وتقاريرنا الخطية . علمت وزارة حقى باشا ذلك كله منا ولكنها لم تحرك ساكناً بل تركت أهل طرابلس فى احتياج شديد وضيق خانق يتضورون جوعا .

ولما رجعنا إلى بلادنا فى عطلة مجلس المبعوثان رأينا مائتى ألف نفس من أهلها قد هاجروا إلى تونس والبلاد الأخرى من شدة الفاقة وسوء الحال ، والتجأ أربعة آلاف نفس من الشيوخ والمرضى والاطفال والنساء إلى مركز الولاية لعلهم يجدون بلغة بالسؤال والاستعطاف ، وقد مات ٥١٤ نفسا من هؤلاء جوعا فى أثناء أربعة أشهر أى من شهر مارس الى نهاية يونية ، هذا بالرغم مما عرض على مقام الصدارة خطيا وتلغرافيا فى أوائل شهر يولية سنة ١٩١١ لإعطاء الثمانية آلاف ليرة الباقية من العشرة آلاف ليرة - وهو المبلغ الذى طالبت الحكومة تخصيصه وصادق مجلس المبعوثان على صرفه - ولم تعمل الحكومة شيئا .

ثم أن الستمائة ألف كيلة شعير التى قررت الحكومة توزيعها على الاهالى على سبيل القرض للتقاوى والاكل ونظمت المادة القانونية لها وصودق عليها لم ترسلها الحكومة حتى إعلان الحرب .

فالولاية جردت من القوة النظامية وترك أهلها فباتوا فى حالة لا تمكنهم من الدفاع بل تركوا عرضة للجوع ولجور عدو ظالم .

سادساً : من الواجب على الموظفين الملكيين الذين يعينون فى ولايات عرضة لاطماع الاعداء أن يكونوا ذوى مقدرة وكفاءة وعارفين اللسان المحلى

ليستطيعوا تولى المهام وادارة الشئون وان تعيّن الحكومة اشراف أهل البلاد وذوى النفوذ فى بعض البلاد بوجه استثنائى ، ولكن وزارة حقى باشا أهملت ذلك كله وعينت بعض الاخصاء فى طرابلس الغرب . فأضاع الاهلون الرجاء من الانتفاع بخدم موظفى الحكومة .

سابعا : أن أهمية هذه الولاية فى غير حاجة للبيان والتعريف فكان الواجب ألا تترك يوما واحدا بلا وال ولا قائد ، ولكن الحكومة عزلت أخيرا واليها إبراهيم باشا بناء على طلب إيطاليا واستدعته إلى الآستانة قبل أن تعين آخر مكانه .

وبينما الإيطاليون يستعدون لقضاء أغراضهم تركت الحكومة القيادة بيد ضابط برتبة أميرالاى والولاية بيد سكرتير غير مجرب ولا ممرن ولا يفهم اللسان المحلى والعادات المحلية فكان لهذه التصرفات فى أهل الولاية تأثير سيء عظيم ، حتى عادت الاشاعات الكاذبة التى كان خصومنا يجتهدون فى نشرها منذ زمان ونجتهد نحن فى محوها من الأذهان ، كقولهم للبسطاء والعوام أن الحكومة العثمانية كفت يدها عن إدارة هذه الولاية ، أوأن الدولة تريد بيع مملكتهم . فهذه الأقوال وأمثالها ضرت النفوس وأضعفت الهمم وثبطت العزائم

هذا وقبلما تقع هذه الحوادث المهمة استقدمت الحكومة إلى الآستانة البكباشى وحيد بك المتخرج من المكتب الحربى وقومندان الاستحكام الذى يعول عليه وحده فى الدفاع حين هجوم الأسطول الإيطالى ولم ترسل قومندانا آخر بدلا منه ففقدت المدينة أسباب الدفاع تماما بهذا الشكل .

ثامنا : وغنى عن البيان أن الطليان لم يخفوا مايضمرونه وهو الاستيلاء على طرابلس الغرب وبنى غازى منذ سنين طويلة وأنهم كانوا يجاهرون بذلك لجميع الملل ولا سيما العثمانيين كلما وجدوا إلى المجاهرة سبيلا ، وقد تنبهوا لمد نفوذهم فى الأيام الأخيرة تنبيها عظيما مترقبين الزمن المساعد ، فكان الواجب

على حقى باشا قبل كل شىء أن يعرف حقيقة الأمر وهو فى سفارة روما وأن يعرف أهمية هذه المسألة أكثر مما يعرفها سواه .

ولكن لم ينتبه إلى انذارات مجلس النواب ولا إلى ما شهده واطلع عليه بالدات ولا إلى بلاغات خلفه سفير روما ولا كتابات قائم مقام الولاية العديدة ، اغتنمت ايطاليا الفرصة التى كانت تترقبها وبينما كانت ايطاليا تفاتح الدول فى أثناء مسألة فاس لتحقيق آمالها فى طرابلس الغرب وتعد جيشها وأسطولها للاستيلاء كان حقى باشا يشهد هذه الأمور من بعيد ، أغرب من هذا أنه صرح لسفرائنا فى أوربا بأجازات حتى إذا تفاقم الأشكال وبلغ حده من الشدة لم يكن إلا قليلون منهم فى أماكن وظائفهم ، فيظهر من هـــذا البيان ماساعدت الحوادث به خصومنا علينا .

تاسعاً : كان الواجب بذل الهمة فى جعل القوة القليلة النظامية المحلية التى هناك قادرة على المقاومة ولو زمنا قليلا بينما كان الأعداء يستعدون للهجوم ولكن الحكومة لم تعن بهذا ، وظلت حتى اعلان الحرب لاتحرك ساكناً ولا تصدر أوامر ، بل أن النقود الكافية التى يتوقف عليها الدفاع لم تكن قد وصلت فجعل ذلك الدفاع مستحيلا مع أنه كان ممكنا ، فهذا كله سهل للعدو الاستيلاء على الولاية .

فيتبين مما تقدم أن الحكومة تركت طرابلس الغرب وبنى غازى ميراث أجداد العثمانيين عاجزتين عن الدفاع من كل وجه ، تركتا بلا عسكر ولا سلاح ولا ذخيرة ولا ضباط ولا وال ولا قائد ولا مؤن ولا مال تركتا جائعتين فقيرتين .

أشهد تاريخ الأمم عمى إلى هذا الحد . أرأى اهمالا كهذا الاهمال . أوجد ضعف محبة الوطن كهذا الضعف » .

الفصل الثانى

السنوسية

---

(١)

السنوسية فى الأصل طريقة صوفية أنشأها فى القرن التاسع عشر السيد محمد بن على السنوسى (١٧٩٧ - ١٨٥٩) رغبة فى تجديد الإسلام والرجوع به إلى مصادره الأولى، ومشاركة فى النهوض بالأمة الإسلامية، على أن هذه الطريقة الجديدة لم تكن كغيرها من الطرق الصوفية التى ظهرت فى القرون المتأخرة من جعل الكشف وسيلة العلم، ومن البعد عن الحياة الدنيا والعكوف على أنواع من الرياضات البدنية والنفسية كالذكر وغيره والانصراف عن طلب الرزق إلى الاعتماد على المحبين والمريدين فى مديد العون والمساعدة.

كان مؤسس السنوسية يرمى إلى توحيد الطرق الصوفية المختلفة، وبالتالى توحيد الأمم الإسلامية وطريقه إلى ذلك ابراز الأصول الجوهرية للاسلام مما يجتمع عليه المسلمون كافة، والعودة إلى يسر الدين فى عصر النبى (ص) وخلفائه، فالعمدة فى الأصول الكتاب والسنة التى جمعتها الكتب الستة الصحاح. وبذلك تستبعد السنوسية الأصلين الآخرين وهما الإجماع والقياس. على أن السنوسية لا ترفض الإجماع والقياس رفضا باتا، وإنما تقبل من الإجماع إجماع الصحابة، وتقف من القياس موقف المالكية الوسط.

ولا تعترف السنوسية باقفال باب الاجتهاد بعد الأئمة الأربعة وهو الرأى عند علماء السنة، بل تقرر أنه من حق المسلم أن يرجع مباشرة إلى الكتاب

والسنة ويستنبط منهما الأحكام . وأن يرجع إلى المذاهب الأربعة كلها دون أن يتقيد بمذهب بعينه ، وينبغى للمسلم ذى الأهلية ألا يقصر عن الإجتهاد فإذا استطاع الإجتهاد فهو تابع وإذا قصر دونه فهو مقلد ولكن لا على مذهب بعينه كما أن المفتى الذى يلجأ إليه لا يتقيد بمذهب .

على أن اجتهاد السنوسية مشروط بوجود نص من الكتاب أو السنة أو ما يشبه النص ، أما الرأى فلا محل له . والإجتهاد عند السنوسية اجتهاد مطلق منتسب . أى أن الرجوع إلى الكتاب والسنة متاحان ولكن المجتهد يتبع فى أصول الفقه طريقة أحد المذاهب الأربعة ، وكان السيد السنوسى نفسه مالكيا بهذا المعنى . وقد خالف السيد شيوخ المالكية فى القول بالإجتهاد وفى المسائل العشر الخاصة بالصلاة ، فكان يقرأ البسملة بصوت ويصمت بعد قراءة الفاتحة ويرفع صوت المصلين بالفاتحة وراء الإمام ويطيل الركوع والسجود ويقرأ القنوت بصوت ويرفع اليدين قبل الركوع وبعده ، وذلك كله على غير ما تقول به المالكية عامة .

وهذه الأمور وان قال السيد أنها موضع خلاف عند مالك نفسه ولا تخرج به عن المذهب ، فان شيوخ المالكية ناصبوا السيد من أجلها العداء حتى لقد أراد الشيخ محمد عليش من شيوخ الأزهر أن يطعن الشيخ بحربة لولا أنه كان قد غادر القاهرة .

وتمتاز الطريقة السنوسية بأنها تتخذ الدعوة السلمية للاسلام أساساً لها فلم تقصد قط إلى نشر الدين أو المذهب عن طريق السيف كما حدث قبلها لدى الوهابيين ، بل سبيل السنوسية الإقناع ونشر تعاليم الدين والطريقة عن طريق الزوايا وشيوخ الأخوان ، وقد نجحت نجاحا رائعا فى نشر الإسلام فى مناطق مجهولة من أواسط أفريقيا بين القبائل الوثنية المنتشرة هناك .

والزاوية اسم كان يطلق قبل السنوسية على مجتمع الدراويش عند الطرق الصوفية يمارسون فيه حياتهم الدينية القائمة على التجرد من الدنيا. أما الزاوية السنوسية فهى مركز دينى وثقافى واجتماعى . كان السيد يرسل شيخا من أتباعه إلى قبيلة ما أو كانت القبيلة تدعو السيد إلى أن يرسل أحد اتباعه إليها فتؤسس الزاوية وهى عبارة عن فناء واسع تحيط به مرافق هى مسكن الشيخ ومسجد ومضيف وخلوات لسكنى التلاميذ أو الأتباع ومحل لإيواء اللاجئين إلى الزاوية ، وتدور هذه المرافق كلها حول الفناء الذى كان محط رجال القوافل ، وبه بئر للسقيا ومخزن للمتاع . وتنشأ الزاوية غالبا فى مكان حصين على جبل أو نحوه وتكون أشبه بالقلعة إذا احتاج الأمر إلى الدفاع عنها . وكانت القبيلة تنزل للزاوية عن أراض حولها يزرعها الأخوان . وعلى كل فرد من القبيلة حراثة يوم وحصاد يوم ودراس يوم فى أرض الزاوية .

ويقوم على الزاوية مقدم هو شيخها والقيم عليها والذى يتولى أمور القبيلة أو الناحية ويفصل فى الخصومات بين أهلها ، ويلى المقدم الوكيل وهو كالحاكم المدنى وهو يتولى الدخل والخرج وينظر فى زراعة الأراضى وجميع الشئون الاقتصادية . ثم لكل زاوية شيخ يقيم الصلاة ويعلم الأحداث ويباشر عقود النكاح والصلاة على الجنائز الخ .

وتشجع السنوسية الاخوان على الزراعة والتجارة وتدعو إلى اتقان الرماية لحماية الطريقة من العدوان .

(٢)

بدأت الطريقة السنوسية على هذا النحو من الاتجاه الدينى العمرانى على يد مؤسسها السيد محمد بن على السنوسى . ولد السيد فى بلدة مستغانم من أعمال الجزائر ثم رحل فى طلب العلم وهو فى أوائل العقد الثالث من عمره إلى فاس حيث بقى سنوات تلمذ فيها للشيخ أحمد التيجانى شيخ الطريقة التيجانية ، ثم انتقل السيد إلى الأغوات فى جنوب الجزائر ثم ذهب إلى فاس فطرابلس وبنغازى ثم مصر حيث بقى فترة يدرس بالأزهر أيام محمد على الكبير ، ثم انتهى به المطاف فى الحجاز وهناك درس على عدة أشياخ فى المدينة ومكة ولكن أبعد هؤلاء أثراً فيه كان السيد أحمد بن ادريس الفاسى (١٧٥٠ — ١٨٣٥) رئيس الطريقة الخضيرية وهى فرع من الطريقة الشاذلية ، وقد لزم السيد السنوسى السيد الادريسى حتى توفى هذا فى سنة ١٨٣٥ وكان السنوسى والسيد محمد صالح الميرغنى أخلص أتباعه . وبعد وفاة الادريسى انقسمت الطريقة شعبتين فكانت الطريقة السنوسية والطريقة المرغنية التى أصبح لها شأن كبير فى السودان . وأسست كلتا الطريقتين الزوايا بالحجاز ، وكانت أول زاوية أسسها السيد السنوسى فى جبل أبى قابوس قرب مكة . وكان ذلك عام ١٨٣٧ وهو تاريخ تأسيس الطريقة رسميا . ثم أسست الزوايا فى الطائف والمدينة وبدر وجدة وينبع . وقد قيل أن السنوسى أخذ يعلم البدو الزراعة إلى جانب تعاليم الإســـلام وبعد قليل أصبحت القوافل بين مكة والمدينة تتولى السنوسية .

على أن السيد قد اضطر إلى ترك مكة عام ١٨٤٠ ، قيل بضغط العلمـاء المخالفين لطريقته وقيل لتصريحه بأن الخلافة قد غصبها الأتراك العثمانيون لأنها لاتخرج عن قريش . خرج السيد من مكة متجها إلى الغرب فمر بمصر وبنغازى

وطرابلس حتى انتهى إلى قابس فى تونس ولكنه خشى أن يقبض عليه الفرنسيون فعاد أدراجه إلى طرابلس وبنغازى .

ويبدو أن السيد انما اختار النزول فى برقة دون غيرها لأنه وجد فيها مكانا ملائما لدعوته فهى من الناحية السياسية لم تكن تخضع للسلطان العثمانى إلا فى المنطقة الساحلية ، أما داخلية البلاد فالنفوذ فيها للقبائل المتنافرة وهى من جهة أخرى مجال صالح لنشر دعوته الدينية بين القبائل العربية التى كانت كانت حالتها الدينية متأخرة وهى ثالثا مركز متوسط على طرق القوافل بين الساحل مما يساعد على نشر الدعوة . وهى آخر الأمر فى منطقة الجبل الأخضر خصبة صالحة للزرع والحرث ولها ثغور على الساحل مثل بنغازى ودرنة تساعد على رواج التجارة وامكان المدد من الخارج .

وكانت أول زاوية أنشئت فى برقة زاوية البيضاء فى الجبل الأخضر عام ١٨٤٣ ثم انتشرت الزوايا السنوسية فى أنحاء البلاد وتوغلت فى الداخل فى الكفرة ووداية حيث كان السلطان محمد الشريف على صلة طيبة بالسيد . وفى سنة ١٨٥٦ أنشأ السيد زاوية جغبوب وانتقل إليها حين وجد السلامة فى البعد عن نفوذ السلطان العثمانى وأعداء العلماء المتمسكين بالقديم . ولم يلبث أن توفى فى عام ١٨٥٩ ودفن فى الجغبوب .

وضع السيد أساس الطريقة وألف فى أصولها كتبا طبع منها بعناية حفيده السيد محمد ادريس السنوسى : — (١) كتاب المسائل العشر بغية المقاصد وخلاصة المحاصل . (٢) ايقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن . (٣) السلسلات العشرة فى الأحاديث النبوية . (٤) السلسبيل المعين فى الطرائق الأربعين . وله كتب أخرى لم تطبع بعد : — (١) المنهج الرائق فى أسانيد

العلوم وأصول الطرائق . (٢) الشموس الشارقة فى أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة . (٣) وعجالة فى أول من ألف فى فن الحديث تصلح لأن تكون مقدمة للموطأ . كما ألف فى التاريخ كتاب (الدرر السنية فى أخبار السلالة الأدريسية) وفيه موجز أخبار من ملك المغرب منذ فتح المسلمون أفريقية فى خلافة عثمان (ر . ض) ووضع للطريقة نظامها الدقيق فأنشأ الزوايا ، وبذلك تحقق الشطر الأول من أهدافه وهو تجديد الحياة الإسلامية الدينية والرجوع بالإسلام إلى مصادره السمحة الأولى .

ووضع السيد كذلك أسس الأمارة السنوسية وهى الشطر الثانى من أهدافه وبذلك أوضح الطريق إلى ما ينبغى أن تكون عليه الدولة الإسلامية.

على أن السيد كان يدرك مبلغ قوته ولا يعد وطوقه فقد رأى أن يعكف على نشر الدعوة وتوطيد أركانها وتأليف الناس حولها وأعداد شئون الدفاع عنها قبل أن يخطو خطوته التالية لذلك آثر السيد العزلة عن العالم الخارجى ولاين السلطان العثمانى ليأمنه وقد سار خليفته السيد المهدى من بعده على هذه السياسة التى كان لها أثرها البعيد فى قوة السنوسية .

(٣)

وفى عهد السيد المهدى (١٨٤٤ — ١٩٠٢) بلغت السنوسية أوج انتشارها وربط السيد بين الجغبوب وبين الزوايا الأخرى بنظام دقيق من المراسلات . وقد قدرت الزوايا فى عام ١٨٨٥ بـ ٣٨ زاوية فى برقة وحـــدها وبلغت فى طرابلس ١٨ زاوية ، وفى فزان ٣٢ زاوية ، وفى تونس ١٧ ، وفى الجزائر خمس زوايا وفى مراكش ثمانى زوايا وذلك عدا ما أنشىء فى مصر والحجاز .

ولعل أهم ما يذكر عن انتشار السنوسية فى هذه الفترة هو امتدادها فى

جوف الصحراء فوصلت الدعوة السنوسية إلى قبائل التبو والتوارق فى الأقاليم الممتدة جنوباً إلى بحيرة تشاد هذا عدا ما ألمعنا إليه من انتشار السنوسية فى سلطنة وداى . كما امتدت أيضا فى جهات النيجر حول تامبكتو ، وكذلك فى بلاد كانم وبرقو .

وكما تأثر السيد المهدى والده فى نشر الدعوة فقد سايره فى اعتزال العالم الخارجى حتى تقوى الدعوة وتشتد فى الداخل . والواقع أن السيد المهدى حاول أن يتبع سياسة الحياد الدقيق ، فحاول أن يسترضى السلطان عبد الحميد ويعلن الولاء لدولة آل عثمان ولكنه فى الوقت نفسه لم يلب نداء السلطان حين طلب منه المشاركة فى الحرب ضد روسيا سنة ١٨٧٧ ، ولم يحاول كذلك أن يقدم المعاونة لتونس حين احتلتها فرنسا ١٨٨١ ، ولم يتصل برجال الثورة العرابية فى مصر عام ١٨٨١ ، ولم يؤيد الثورة المهدية فى السودان ، ولم يستجب لاغراء بروسيا بالتدخل ضد فرنسا فى أفريقية الغربية .

اتخذ السيد خطة الحياد ولكنه دفع دفعا إلى تغيير هذه الخطة عند ما خافت الدول الغربية من انتشار السنوسية على امتداد نفوذها فى أواسط أفريقيا فأخذت تستعدى عليها السلطان وتدعى أن السنوسية ترمى إلى الخروج على الخلافة العثمانية . فانتقل السيد إلى واحة الكفرة فى الداخل ، واتصلت المراسلات والسفارات بينه وبين السلطان عبد الحميد حتى اطمأن السلطان إلى السنوسية وأصدر فرمانا باعفائها من الضرائب الأميرية ومن الأعشار ، وأصبح الوالى العثمانى فى طرابلس ونوابه فى أنحاء البلاد يعترفون للسنوسية بمقام ممتاز .

وحين أمن السيد المهدى جانب السلطان اتجه إلى مقاومة عدوان فرنسا فى أفريقيا الغربية فقد أخذت فرنسا ترسل الحملات للقضاء على الأمارات الاسلامية حول بحيرة تشاد ، وأخذ الفرنسيون يتغلغلون فى أفريقيا العربية

عن طريق نهر سنغال فاحتلوا سنغال الأعلى وأسسوا مستعمرة جديدة فى الكنغو ثم امتد نفوذ الفرنسيين على شاطىء النيجر الأعلى واحتلوا تمبكتو عام ١٨٩٤ ، واستطاعوا الاتفاق مع انجلترا فى ١٨٩٠ ومع ألمانيا فى ١٨٩٤ على أن يكون معظم الصحراء الوسطى والغربيـــة منطقة نفوذ فرنسية . كما اعتبرت الأراضى الممتدة حتى بحيرة تشاد من ناحية وخط تقسيم الكنغو من ناحية أخرى مناطق تخضع للنفوذ الفرنسى أيضا .

رأى السيد المهدى الخطر الفرنسى يهدد مناطق تعتبر مخافر أمامية لنفوذ السنوسية فحاول أن يوفق بين الأمارات الاسلامية لتتحد فى مقاومة الغزو الفرنسى وانتقل إل زاوية قروفى برقو عام ١٨٩٩ ليكون قريباً من الميدان ، ولكن الفرنسيين استطاعوا إدخال سلطنة وداى فى منطقة نفوذهم وتقدموا صوب كانم فاستعد السنوسيون لمقابلتهم وجعل السيد المهدى لابن أخيه السيد أحمد الشريف إدارة الحرب والجهاد ضد الفرنسيين واشترك فى القتال قواد مبرزون من السنوسيين على رأسهم سيدى محمد البرانى والسيد عمر المختار ولكن المعدات الحديثة فى أيدى الفرنسيين جعلت لهم الغلبة فى المعركة الدامية التى دارت حول زاوية بير العلالى فى يناير سنة ١٩٠٢ . وتم للفرنسيين احتلال كانم ولم تلبث سلطنة وداى أن اعترفت بالاحتلال الفرنسى فى يناير سنة ١٩٠٣ . وفى هذه الفترة توفى السيد المهدى فى قرو فى أول يونيه سنة ١٩٠٢ .

(٤)

انتقل أمر السنوسية إلى السيد أحمد الشريف فى الفترة التى أخذت السنوسية تواجه فيها خطر الإستعمار الأوروبى ، وقد بدأ هذا الخطر فى امتداد مطامع الفرنسيين فى أفريقيا الغربية وتهديدهم للسنوسية من الجنوب ، وقد حاول السيد أحمد الشريف أن ينهض سلطنة وداى من جديد ، ونجح فى ذلك . ولكن الفرنسيين استطاعوا أن يخضعوها نهائيا فى عام ١٩٠٩ . وكان الجهاد الحقيقى بين السنوسيين والفرنسيين فى جهات تبستى وبرقو وأنيدى ، وكان الفرنسيون كلما استولوا على زاوية هدموها وعطلوا الشعائر الدينية فيها وأقاموا مكانها حصنا . فلجأ السيد أحمد الشريف إلى تركيا يدعوها إلى مؤازرة السنوسيين فأرسل جند نظاميون فى عام ١٩١٠ إلى برقو وتبستى واستمرت المناوشات بين السنوسيين والفرنسيين حتى اضطر السنوسيون إلى الإنسحاب والتحول عن حرب فرنسا حين نزلت ايطاليا بقواتها فى طرابلس عام ١٩١١ فنهض السنوسيون فى برقة لمواجهة هذا العدو الجديد .

الفصل الثالث

الغزو الإيطالى

---

[١]

قسمت القارة الأفريقية بين الدول الأوربية فى أثناء حركة التوسع والتنافس الاستعماريين اللذين بلغا غايتهما فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر . لم يكن لتقسيم القارة صلة بالقومية أو التراث الاجتماعى أو أى مبدأ آخر معروف ، بل امتدت الأمبراطوريات البيضاء من مراكز تجارية على الساحل حتى ألحقت داخلية القارة الشاسعة بإحدى الدول الاستعمارية المتنافسة . وكان بعض العمل لشركات مستغلة ترمى إلى التجارة والكشف والبحث عن الموارد المعدنية فكانت شركة جنوب أفريقيا وشركة النيجر الملكية وشركة موزمبيق البرتغالية والشركة العالمية التى كانت ملكا خاصا للملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا .

وكان هدف الدول الاستعمارية - ولا يزال - استثمار رءوس الأموال فى المستعمرات والحصول على المواد الخام والاستفادة من أجور العمال الضئيلة ، ثم الحصول على مراكز استراتيجية لحماية هذه المصالح ، ولذلك نجد أن الاستعمار ينتقل من مرحلته الاقتصادية إلى مرحلته السياسية التى هى إخضاع شعوب المستعمرات لسكان الدولة المستعمرة فضلا عن إخضاعها إقتصاديا . ثم يكون بعد ذلك التنافس بين الدول المستعمرة المختلفة فيما بينها

هى نفسها . ثم فيما بينها وبين غيرها من الدول التى لا تملك مستعمرات ، وينتهى هذا التنافس إلى إحدى نهايتين فأما الحرب وأما المساومة والتفاهم .

وقد دخل النفوذ الأوربى أفريقيا من الجنوب والغرب والشرق وأخيرا من الشمال وكانت بريطانيا أسبق الدول إلى إفريقيا لأن دوافع الاستعمار التى ألمعنا إليها تمت فيها بالثورة الصناعية قبل غيرها من الدول بقرن تقريبا. وقد بدأ إستعمارها فى أفريقيا منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وقام التنافس بينها وبين فرنسا وألمانيا القيصرية وكان ذلك التنافس الأستعمارى من أهم البواعث على الحرب العالمية الأولى . وقد خرجت ألمانيا القيصرية بعدها من الميدان ووزعت مستعمراتها بين فرنسا وبريطانيا وبلجيكا .

ودخلت إيطاليا ميدان الاستعمار متأخرة ، بعد أن تمت وحدتها عام ١٨٧٠ وكان التنافس بين الاستعمارين البريطانى والفرنسى من أهم العوامل التى ساعدت على قيام امبراطوريتها فى شرق أفريقيا وشمالها .

وفى أواخر القرن التاسع عشر انتهزت الدول الاستعمارية فرصة ضعف الدولة العثمانية ، وأخذت تمد نفوذها الاقتصادى فى أرجاء الدولة كما نرى فى مشروع سكة حديد بغداد مثلا ، كما أخذت تقتطع الولايات العثمانية واحدة بعد واحدة فاحتلت فرنسا تونس واحتلت بريطانيا مصر واحتلت إيطاليا طرابلس واستمرت هذه السياسة حتى قضى على الامبراطورية العثمانية تماما بعد الحرب العالمية الأولى .

وقعت إيطاليا بين المعسكرين الاستعماريين بريطانيا وفرنسا — على ما بينهما من منافسة — من جانب ، وألمانيا والنمسا من جانب آخر . وترددت سياستها بين العناية بأمورها الداخلية والاتجاه إلى التوسع فى أفريقيا . وكان كريسبى رئيس وزراء إيطاليا (Francesco Crispi) داعية الاتجاه

الثانى . فكانت سياسته ترمى إلى إنشاء ممر إيطالى من سواحل البحر الأحمر عبر السودان إلى طرابلس .

كانت إيطاليا متجهة بمطامعها الاستعمارية نحو شمال أفريقيا . وكان التنافس فى هذا المبدان شديداً بين بريطانيا وفرنسا وقد بلغ أشده فى مصر ، ولكن بريطانيا استطاعت أن تحتل البلاد وتنحى النفوذ الفرنسى ، ومن جهة أخرى احتلت فرنسا تونس باتفاق مع بريطانيا على أن تحتل بريطانيا قبرص وهكذا وجدت إيطاليا نفسها معزولة فى وسط البحر الأبيض ، فهى قد رفضت الإشتراك فى مغامرة احتلال مصر ، وفقدت قسماً من شمالى أفريقيا وهو منطقة نفوذها المواجهة لها على الشاطىء الآخر من البحر الأبيض ، فتحولت عن الحلفاء إلى ألمانيا والنمسا ودخلت الحلف الثلاثى ، واتجهت بمطامعها إلى البحر الأحمر .

وقد بدأ اتجاه إيطاليا الى شرق أفريقيا حيث اشترت شركة ملاحة ايطالية من السلطان المحلى — بمال قدمته الحكومة — خليج عصب وجزيرة مجاورة تبعد ١٥٠ ميلا عن عدن ، وفى سنة ١٨٨٢ خضعت عصب للسيادة الإيطالية باتفاق مع بريطانيا . ثم اتجهت ايطاليا الى مصوع وفى سنة ١٨٩٠ صدر مرسوم ملكى بجعل الممتلكات الايطالية حول مصوع مستعمرة واحدة باسم أريتريا ، جعلت لها ميزانية مستقلة وعين لها حاكم ايطالى . وفى سنة ١٨٩٣ أنشئت مستعمرة الصومال الإيطالى باتفاق مع بريطانيا أيضاً .

وكانت بريطانيا تهدف من مساعدة ايطاليا فى شرق أفريقيا الحد من امتداد الاستعمار الفرنسى الى الحبشة أو السودان وكان شرق أفريقيا قد انتقلت اليه المنافسة بين بريطانيا وفرنسا بعد مصر حتى سويت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا باتفاق ٨ أبريل سنة ١٩٠٤ الذى جعل منطقة النفوذ الفرنسية تشمل كل الأقاليم غربى حوض النيل ما عدا صحراء ليبيا وسلطنة وداى .

وقد حاولت ايطاليا أن تمد نفوذها فى كسلا وفى الحبشة ولكنها لم تستطع وهزمت فى موقعة عدوة المشهورة عام ١٨٩٤ .

على أن تحول ايطاليا عن شمال أفريقيا كان مؤقتا ولتغطية الهزيمة السياسية فى تونس وكذلك كان تجدد اهتمامها بشمالى أفريقيا تغطية للهزيمة فى شرق أفريقيا ، ثم أن بريطانيا وألمانيا كانتا تشجعان ايطاليا رغبة فى حصر التوسع الفرنسى . ولكن ايطاليا رأت أن تحصل على موافقة فرنسا أيضا فعقدت معها اتفاقا فى عام ١٩٠٠ عزز بآخر فى عام ١٩٠٢ اعترفت فيه ايطاليا بمصالح فرنسا فى مراكش واعترفت فرنسا بمصالح ايطاليا فى طرابلس . وأما الحلف الثلاثى الذى كان يقيدها بضرورة المحافظة على وحدة الأراضى العثمانية ، فقد شعرت ايطاليا أنها غير ملزمة به بعد أن خرجت عليها النمسا فاحتلت الصرب دون علم ايطاليا . وهكذا عادت ايطاليا مرة أخرى الى جانب الحلفاء وتركزت أطماعها فى طرابلس .

وكانت ايطاليا قد أخذت منذ حين توثق صلاتها الاقتصادية والثقافية بشمالى أفريقيا فى تونس وطرابلس . وكان بعض رعاياها قد هاجروا الى هناك ، وأنشأ بنك روما فرعا له فى طرابلس وبرقة سنة ١٩٠٥ يقدم القروض ويستثمر الأموال ، كما أنشأت ايطاليا فى بنغازى مكتبا للبريد كان الطليان يرسلون بواسطته ما يريدون من رسائل وتقارير بغير رقابة ، كما كانت لهم سفينة تحمل البريد العثمانى ، وانشأت ايطاليا أيضا بعض المدارس لنشر اللغة الايطالية وبث الثقافة الايطالية ، كما بنت بعض المستشفيات . وأهم من ذلك كله أن ايطاليا أخذت ترسل البعثات المختلفة عن طريق الجمعية الايطالية للكشوف الجغرافيه والتجارة بميلانو ، كان آخرها بعثة اشترك فيها الكونت سفورزا للتفتيش عن الفوسفات وانضم اليها ضباط من أركان حرب الطليان فاستطاع أعضاؤها أن يضعوا المصورات والخرائط الحربية وقد ثارت حول هذه البعثة ضجة وحبس الترك أعضاءها ولم يطلقوا صراحهم الا فى نوفمبر سنة ١٩١٢ .

وعجلت الحوادث الأزمة المراكشية واحتلال الفرنسيين فاس سنة ١٩١١ فاتصلت ايطاليا بالدول العظمى لتحقيق احتلال طرابلس، وحصلت على موافقة بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية وألمانيا ووافقت النمسا بشرط ألا تتعدى العمليات الحربية منطقة شمالى أفريقيا وألا تسرى إلى ممتلكات تركيا فى آسيا وأوروبا وخاصة فى البلقان .

ومن جهة أخرى كانت تركيا مشغولة بسوء حالها فى الداخل وتألب العناصر التى تجمعها الأمبراطورية وخاصة فى البلقان فى الداخل . فأعدت إيطاليا العدة وأرسلت إنذارها الشهير فجأة إلى الباب العالى فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١١ ، ولم تمض أشهر قليلة على تصريح وزير خارجيتها (دى سان جيليانو San Guilliano) فى ٩ يونية سنة ١٩١١ بأن سياسة إيطاليا الخارجية هى التى قررها سلفه بقوله : إن سياسة إيطاليا الخارجية كانت تسترشد دائماً بقاعدة لا تتغير ليس فقط فيما يتعلق بأوربا بل وبأفريقيا أيضا وهذه القاعدة هى أن المحافظة على كيان الأمبراطورية العثمانية أمر واجب الإحترام ومقدس .

(٢)

وجهت ايطاليا الانذار إلى الصدر الأعظم ابراهيم حقى باشا وفيه تشير ايطاليا إلى :

١ — سوء النظام فى طرابلس الغرب وبنغازى ونصحها الباب العالى الاهتمام بالولاية حتى تصبح كغيرها من أقسام أفريقيا الشمالية .

٢ — مصالحها الحربية وتهديد طرابلس لها مع قربها من ايطاليا .

٣ — تجاهل الدولة العثمانية رغائب ايطاليا فى طرابلس واهمالها مصالح ايطاليا الاقتصادية .

٤ — التحريض على الرعايا الأوربيين والطليان خاصة واضطهادهم .

٥ — قرار ايطاليا احتلال طرابلس وعلى الخلافة العثمانية أن تسهل ذلك.

٦ — مدة الانذار ٢٤ ساعة[١] .

ومع ما فى الانذار من افتراء صريح وتعد واضح فقد ردت الحكومة العثمانية عليه رداً ضعيفا متخاذلا :

١ — فحملت وزر تأخر الولاية على الحكم السابق .

٢ — وتبرأت من عرقلة اشتراك رءوس الأموال الايطالية فى ترقية شئون الولاية وقالت أنها رغبت فى اعطاء امتيازات للحكومة الايطالية توسع دائرة حركة ايطاليا الاقتصادية .

٣ — أن الامن مستتب فى البلاد وليس هناك اضطهاد للأوربيين أو الايطاليين .

٤ — أن الخلاف منحصر فى إعطاء الضمانات الكافية لرءوس الأموال الايطالية والحكومة مستعدة للتفاهم ما دامت إيطاليا لا تلجأ إلى الاحتلال ، ويطلب من إيطاليا أن تقدم لائحة بطلباتها .

٥ — يكفى الباب العالى ألا يحدث أى تغير عسكرى فى الولاية أثناء المفاوضات[٢] .

على أن إيطاليا — بطبيعة الحال — لم تقنع بهذا الرد بل سلم ممثلها فى مساء يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ إلى الصدر الأعظم بلاغا باعلان الحرب .

وعلى أثر ذلك استقالت وزارة حقى باشا وتولى سعيد باشا كوجوك الوزارة فبادر بارسال برقيات باسم السلطان للدول الأوربية يطلب اليها التوسط بين تركيا وإيطاليا على أن تحقن الدماء ويعطى لايطاليا مركز ممتاز فى الولاية ، ولكن الدول الأوربية اعتذرت عن عدم الوساطة وبقى على تركيا والعالم الإسلامى والشعب الليبى أن تواجه الغزو الإيطالى .

---

(١) انظر نص الإنذار فى جهاد الأبطال ص ٢٦ — ٢٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ — ٢٩

(٣)

بدأ الغزو الإيطالى بقصف درنة يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١١ وطرابلس يوم ٣ أكتوبر . وفى خلال هذا الشهر احتل الطليان طرابلس ودرنة وبنى غازى وخمس . وكان لتركيا حوالى ٥٠٠٠ رجل فى طرابلس ، ٢٠٠٠ فى برقة ولكن الحاميات كانت ضعيفة ناقصة العتاد ، وفى رواية إيطالية أن الجنود الأتراك فى مايو سنة ١٩١١ كانوا ٣٠١٠ فى طرابلس ، ١٢٠٠ فى برقة .

وكانت الحملة الإيطالية تتألف من ٣٤٠٠٠٠ رجل و ٦٣٠٠ حصان و ١٠٥٠ عربة و ٤٨ مدفع ميدان و ٢٤ مدفع جبل وكان طريق البحر مفتوحاً لنقل الاحتياطى والعتاد عند الحاجة[١] .

على أن هذه القوات التركية القليلة العدد والعدة ما كانت لتصمد للغزو الإيطالى لولا نهوض أهالى البلاد فى طرابلس وبرقة وتطوعهم للقتال وانضمامهم إلى المعسكرات التركية . والحق أن قوات المتطوعين لم تجعل مقاومة الغزو الإيطالى ممكنة وحسب بل لقد بدلت طابعها فلم تعد حربا بين دولة أجنبية تحاول مد نفوذها الاستعمارى على حساب امبراطورية هرمة بل أصبحت حربا من حروب الاستعمار التقليدية حيث تبغى دولة أوربية أن تسلب شعبا مغلوبا حريته وأراضيه .

وفى طرابلس كان لسليمان الباروني باشا نائب الجبل وفرحات بك نائب طرابلس فضل كبير فى استنفار القبائل العربية للجهاد فلحقت هذه القوات غير النظامية بالقوات التركية وخضعت لقيادتها وكثرت غاراتها على الطليان . وكان سكان السواحل من زوارة غربا إلى مصراته شرقا وفى منطقة الجبل من غريان

---

(١) Evans—Pritchard, The Sanusi of Cyrenaica pp. 108-109

إلى نالوت هم عماد حركة الجهاد الأولى كما لحق بهم بعض أهالى الجنوب كالسيد محمد بن عبد الله البوسيفى من أولاد أبى سيف .

أما فى برقة فقد قام الشيخ أحمد العيساوى بمثل السنوسية ووكيل زاويتها فكتب إلى شيوخ الزوايا القريبة يطلب منهم دعوة المجاهدين للقتال .

وقد أمدَّت قوات المتطوعين الحاميات التركية الضعيفة التى اضطرت إلى الانسحاب إلى الداخل ، فارتدت فى طرابلس جنوبا إلى العزيزية ثم غريان بقيادة نشأت بك نائب الوالى ، وما لبثت القوات الوطنية أن اشتبكت مع الغزاة فى عدة معارك أهمها معركة بومليانة فى ١٠ أكتوبر وعين زارة فى ٨ ديسمبر ، وقد زحف الطليان فى هذه المعركة بقوة قوامها حوالى ٢٥ ألف مقاتل ، وكانت القوة العثمانية لا تزيد على سبعمائة جندى نظامى وألف وخمسمائة من المجاهدين العرب . وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١١ حدثت معركة بير طبراس وهزم فيها الإيطاليون وارتدوا إلى عين زاره ، ثم معركة قرقارش ومعركة مكتب الزراعة وغيرها إلى أن عقد الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا ، والإيطاليون يرابطون فى المنطقة الساحلية لا يجسرون على مغادرتها (١) .

وأما فى برقة فقد اشتبك الجنود العثمانيون مع الطليان يوم نزولهم فى بنغازى فى واقعة جوليانه ثم انسحبوا بقيادة شاكر بك إلى سيل الهوارى ثم إلى الأبيار ، وكانت الأنباء عن الغزو قد شاعت واستنفر شيوخ الزوايا القبائل لنجدة القوة العثمانية التى اتخذت الرجمة عاصمة لها ، ولم يلبث شيوخ الزوايا أن انضموا إلى القوات المحاربة وعلى رأسهم السيد عمر المختار شيخ زاوية القصور .

ومن جهة أخرى أرسلت الدولة عددا من الضباط على رأسهم أنور وعزيز المصرى ومصطفى كمال . وجعلت القيادة العامة لأنور ، وقسمت الجبهة

---

(١) انظر التفصيل فى جهاد الأبطال ص ٥٧ — ٧٩

إلى ثلاث مناطق ، الأولى بنغازى بقيادة عزيز المصرى ، والثانية درنه بقيادة مصطفى كمال ، والثالثة طبرق بقيادة ناظم بك .

الى عرب طرابلس الغرب

ماذا يصدكم عن القدوم الينا . اما تهمكم الصلوة في الجوامع والراحة انتم وعائلاتكم في بيوتكم . اما يهمكم رعي مواشيكم وتعاطي تجارتكم آمنين . نحن أناس اصحاب دين ومن اهل الكتاب واحرار واعلموا ان دولة ايطاليا المعظمة قد اصبحت لكم مقام الوالد بعد ان اخذت امكم وهي طرابلس الغرب. فاقدموا الينا بلا خوف وبكمال الامان ونحن نؤكد لكم انه ليس من يؤذيكم وما من يسيء اليكم او يضركم بادنى شيء فان الماضي لا يذكر واعلموا ان كل من يأتي الينا بيارودته مع المهمات نحسن اليه بعشرين فرنكا مع كيس قمح او شعير كيفما شاء . اما رؤساؤكم الدينيون والسياسيون فان الحكومة الايطالية تقبلهم وتؤيدهم بالصفة التي كانوا عليها قبلاً . بل تميز لهم رواتب ومعاشات.

وناهيكم ان الكلام واحد والله سبحانه وتعالى كريم فاطلبوا اليه عز وجل ان يفتح عيون عقلكم لتعرفوا الحق وهو يخلصكم

طرابلس الغرب في ١٥ كانون الثاني سنه ١٩١٢

قائد جيش الاحتلال في طرابلس الغرب وبنغازى

المشير

كارلو كايفا

(١) المنشور الإيطالى الثالث

على أن المتطوعين والمجاهدين كانوا عماد القوة العثمانية فى هذا الميدان كما كانوا فى ميدان طرابلس ، وقد عمل أنور بك منذ وصوله على أن يطوف

بالقبائل ويزور الزوايا السنوسية ويدعو الجميع إلى الجهاد ، كما أرسل إلى السيد الشريف بالكفرة كتابا ، ينبئه فيه بخيانة الطليان ويرجوه أن يرسل منشوراً إلى أتباعه ليحاربوا أعداء دينهم وبلادهم »[١] وفى ٢٨ نوفمبر ١٩١١ رجع أنور إلى معسكر درنة بعد أن جمع فى طوافه حوالى الخمسة آلاف مقاتل من العرب مشاة وفرسانا ، كما أحضر الجند العثمانيين المتفرقين بالصحراء للمحافظة على الامن وعددهم ستون جنديا (كذا !) وكثر وفود العرب على معسكر درنة حتى لقد قدروا بتسعة عشر ألفا وكان الجند النظاميون حوالى الخمسمائة .

وحدثت مع الطليان معارك ومناوشات كثيرة فكانت معركة الكوفية فى ٢٨ نوفمبر ومشويلك والفويهات والزريعية والنخلتين وسيدى عبد الله وغيرها . وكانت الخطة الايطالية ترمى إلى التقدم من بنغازى ودرنة والإطباق على الهضبة الوسطى ولكن المقاومة الشديدة ردتهم إلى الساحل [٢]

(٤)

استمرت هذه الفترة الأولى من الحرب الطرابلسية من ٣ أكتوبر سنة ١٩١١ إلى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ حين وقع الطليان والعثمانيون معاهدة الصلح فى أوشى (لوزان) . وبمقتضاها تعهدت الدولتان بإيقاف الحرب وتعهد العثمانيون باستقدام ضباطهم وجيوشهم وموظفيهم المدنيين من طرابلس .

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ١٣٨ .

(٢) Sanusi of Cyrenaica pp. 112-113

وكانت هذه المعاهدة نتيجة دوافع مختلفة أهمها : —

أولا : أن الدولة العثمانية لم تكن مستعدة للحرب فى طرابلس ، وكانت الأمور فى البلقان تستدعى تفرغ الدولة لهذا الميدان .

ثانيا : أن إيطاليا لم تستطع الظفر بنصر عاجل فى طرابلس رغم القوات الهائلة التى جردتها والتى بلغت حوالى ١٢٠ ألف جندى ، فأخذت تناوش الدولة العثمانية فى البحر الأبيض واستولت على رودس وجزر الدوديكانيز وهددت سواحل البحر الأحمر وضربت موانئه بالقنابل ، فآثرت الدولة العثمانية الصلح فى طرابلس إبقاء على ممتلكاتها الأخرى ، ولكنها فى عين الوقت لم تكن تستطيع التخلى صراحة عن طرابلس فتفقد عطف العالم الإسلامى .

لذلك كانت المعاهدة ذات وجهين فهى من جهة تقر السيادة الإيطالية على طرابلس فى منشور من جانب ملك إيطاليا موجه إلى سكان طرابلس هو الملحق الثانى للمعاهدة ، يؤكد القانون رقم ٣٨ الصادر فى يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩١٢ بجعل طرابلس الغرب وبرقة خاضعتين خضوعا مطلقا عاما للسيادة الملكية الإيطالية .

ومن جهة أخرى احتفظت الدولة العثمانية بروابط تربطها بطرابلس تتمثل فى تعيين نائب للسلطان يرعى المصالح العثمانية وتعيين قاض للبلاد وتدفع الدولة راتبهما . وقد ورد ذلك فى الملحق الأول للمعاهدة .

على أن أهم ما فى هذا الملحق أن الدولة العثمانية تتخلى عن السيادة على طرابلس وبرقة وتمنح أهل البلاد استقلالا ذاتيا . جاء فى الملحق الأول باسم السلطان « لما كانت حكومتنا السنية فى حالة يستحيل معها عليها أن تسير لكم المساعدات التى تحتاجون إليها للدفاع عن وطنكم ، ولما كانت

من الناحية الأخرى مهتمة بضمان راحتكم وهنائكم حاضرا ومستقبلا ، فرغبه منا فى اتقاء مواصلة حرب مدمرة لكم ولعائلاتكم وذات خطر على امبراطوريتنا ، وفى إدخال السلام والهناء إلى وطنكم ، قد منحتكم استقلالا داخليا مطلقا وتاما بما لى من حقوق السيادة عليكم .»[1]

(٥)

وقعت الدولة العثمانية المعاهدة دون أن تستشير زعماء طرابلس وبرقة وبادرت بإرسال شمس الدين باشا نائباً للسلطان فرحب به الطليان، واستخدموه فى أخماد مقاومة أهل البلاد ، واستدعت الدوله الضباط العثمانيين فعاد أنور بك ومصطفى كمال وتركت القيادة العامة لعزيز المصرى .

على أننا نستطيع أن نعتبر هذه الفترة بداية الحركة الوطنية التحريرية فى ليبيا فإن أهل البلاد فى طرابلس وبرقة لم يقروا الدولة العثمانية على الصلح ، ولم يقبلوا أن يضعوا السلاح بل قرروا استمرار المقاومة .

وقد انقسمت هذه الحركة شعبتين : أحداهما فى طرابلس والثانية فى برقة

أما فى طرابلس فقد عقد زعماء الحركة الوطنية اجتماعات فى لواء الجبل العربى ولواء فزان وورفله لدرس الحالة واتخاذ مايلزم من التدابير فقرروا اعلان استقلال طرابلس وانشاء حكومة وطنية برياسة الشيخ سليمان البارونى مستندين فى ذلك إلى الفرمان السلطانى الصادر بمنح البلاد الاستقلال ، وقد وقع الزعماء المضبطة التالية :-

« بناء على الفرمان المؤرخ فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٣٠ القاضى بمنح بلادنا الاستقلال ، قد اتفقنا على الرضاء به وقبوله مع كمال السرور ، وكلفنا مبعوث الجبل سليمان بك البارونى بإعلان استقلالنا وتبليغه إلى من

---

(١) راجع نص معاهدة أوشى والملاحق والاتفاق السرى فى جهاد الأبطال ص ٩٩–١٠٦

يلزم التبليغ إليه وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم اتخاذه من حفظ الراحة وتعميم الأمن ومحافظة على شرف الدين والوطن على قواعد الشرع الشريف والنظامات العمرانية مع القيام بكل مايجب اتخاذه من وسائل المدافعة كالمال والرجال والسلاح والتوفيق من الله والنصر بيده (١)

وتولى البارونى رياسة الحكومة الجديدة وأبلغ ذلك إلى الدول العظمى وإلى الصحف الكبرى كما أرسل وفداً إلى أوربا للسعى عند حكوماتها لنيل الاعتراف منها ونشر الدعاية لها .

وعنى بتنظيم شئون البلاد تنظيما جديداً فعين المتصرفين والقائمقامين والقضاة والفنيين والكتاب وأنشأ آلايا من الدرك المشاة والفرسان والهجانة ونظم البريد والبرق والتليفون وفتح له المكاتب فى جميع الجهات بين أورفله وغدأمس وغات فى حدود تونس ، وأنشأ خط حرب ازاء الايطاليين يبتدىء من ورفله مارا أمام غريان والزعترية ومنطروس وبير الخشب فى جهة العزيزية وأمام العجلات والعلالقة وزواره فى بلاد الساحل .

(٦)

وأما فى برقة فلما انتهت الأنباء إلى السيد أحمد الشريف بأن الدولة تعتزم الصلح واعطاء طرابلس إلى الايطاليين ، أرسل إلى أنور بك خطابا مشهوراً قال فيه « نحن والصلح على طرفى نقيض ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه ، إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو » وحذر من أثر توقيع الصلح فى نفوس المسلمين فى جميع الأقطار وما يحدثه من نفور شديد من الدولة العثمانية

---

(١) أمين سعيد ــ الدولة العربية المتحدة . ج ٢ ص ٥٠٠

ويقال أن هذا الكتاب حمله أربعون شيخا من شيوخ السنوسية المجاهدين إلى القائد العثمانى فوعدهم خيراً .

على أن أنور بك حين استدعى بعد توقيع الصلح رأى من واجبه قبل أن يغادر ليبيا أن يزور السيد فى الجغبوب ليبلغه ماصح عليه عزم السلطان وبأنه ترك القيادة بعده لعزيز المصرى وبقى أنور فى الجغبوب ثلاثة أيام كان فيها موضع الحفاوة وأبلغ السيد أوامر الخليفة وهى : ـ

١ ـ أسناد أمر الأمة الليبية إلى سيادته وأخباره بأن الخليفة قد منح الأمة الطرابلسية استقلالها تاركا لها الحق فى أن تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها » .

ويبسط الدكتور محمد فؤاد شكرى مؤرخ السنوسية وجهة نظر السنوسية فى هذا التبليغ فيقول : « ولهذا التبليغ ولاشك أهمية عظيمة فهو إلى جانب أنه يفصح عن مقصد تركيا من منح البلاد « استقلالا داخليا مطلقا وتاما » ويدل على أن تركيا ما كانت تريد فى هذا الوقت أن تسلم الأقطار الليبية إلى ايطاليا على الرغم من توقيع المعاهدة فهو ـ أى التبليغ ـ قد دعم نهائياً أركان الإمارة السنوسية المستقلة ، ومن هذا التاريخ يتغير حتما موقف هذه الأمارة من دولة الخلافة تغيراً جوهرياً .

فإنه منذ اعترفت تركيا « بأمارة » السنوسيين فى عهد المؤسس الكبير السيد محمد بن على السنوسى ثم أيدت هذا الاعتراف فى ظروف شتى بعد ذلك فى أيام السيد المهدى كما ظلت تركيا تبسط على البلاد سيادتها . وظل السنوسيون منضوين تحت لوائها ولواء الخلافة يشدون أزر الدولة ويحفظون لها السيادة على الأقطار الليبية ، ثم لم يغير السيد أحمد الشريف شيئا من هذا كله منذ تسلم زمام الأمور بعد وفاة عمه السيد المهدى . أما الآن فقد أعطى صاحب الحق

الشرعى والقانونى - وهو الخليفة - الاستقلال إلى السادة السنوسية وأسند إليهم النظر فى شئون الأمة الطرابلسية فأضحى من هذا التاريخ استقلال الأمارة السنوسية حقيقة كاملة لا من ناحية الواقع فحسب بل من الناحية الشرعية والقانونية كذلك . ولم يكن فى هذا الوضع الجديد وجود نائب السلطان أو ذكر الخليفة الإسلامى فى الصلوات العامة إلا مظهراً من مظاهر التقاليد الإسلامية واحتراما لرابطة الخلافة العظمى ، ثم بمثابة الضمان أو السياج الواقى من أطماع الايطاليين الذين قرروا بسط سيادتهم على البلاد ، على الرغم من أن هذه السيادة بعد حروبهم العدوانية كانت لا تستند إلى أى أساس شرعى أو قانونى . وزيادة على ذلك فقد أصبح للسنوسيين بمقتضى (التبليغ) حق الحكم . كما انتقلت إليهم أيضا حقوق السيادة فى طرابلس إلى جانب برقة »[1] .

ويلاحظ الطرابلسيون أن الحكومة العثمانية قد تنازلت على سيادتها عن طرابلس عام ١٩١٢ ولم يبق لها أى حق فى هذه السيادة ، ولم تكن محاولة استعادتها فيما بعد إلا محاولة لشغل الجيوش الإنجليزية فدعوى أن تبليغ العثمانيين للسنوسيين يجعلهم أرباب حق فى السلطة على برقة وطرابلس لا ترتكز على حقيقة لأنها صدرت ممن لا يملك الأمر ولأنها لم يؤخذ فيها رأى الطرابلسيين .

(٧)

وبعد توقيع معاهدة أوشى اختار كثير من أهالى طرابلس الدخول فى مفاوضات مع الطليان لإتمام ما فى معاهدة أوشى من نقص ، وانتظار اللظروف

---

(١) محمد فؤاد شكرى — السنوسية دين ودولة . ص ١٤٦ / ١٤٧

المناسبة للكفاح المسلح ، واختار سليمان باشا البارونى المقاومة برغم ما كان يحيط بالمدافعين من صعوبات واستمر الكفاح فى طرابلس وبرقة .

ففى طرابلس استطاع الطليان أن يحتلوا منطقة الجفرة إلى الجبل بما فى ذلك غريان ومسلاته ومصراته وبنى الوليد فى مدة ثلاثة أشهر تقريبا ولم يحدث صدام كبير مع العرب إلا فى القصبات فى ١٤ ديسمبر ١٩١٢ وفى بنى الوليد فى ٦ فبراير سنة ١٩١٣ .

ولبث البارونى يجمع جيشا كبيراً من العرب فى منطقة الجبل الغربية بعد سقوط غريان ، فاشتبك معه الطليان فى جندوبة فى ٢٣ مارس سنة ١٩١٣ واحتلوا منطقة الجبل حتى نالوت والحدود الفرنسية وانسحبت قوات المقاومة إلى يفرن وهى تعانى من نفاد المؤن وانقطاع الأمداد ، ثم زحفوا جنوبا واحتلوا غدامس فى أبريل ومزده فى يولية وجهزوا حملة كبيرة لاحتلال فزّان فزحفوا من سرت إلى سوكنه . وهب أهل فزّان للدفاع عن بلادهم بقوة كبيرة يقودها محمد بن عبدالله ونازلوا الطليان فى ثلاث معارك كبيرة فى سرير الشيب وشيده ومحروقه قتل فيها القائد العربى (١) .

وكان الطليان قد قبلوا مبدئياً المفاوضة مع المجاهدين على أساس الاعتراف باستقلال ذاتى لطرابلس، وأرسل الكونت سفورزا يطلب أن يوافيه البارونى فى تونس للمفاوضة ، فوجد المجاهدون فى ذلك جلاء للحالة ولكن ايطاليا بعد أن نجحت عمليتها العسكرية الأخيرة ، رجعت عن عروضها الأولى، ولم يبق أمام المجاهدين إلا أن يقبلوا قواعد جديدة تتضمن العفو العام وبعض المنافع الأخرى .

وأصدرت الحكومة الايطالية هذا العفو ، ونصح البارونى الطرابلسيين اللاجئين إلى تونس بالعودة بناء على طلب فرنسا ، فقبل فريق منهم ذلك وآثر

---

(١) انظر تفصيل هذه الوقائع فى جهاد الأبطال ص ١٢٠ — ١٣٣

فريق آخر الارتحال بأسلحتهم إلى فزان وغات لمواصلة الجهاد ضد العدو ، ورحل البارونى إلى الأستانة عن طريق مرسيليا وكان ذلك فى أواخر عام ١٩١٣.

وأما فى برقة فقد استمر القتال بقيادة عزيز المصرى واشراف السيد احمد الشريف . وكان الطليان قد قرروا احتلال الجبل الأخضر ، فحدثت بينهم وبين المجاهدين وقائع متعددة فى المنطقة الغربيـة والوسطى واحتل الطليان طولميثة فى ١٢ أبريل سنة ١٩١٣ ثم بنينه والمرح والرجمة وبومريم والأبيار وتوكره ، وفى ١٦ مايو حدثت واقعة يوم الجمعة المشهورة بالقرب من درنه وفيها اشترك السيد احمد الشريف مع قبائل العبيدات والبراعصه والدرسه وساهم فيها الضباط العثمانيون وهزم الطليان وارتدوا إلى درنه . ثم توالت الوقائع بعد ذلك فى القيقب ومرسى سوسا وزاويه الفيديه والبورات صفصف وسلوف وقمينس وتـكنس وتلجازه والزاوية البيضاء فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٣ . وفى المنطقة الشرقية حدثت وقائع سيدى جرباعه والتانجى ومرطوبه ، وفى ١٨ بولية دارت معركة فى مدور واحتلها الطليان .

وفى هذه الآونة تعرض المجاهدون فى برقة لخطر شديد نتيجة عاملين ، الأول ضغط أيطاليا على الدول العثمانية حتى تـكف من مساعدة المجاهدين وتستدعى بقية القوات التى ظلت تحارب فى برقة بالرغم من عقد الصلح . الثانى :سعى أيطاليا حتى تمنع الحـكومة المصرية عن المجاهدين الأسلحة والذخيرة والمؤن التى تصل اليهم من مصر .

لذلك استدعى عزيز المصرى وأمر بالانسحاب بمن معه من الضباط والسلاح والذخيرة نحو الحدود المصرية ، حيث تنقلهم باخرة عثمانية من السلوم . ولم يرض المجاهدون عن هذا الانسحاب فحاولوا استبقاء القوة أو الاستيلاء على سلاحها ، ولما رفض عزيز المصرى ذلك أرسل السيد أحمد

الشريف السيد عمر المختار لأخذها عنوة ولكن القوة العثمانية كانت قد تقدمت نحو السلوم بعد أن اصطدمت بقوة من المجاهدين غربيها ، واستطاع عزيز المصرى أن يبلغ الأسكندرية فى ١٦ يوليه ويذهب منها الى الأستانة .

ومن جهة أخرى كانت ايطاليا قد حاولت أن توسط الخديو عباس الثانى بينها وبين السيد أحمد الشريف ، ولكن الوساطة لم تجد وقيل أن أيطاليا أرادت أن تشترى فى مقابل الوساطة أو قطع العون عن المجاهدين خط مريوط الحديدى الذى كان يملكه الخديو : وقد تدخل اللورد كتشنر فمنع إرسال بعض أورط من الجيش المصرى لمساعدة الأتراك ورفض الموافقة على تطوع جماعة من الضباط المصريين فى الجيش التركى ، وصرف بعض مشايخ القبائل عن اللحاق بالمجاهدين ، وطلب من رشدى باشا رئيس الوزراء قطع المعاونات المصرية وكان منها مدافع مفككة وسلاح وذخيرة ومؤن عن المحاربين فى برقة .

(٨)

وبعد انسحاب القوة التركية العاملة فى برقة والجبل الأخضر بكامل معداتها ، وانقطاع المدد عبر الحدود المصرية ، وقع عبء مقاومة الغزو الإيطالى على أهالى ليبيا وحدهم ، فاشتبك المجاهدون مع الطليان فى عدة معارك بدأت فى فبراير سنة ١٩١٤ وانتهت فى أواخر يوليه سنة ١٩١٤ اعنى قبل بدء الحرب العالمية الأولى بأيام قلائل ، ففى فبراير وقعت معارك زاوية العرقوب وسيدى مهيوس وزاوية أم سخنب وشليظيميه ، وفى مارس خرّب الطليان زاوية سوس والزويتينه وبوجسال الثانية ومراوه والحراوب ، وفى أبريل حدثت معارك بوجسال الثالثة وقصر قصيس وأم الجوابى ولصقه وفى مايو

بير الحلبة وفى يونية الرحيبات وقصور المجاهير وبيضا والأنجال ، وفى يولية القطوفيه وساونو وسيدى داود ولصقه وخولان .

أما فى فزان فقد تقدمت الطوابير الإيطالية بقيادة الكولونيل انطونيو ميانى Miani وكان على رأس رجال المقاومة السيد محمد بن عبد الله البوسيفى ولكنه ما لبث أن استشهد واحتلت القوات الإيطالية مرزق وبقيت جماعة من المجاهدين برياسة سالم بن عبد النبى الزنتانى يتحينون الفرص واتسعت الصحراء على الجيش الإيطالى فألف العرب عصابات مسلحة وأخذوا يتعقبون الطليان فى الصحراء وكان لهذه العصابات أثر ظاهر فى الرجوع إلى الثورة فهاجم سالم بن عبد النبى القاهرة[1] واحتلها وأخذ ما فيها من أرزاق وسلاح واشتبكت قوات المجاهدين مع الطليان فى وقائع كثيرة منها المحروقة والفاتية وبونجيم ، ولم تستطع قيادة الطليان أن تصمد فأخذت فى الانسحاب من فزان وأخلت مرزق يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٤ فى ست سيارات لاتلوى على شىء ، ووصلت إلى مصراتة يوم ٢٥ سبتمبر وأخذ الطليان يهيئون الجيوش لواقعة القرضابية [2] .

وفى هذه الفترة كان السيد محمد عابد السنوسى وكيلا للسنوسية فى فزان فثار الخلاف بينه وبين رئيس المجاهدين بعد وقعة القاهرة ويروى أن الأصل فيه راجع إلى رغبة السنوسية فى فرض نفوذها الدينى وأخذ الخمس من الغنائم على حين أن السيد العابد لم يشترك فى الحرب .

وكان انسحاب الطليان من فزان عاملا بعيد الأثر فى سريان روح التذمر من الحكم الأجنبى ، وتألب القبائل للجهاد ، وقد حاولت الحكومة الإيطالية

---

(١) ربوة جبلية عالية فى سبهة بها آثار قديمة اتخذ منها الطليان حصنا منيعاً .

(٢) راجع جهاد الأبطال ص ١٣٣ — ١٤٤

أن تعيد إحتلال غدامس ووجهت حملات تأديبية اشتبكت مع المجاهدين فى معارك عدة وانتهى الأمر بانسحاب الطليان إلى الساحل فلم يبق لهم فى طرابلس الغربية سوى طرابلس وزوارا وزنزور وفى طرابلس الوسطى انسحبوا من غريان . وأما فى طرابلس الشرقية فقد انسحبوا منها بعد معركة القرضابية أو بوهادى .

جمع الطليان لهذه المعركة قوات كبيرة وارغموا سكان السواحل التى يحتلونها بالانضمام إلى هذا الجيش ، وكان على رأسهم رمضان بك السويحلى زعيم مصراتة . وكان هدف الطليان معسكر المجاهدين بالنوفيليه فى منطقة سرت وكان يجمع كل من أراد الخروج على الطليان ومقاومتهم من أهالى طرابلس وبرقة فكان منهم أولاد بوسيف وأولاد سليمان والمغاربة وكان وكيل السنوسية فيه السيد صفى الدين السنوسى .

خرجت القوة الإيطالية بقيادة الكولونيل ميانى فالتقت بقوات المجاهدين عند القرضابية أو قصر بوهادى وما لبثت القوات العربية التى جندها الطليان أن انقلبت عليهم بقيادة رمضان بك السويحلى فحوصر الطليان ومزقوا شر ممزق وكان ذلك يوم ٢٩ أبريل سنة ١٩١٥ وخسروا فيها ٥٠٠٠ بندقية وملايين الخرطوش وكثيرا من المدافع الرشاشة ومدافع الميدان ومئونتهم وخزانتهم . حدثنى بعض ثقات الطرابلسيين قال :

« إن فكرة الانتقاض على الطليان كانت مبيته عند رمضان بك السويحلى منذ ما ألف الجيش وقد اتصل بالسنوسية فى سرت على أثر ما حصل عندهم من سلب ونهب وحضر معركة بينهم وبين الطليان فى سرت ثم رجع إلى مصراتة ولما كان الجيش فى طريقه إلى سرت كان يبعث إليهم بالرسل وكان يؤكد لهم أنه سينتقض على الجيش الإيطالى وقد أعد عدته لهذا

الانتقاض وهو مع الجيش فكان هو وأنصاره يسيرون فى ناحية . وقد حقق هذا الوعد وكان له الشرف »[١] .

وكانت هذه المعركة حاسمة فى حصر نفوذ الطليان على ساحل طرابلس وتقوية روح المقاومة بين المجاهدين وكان من أثرها تفكير السويحلى فى إنشاء حكومة محلية فى مصراتة ، وإعادة تنظيم القوات على أساس نظامى ، وتنسيق حركة المقاومة ضد الطليان وكان من أثرها أيضا تنازع النفوذ مع السنوسية وقد انتهى ذلك بانحسار السنوسية عن طرابلس ولكن عاملا جديداً أخذ يسيطر على الموقف فى طرابلس ذلك هو الحرب العالمية الأولى .

---

(١) انظر تفصيل موقف رمضان السويحلى فى جهاد الأبطال ص ١٤٨ — ١٥٧

الباب الثانى

كفاح ليبيا بين الحربين

الفصل الأول

بدء المقاومة

(١)

كان لقيام الحرب العالمية الأولى أثر بعيد فى تطور الحركة الوطنية فى ليبيا . فقد كان من شأن هذه الحرب أن تشغل إيطاليا عن استعادة مراكزها المفقودة فى ليبيا ، وتقنع بالاعتصام فى سواحل برقة وطرابلس . على أن أهل ليبيا لم يتركوا وشأنهم فى الكفاح ضد إيطاليا ، بل أخذت الدولة العثمانية تحاول من جديد استعادة مركزها فى ليبيا ، وتطمع فى أن تتخذ منها مركزا للهجوم من حدودها الشرقية على انجلترا فى مصر ، ومن حدودها الغربية والجنوبية على فرنسا فى تونس وأفريقيا الغربية . وبهذا استطاعت تركيا أن تجر أهالى برقة إلى عداوات جديدة ليس لهم فيها مصلحة وهى فى الوقت نفسه قد حولتهم عن كفاحهم الأصلى ضد إيطاليا .

وقد استغلت تركيا الى أبعد حدود الاستغلال الخلافة الإسلامية ورابطة الجامعة الإسلامية ، وفكرة الجهاد ضد أعداء الملة ، وسخرت هذا كله لمصلحتها وهى مع ذلك لم تأخذ للأمر أهبته ولم تستكمل حاجة العمليات الحربية من

مؤن وذخائر وعتاد ، ولعلها - فى الواقع - لم تهدف إلا إلى مقاومة الإنجليز على الحدود الغربية لمصر حتى تشغل جانبا من جيوشهم فتساعد على إنجاح حملة جمال باشا على قناة السويس . وقد استغل مبعوثو الترك أيضا الخلافات الداخلية فى البلاد فزادوا الخرق اتساعا ، ولما انتهى تدبيرهم آخر الأمر بالفشل تركوا البلاد مرة أخرى ، وقد زادت أحوالها سوءا .

(٢)

أرسلت تركيا نورى بك وجعفراً العسكرى الى برقه . وقابل القائد العثمانى السيد أحمد الشريف بالمسيعيد قرب السلوم ، وسلمه رسالة أخيه أنور باشا وكانت تحمل نبأ اعلان الحرب وتعيين السلطان محمود رشاد لسيادته نائبا عن الخليفة فى أفريقيا الشمالية ، والإنعام عليه برتبة الوزارة الأولى ومنحه حق إعطاء الرتب والنياشين .

وكانت الخطة التركية أن يهادن السنوسيون الطليان ، ويشتركوا مع الضباط العثمانيين فى إعداد حملة من المجاهدين لمهاجمة الانجليز ، وتعهدت تركيا بإرسال العتاد والمال وبعض الضباط عن طريق الغواصات الألمانية ، فتجاذب السيد عاملان : الأول : أن مصر مصدر المؤن والمساعدة للمجاهدين تأتيهم عبر الحدود ، كما أن الجنرال مكسويل واللورد مكماهون كانا يظهران له المودة ويسعيان كل السعى إلى أن يبقى على الحياد ثم إن الانجليز يستطيعون أن يجندوا جيشاً لا قبل له ولا للعثمانيين به . الثانى : ضغط نورى ووعوده وضغط أنور باشا فى الأستانة وغيره ممن يطمعون فى تأييد السيد للخلافة وفى مهاجمة الانجليز بمصر .

وقد تردد السيد طويلا قبل أن يوافق على خطة العثمانيين[1] وكان جعفر

---

(١) Sanusi of Cyrenaica pp. 127—130 ، جهاد الأبطال للطاهر الزاوى ص ١٩٢—١٩٥

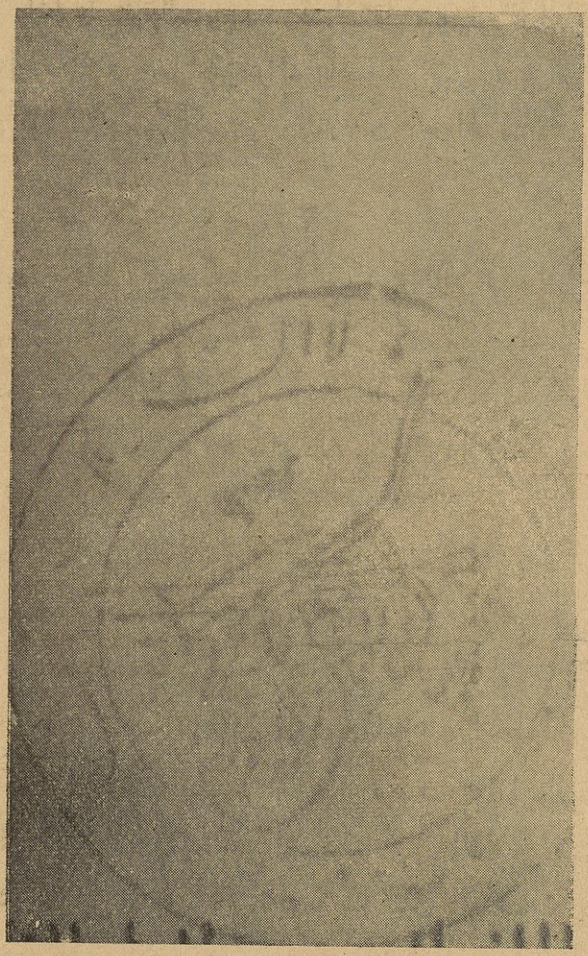

(٤) خاتم الحكومة السنوسية عام ١٣٣٤ هـ

العسكرى ونورى والسيد هلال السنوسى قد حاولوا أن يناوشوا البريطانيين عند الحدود ، وانسحب هؤلاء من السلوم إلى مرسى مطروح واستعدوا للحرب ، فلم يجد السيد بداً من الموافقة على القتال .

(٥) السيد أحمد الشريف السنوسى

وتقدمت الكتائب السنوسية من السلوم بقيادة الضباط الأتراك وتحت

رياسة جعفر العسكرى وزحفت إلى سيدى برانى . وهناك انضمت إليها قوة مصرية أعلنت الثورة ضد الإنجليز وكان قوامها خمسين جنديا وأربعة ضباط برياسة اليوزباشى محمد صالح حرب (باشا) قومندان مرسى مطروح .

وحدثت بين الإنجليز وطلائع السنوسية عدة معارك منها وادى ماجد وأم الرخم ووادى ماجد الثانية فى ديسمبر سنة ١٩١٥ ثم معركه بئر تونس التى اضطر العثمانيون بعدها إلى التقهقر وظهر بينهم نقص المؤن والذخائر وضعف الاستعداد .

وحين حلت الهزائم بالعثمانيين والسنوسية ووضح العجز عن متابعة الهجوم على الساحل تم الاتفاق على أن تنقسم الحملة إلى جناحين: شمالى يقوده جعفر العسكرى وعدده حوالى ستة آلاف ويستمر فى زحفه على الساحل . وجنوبى يقوده محمد صالح حرب وعدده ثلاثة آلاف وخمسمائة جندى وتكون القيادة العامة لنورى على أن يبقى مع جعفر . وهكذا تقدم الشمالى شرقى سيدى برانى والتقى بالإنجليز فى معركة العواقير الفاصلة فى فبراير سنة ١٩١٦ فأسر جعفر العسكرى وفر نورى ومعه عبد الرحمن عـــزام وكان قد لحق بالمجاهدين بعد معركة بئر تونس . وارتدت فلول الجيش إلى برقة واستولى الإنجليز على السلوم فى ٢٤ مارس سنة ١٩١٦ .

واتجه السيد مع قوات صالح حرب جنوبا إلى سيوه، وأخذت تشن حرب العصابات ضد الإنجليز طوال سنة ١٩١٦ . واتخذت هذه القوة قرية فنيده من قرى الواحات الداخلة مركزاً لها، وحاول صالح حرب أن يضم مشايخ العرب من الصعيد إلى الحركة ولـكنه لم يفلح . ووضع الإنجليز خطة عسكرية كبيرة لمحاصرة هذه القوة وقطع طريق الرجعة عليها ، فاضطر صالح حرب إلى الانسحاب إلى سيوة والجغبوب واستطاع أن يغطى عملية الانسحاب ويصل بعد مشقة إلى الجغبوب بسلام فى أوائل سنة ١٩١٧ .

فشلت حملة نورى على حدود مصر الغربية كما فشلت حملة جمال باشا على قناة السويس . ولحق نورى برمضان السويحلى فى مصراته واتجه السيد غربا بقوات المجاهدين من جغبوب إلى جالو وأوجله وزله وعسكر فى جهة العقيلة حتى أغسطس سنة ١٩١٨ فغادرها السيد إلى الأستانة ثم إلى المدينة المنورة حيث توفى سنة ١٩٣٣ (١) .

ومنذ أخفق السيد فى غزو مصر منع من دخول برقة ، وتولى السلطات الإدارية والعسكرية فى برقة السيد محمد ادريس السنوسى ، ووكل على دفنه وبرقة وسرت الشرقية السيد محمد هلال والسيد محمد الرضا بينما تولى السيد محمد صفى الدين هذه الاختصاصات فى منطقة سرت الغربية ، وصار السيد محمد عابد السنوسى وكيلا فى فزان والجبلة ، والسيد على الخطابى فى واحات أوجله وجالو والكفرة .

وبزعامة السيد محمد ادريس انتقلت السنوسية من الكفاح إلى محاولة إقرار الحقوق عن طريق المفاوضة والمساومة مع الانجليز والطليان جميعاً ، وقد أسفرت تلك المفاوضات عن إنشاء حكومة اجدابية .

(٣)

يقول الدكتور فؤاد شكرى مؤرخ السنوسية أن تحول السيد ادريس عن مواصلة الحرب مع العثمانيين كان بعد أن اتصل بالسيد أحمد الشريف وأطلعه على نيات الأتراك وعلى رأى مشايخ البلاد ، وعلى ما انتهت إليه الأحوال

---

(١) كانت حياة السيد أحمد الشريف فى المنفى بعد خذلان السيد ادريس له حافلة بالجهاد فى سبيل العرب والاسلام ، وقد انتخبه مجلس المبعوثان ملكا على العراق فى ابريل ١٩٢١ وناصر حركة مصطفى كمال وحاول بعد نجاحها أن يعيد الخلافة بالاستانة ثم نزل دمشق يدعو الى التقريب بين سوريا وتركيا ولكن الفرنسيين أخرجوه منها عام ١٩٢٤ فذهب الى الحجاز حيث قربه الملك ابن السعود وأهلته مكانته الرفيعة للتوسط فى الخصومات فأصلح بين امير عسير والإمام يحيى وعاش بقية ايامه بين كتبه بعيدا عن السياسة .

بعد إقفال حدود مصر وانقطاع المؤن والأمداد ووقوف التجارة ، وتفشى المجاعة نتيجة القحط وانحباس الأمطار ، وأورد من رسالة للسيد احمد الشريف قوله : « أنقذ البلاد مما وقعت فيه ويرى الحاضر مالا يرى الغائب ، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أن لهم حقا فى ذلك[١] » .

ولم يرق نورى أن تنهج السنوسية خطة وقف القتال فلم يعترف فى البداية بزعامة السيد محمد إدريس على السنوسية ، وأخذ يعد العدة لمهاجمة السنوسية فى معقلها بفزان ، فأرسل ثلاثة من الرجال يحملون الهدايا إلى السيد محمد عابد فى حين هاجم الضابط التركى احسان ثاقب مرزق واستولى عليها باسم تركيا ، ولما أدرك السيد محمد عابد الحيلة جمع قوات كبيرة تحت قيادة محمد الأشهب الذى قام بمهاجمة الأتراك ولكنه هزم وقتل واضطر السيد محمد عابد إلى الانسحاب إلى الكفرة .

ومن جهة أخرى حاول نورى أن يقنع السيد محمد إدريس باستئناف القتال فلما لم يفلح انسحب إلى أجدابيه ثم إلى مصراته ، ونزل عند رمضان السويحلى وكان معه عبد الرحمن عزام .

* * *

وتختلف الروايات فيما حدث بمصراته من خلاف بين رمضان بك السويحلى والسيد صفى الدين ووكيله أحمد التواتى والتى انتهت بمقتل الأخير وانسحاب السيد صفى الدين إلى اجدابيه حيث كان السيد محمد ادريس . يقول مؤرخو السنوسية أن أصل الخلاف أن رمضان بك السويحلى أراد بايعاز من نورى أن يهاجم الحدود التونسية وأن السيد رفض ذلك ويقول مؤرخو طرابلس أن التواتى لم يحسن السيرة فى مصراته فأراد جمع الخمس للطريقة بينما كانت الناس تتجمع للجهاد وترى أن تنفق الأموال فيما يتصل به أولا . ولعل الأمر

---

(١) السنوسية دين ودولة ص١٩٢

رمضان بك السويحلي

أن يرجع إلى رفض الطرابلسيين بزعامة السويحلى الخضوع لنفوذ السنوسية ومحاولة احمد التواتى والسيد صفى الدين تأليب الطرابلسيين فى مسلاتة على السويحلى . وقد اشتبك رمضان السويحلى مع السيد صفى الدين فى معركة أوائل عام ١٩١٦ وهزم قواته فى بنى وليد فطلب إليه السيد ادريس أن ينسحب شرقا .

وعلى هذا النحو انحسر نفوذ السنوسية عن طرابلس وفزان ومنطقة سرت ولم يعد يتعدى وادى زمزم ، واتسع المجال أمام الزعماء الطرابلسيين الذين برز بينهم رمضان السويحلى صاحب مصراته .

وحين نزل نورى فى مصراته أراد أن يقوم بمحاولة أخيرة للجمع بين زعماء طرابلس وبرقة والخضوع للخطة العثمانية فى استمرار المناوشات بليبيا، فأرسل يسترضى السيد احمد الشريف فقد أرسل إليه سلاحا وهو فى منطقة لا تتصل بالعدو ويبدو أنه أراد أن يدافع به السيد ادريس ، وكان السيد قد انتقل إلى طرابلس - كما ذكرنا - بعد استيلاء السيد ادريس على الأمر فى برقة ، وعقد نورى اجتماعاً فى مصراته حضره رمضان السويحلى أراد به أن يحمل الموجودين على الاعتراف بالسيد نائباً عن السلطان ولكن رمضان السويحلى رفض الاعتراف بشخص ينتمى إلى السنوسية مندوبا عن السلطان ، وإزاء ذلك اضطر السيد إلى الذهاب إلى العقيلة ومنها إلى الأستانة ، كما غادر نورى أراضى ليبيا فى أواخر سنة ١٩١٧ .

(٤)

وفى الوقت الذى كلف فيه نورى بتنفيذ خطة الدولة فى برقة خاصة ، أرسل سليمان البارونى فى عام ١٩١٥ - ١٩١٦ لاستئناف الجهاد فى طرابلس ونزل فى مصراته وجمع شيوخ البلاد وبدأ فى تأسيس الحكومة الجديدة .

والغريب أن الشيخ سليمان البارونى قد جاء من الأستانة يحمل فرمانا من

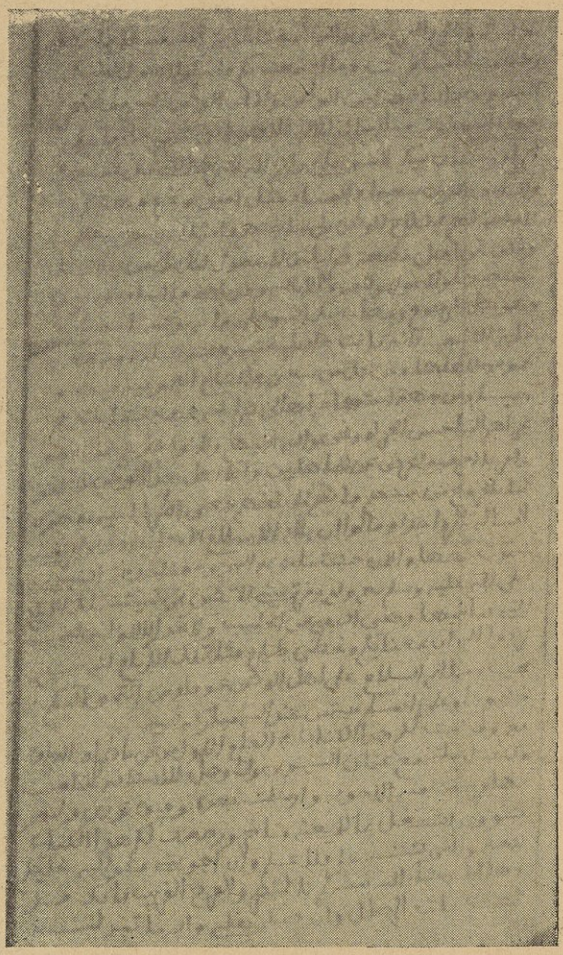

(٧) من خطاب للسيد أحمـــد الشريف
إلى وصفى بك الخازمى بعد مغادرته البلاد

السلطان بتعيينه والياً على طرابلس وقائداً عاما لقواتها المجاهدة ، فى حين أن الدولة قد عينت السيد احمد الشريف نائباً عن السلطان فى أفريقيا الشمالية وجعلت نورى بك قائداً عاما . وهذا دليل آخر على اضطراب الأمور فى الدولة العثمانية وتشبثها بأدنى الأسباب ورغبتها فى اقامة العراقيل أمام أعدائها وفى كل مكان وعلى يد كل من تستطيع ، كما أن الدولة كانت تحرص على ضمان تموين الغواصات الألمانية والحصول على المواد الأولية ، ويتضح ذلك من اتصالات وزارة الخارجية الألمانية بالشيخ البارونى .

وحين نزل البارونى فى مصراته اتجه إلى أمرين : الأول : فض النزاع بين زعماء طرابلس وبين السنوسية : — الثانى : التقريب بين زعماء طرابلس أنفسهم . فقد كان النزاع على أشده بين رمضان السويحلى صاحب مصراته وعبد النبى بلخير صاحب أورفله وبين السنوسية فى منطقة سرت حيث نزل المغاربة وأولاد سيف النصر على الحدود الطرابلسية البرقاوية ، وكان السيد ادريس قد وجه قوة فاحتلت قصر سرت ، فاتصل به البارونى وتم إقرار السلام فى المنطقة . وكان النزاع قائما أيضا بين رمضان السويحلى واحمد بك المريض صاحب ترهونه ، إذ كان كل منهما يطمع فى مد نفوذه إلى مسلاته ، وكان هذان الزعيمان قد استغلا الأتراك والطليان جميعاً لتدعيم زعامتهما وقد استطاع البارونى أيضا أن يعمل على التقريب بينهما ، على أساس تولية كل زعيم من الزعماء المنطقة التى تخضع له على أن يتبع هو حكومة المركز وينفذ تعليماتها وأوامرها ، وانتقل البارونى إلى العزيزية حيث عكف على التنظيم الداخلى فأعاد تشكيلات الولاية إلى ما كانت عليه فى العهد العثمانى وعين كل رئيس على حسب سعة منطقته متصرفا أو قائمقاما واختار بقية الموظفين ملكيين وشرعيين ، ثم اتجه إلى قتال الطليان المرابطين فى الساحل وخاصة فى مدينة طرابلس فأغار عليهم إغارات منظمة وشديدة من العزيزية حتى مركز

زواره على حدود تونس . وأكثر المعارك كانت تدور حول مدينة طرابلس وزنزور وزواره والعجيلات [١] .

* * *

ويبدو أن العثمانيين لم يكونوا جادين فى تولية أمور ليبيا لزعمائها سواء أكانوا من السنوسية أم من أهالى طرابلس ، ففى أوائل سنة ١٩١٨ أرسل الأمير عثمان فؤاد فى غواصة ألمانية وعهدت إليه القيادة العليا فى طرابلس الغرب وجاء معه عبد الرحمن بك نافدرئيسالأركان الحرب وعبد الرحمن عزام مستشارا ، واسحاق باشا حاكما عسكريا ، وبقى عثمان فؤاد فى مصراته حتى اعلان الهدنة فى أكتوبر سنة ١٩١٨ ، وحاول فى هذه الفترة أن يجمع صفوف الزعماء ويوفق بين رمضان بك السويحلى والسيد أحمد الشريف وعقدت بذلك اجتماعات مختلفة لم تكن تنتهى إلى نتيجة . ولبثت الخلافات القديمة قائمة بين مصراته وترهونه خاصة ، وزاد الحرج استبداد اسحاق باشا حاكم المنطقة الغربية ، فشاع التذمر من السلطة العثمانية .

على أن عثمان فؤاد ما لبث أن ترك البلاد . وانسحب العثمانيون مرة أخرى تاركين لأهل طرابلس عبء استمرار المقاومة ضد الطليان . وحرص العثمانيون مرة أخرى على أن تربطهم بطرابلس رابطة ما فعينوا عبد القادر الغناى باشا قائدا عاما بعد عثمان فؤاد ، قائدا عاما إسميا .

(٥)

فى هذه الآونة ظهرت المحاولة الثانية لتبلور الحركة الوطنية فى طرابلس ، وذلك بإعلان الجمهورية الطرابلسية ، فقد دارت المشاورات بين الزعماء ، ودعى الأعيان إلى الإجتماع فى مسلاته فجاؤا من جميع أطراف البلاد وكثرت الاجتماعات وتشعبت الآراء وتعددت الاقتراحات والوساطات

---

(١) انظر تفصيل الوقائع فى جهاد الأبطال ص ٢١٢ — ٢١٦

وانتهى الأمر بالاتفاق على تأسيس حكومة جمهورية من أربعة أعضاء هم : الشيخ سليمان البارونى (الجبل) ورمضان السويحلى (مصراته) وأحمد المريض (ترهونه) وعبد النبى بلخير (أورفله) ، وأنشأ مجلس شورى للجمهورية يتألف من خمسة وعشرين عضوا هم : الرئيس الأول الشيخ محمد سوف بك (جبل) الرئيس الثانى يحيى البارونى (جبل) ، وعبد الصمد بك (ترهونة) والشيخ على رحاب (الجفارة) ، والحاج مفتاح التريكى (مسلاته) والحاج محمد بن حليفة (الساحل) وعبد السلام الجرايمى (يفرنين) والحاج على المنقوش (مصراته) ومحمد بك المنتصر (سرت) والشيخ مفتاح التايب (أورفله) والشيخ محمد بن بشير أولاد بوسيف (جبل) وعبد الرحمن بركان (مرزوق) ومحمد ابن أحمد الفايدى (الشاطىء) والشيخ الحبيب عز الدين (غدامس) وابراهيم أبو الأحباس (جبل) والحاج محمد فكينى (جبل) والشيخ أحمد البدوى (جبل) وسالم البرشوشى (جبل) وشطيبه بك (عريان) وعلى بك بن تنتوش (عزيزية) وعبد الرحمن شلابى (النواحى الأربعة) وعبيده بك (صرمان وعجيلات) ، واختير مختار كعبار بك ليكون رئيسا لمالية الجمهورية . وعبدالرحمن عزام مستشارا وانتخب مجلس شرعى للجمهورية من بعض العلماء .

وأعلن نبأ قيام الجمهورية بالبلاغ التالى :ـ

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فى الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت المبارك الثالث عشر من صفر الخير عام ١٣٣٧ قررت الأمة الطرابلسية تتويج استقلالها بإعلان حكومتها الجمهورية باتفاق علمائها الأجلاء وأشرافها وأعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا من كل أنحاء البلاد ، وقد تم انتخاب أعضاء مجلس الشورى الطرابلسى وانتخب أعضاء مجلس الجمهورية وافتتح أعماله بإعلان الجمهورية إلى الدول الكبرى وإلى الدولة الأيطالية .

وهذه صورة اليمين الذى أداه الحاضرون مع أعضاء الجمهورية والشورى فى الاجتماع العام فى جامع مسلاته :

« أقسم بالله العظيم قابضا بيدى هذه على القرآن الكريم أن أجعل نفسى ومالى فداء لوطنى وحكومتى الجمهورية الطرابلسية وأن أكون لعدوها عدوا ولصديقها صديقا ولقانونها الشرعى مطيعا . »

إن الأمة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذى اكتسبته بدماء أبنائها وقوتها منذ سبع سنين وسعيدة بالوصول إلى هذه الغاية التى هى أشرف ما تصل إليه الأمم وتهنىء أبناءها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام فى الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية الجديدة والتوفيق بيد الله تعالى وحده.

١٣ صفر سنة ١٣٣٧ سليمان الباروني أحمد المريض

١٦ نوفمبر سنة ١٩١٨ رمضان شتيوى عبدالنبي بلخير

وفى اليوم نفسه تقرر مناشدة الدول الكبرى أمريكا وايطاليا وبريطانيا وفرنسا الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية وعرض قضيتها فى مؤتمر الصلح .

قالت الجمهورية تخاطب الرئيس ولسن :

« إن قواعدكم المشهورة بالنسبة لمقدرات جميع الأمم سواء كانت فى أوربا أو خارجها قد شجعتنا كثيرا على أن نضع آمالنا فى مقاصدكم العظيمة ونواياكم العالية الإنسانية . »

وخاطبت الجمهورية رئيس الحكومة الفرنسية فقالت :

« ليس بين الأمم من هو جدير بحريته واستقلاله أكثر من الأمة الطرابلسية التى تقاتل إلى الآن ثمانى سنين ضد غاصب أرضها وحريتها ، وأننا لا نشك فى أن أحساساتكم العالية نحو حرية الأمم والحكومات الصغيرة كما أن غيرتكم على حماية العرب تجبركم على العطف على جمهوريتنا الجديدة الحرة . »

(٨) رجال الجمهورية فى طرابلس
سليمان البارودى واحمد المريض يتصافحان وفى الخلف رمضان السويحلى ممسكا بندقيته

وقالت الجمهورية أخيرا تخاطب رئيس الحكومة الإيطالية :

١ — تفخر الأمة الطرابلسية بتتويج استقلالها باعلان الحكم الجمهورى وانتخاب نواب عنها من كافة أنحائها لمجلس الحكومة والشورى ، ولا هدف لها إلا وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة ، ولا تقصد إلا أن تعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الأمم التى لا تحاول غصب حقوقها .

٢ — لذلك تدعو الحكومة الإيطالية إلى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية إلى مداومة الحرب إلى أن تحقق أملها المشروع[١].

* * *

ووضع أعضاء مجلس الجمهورية أسس النظام الإدارى والمالى وعينوا للقيادة العليا اللواء عبد القادر الغنماى باشا ، واتفقوا فيما بينهم على أن يقيم البارونى فى جهة العزيزية قريبا من منطقة الحرب ، ويقيم المريض فى ترهونه ورمضان فى مسلاته تجاه العدو الذى فى الخمس ، وأن يجمع عبد النبى مجاهدى أورفله ويلحق بالعزيزية . ويكون لكل من الأعضاء الأربعة سلطة مطلقة فى إدارة الجهة التى يكون فيها إلا فيما يتعلق بمخابرات العدو .

وبعد أن خطت الجمهورية هذه الخطوات المبدئية اتجهت إلى المفاوضة مع الايطاليين للاعتراف بالحكومة الجديدة . وكان السيد إدريس السنوسى قد سبق — من جانبه إلى التفاهم مع الإنجليز والطليان .

---

(١) راجع النصوص الخاصة بالجمهورية فى الدولة العربية المتحدة لأمين سعيد ج ٣٢٦ ص — ٣٣٦

الفصل الثانى

المفاوضات

(١)

رأى السيد محمد إدريس للأسباب التى ذكرناها أن يتصل بالإنجليز والطليان[١] ليحصل للبلاد على هدنة . وقد توسط بينه وبين الإنجليز السيد محمد الشريف الإدريسى . واتفق على أن يرسل الإنجليز والطليان وفدين لمفاوضة السيد . وقد بدأت المفاوضات فى الزويتينة على شاطىء خليج سرت قرب أجدابيه . وكان الوفد الإنجليزى مؤلفا برياسة الكولونيل تالبوت Talbot يعاونه أحمد حسنين (باشا) سكرتيرا عربيا ، وكان الوفد الايطالى برياسة الكولونيل فيلا Villa .

وكان الخلاف بين السنوسية والانجليز يسيرا بعد أن أرتدت جنود المجاهدين عن الحدود ، وكان البحث محصورا فى وسائل تأمين سلامة الحدود بين مصر وبرقة ومنع حدوث احتكاك فى المستقبل . وكان الاتفاق يقوم على أسس خمسة :

أولا : فتح الطرق بين مصر وبرقة واتخاذ السلوم مركزا للتبادل بين الفريقين . ولا ينشىء السنوسيون زوايا فى مصر ، على أن للطريقة السنوسية الحق فى جمع التبرعات والاعتراف بأن تكون الجغبوب أرضا مصرية ولكن توكل إدارتها إلى السيد إدريس بطريق الوكالة .

---

(١) جرت مباحثات بين انجلتره وايطاليا عن السنوسية واتفق فى ٣١ يوليو ١٩١٦ على الاتيرم احدى الدولتين اتفاقا مع السنوسية الا بموافقة الأخري وعلى أن السيد أدريس شيخ الطريقة وانضمت فرنسا لهذا الاتفاق فى مارس سنة ١٩١٧ Sanusi of Cyrenica p.134

ثانيا : تسليم الرعايا البريطانيين الذين تلجئهم الظروف إلى النزول بأراض برقاوية ضمن نفوذ السنوسية .

ثالثا : تسليم الضباط الأتراك وغيرهم من أعداء بريطانيا كأسرى حرب وللسيد أن ينفيهم من أفريقيا .

رابعا :إبعاد المفسدين والعابثين بالأمن وعدم السماح للسنوسيين المسلحين بالاقامة فى سيوة أو جغبوب أو غيرها داخل الحدود المصرية .

خامسا : اطلاق سراح المعتقلين من أتباع السيد أحمد الشريف ما أمكن.

هذه أسس الاتفاق الذى وصل إليه السيد فى مفاوضة الانجليز بالزويتينه وتحقق الغرض الأساسى وهو فتح الحدود بين برقة ومصر ، وفتح طريق التجارة ، على أن الكلونيل تالبوت . لم يشأ أن يبرم الاتفاق بين السنوسية والانجليز إلا إذا اتفقوا مع الطليان أولا ، فكان ذلك عاملا جديدا يضاف إلى العوامل السابقة التى دعت السيد إلى مفاوضة الطليان .

تقدم الطليان بمشروع يقتضى : أولا : الاعتراف بسيادة إيطاليا على كل برقة من بنغازى إلى الكفرة . ثانيا : إنهاء حالة الحرب وحل أدوار المجاهدين . ثالثا : أن يسلم المجاهدون أسلحتهم ولا يبقى معهم إلا ما يكفى للمحافظة على أنفسهم . رابعا : عودة شيوخ الزوايا إلى زواياهم والاعتراف بالطريقة السنوسية . خامسا : استقلال الكفرة استقلالا أداريا . سادسا : إعفاء الأسرة السنوسية من الرسوم الجمركية . سابعا : ضمان قيام المحاكم الشرعية الإسلامية بأعمالها ومباشرة وظائفها وبذل المساعدة لتحسين الأحوال الصحية فى البلاد وإنشاء المدارس . . . الخ

وتقدم السيد إدريس بمشروع مقابل : —

أولا : — اعتراف الطليان باستقلال السنوسيين .

ثانيا : — الاعتراف بالسيد أدريس أميرا على برقة .

ثالثا : — تخطيط الحدود بين الأراضى التى فى حوزة السنوسية والأراضى التى استولى عليها الطليان عنوة وكانوا يحتلونها فعلا .

رابعا : — فتح الطرق والعودة إلى حالة السلام .

وقد استمرت هذه المفاوضات طوال شهرى مايو ويونية سنة ١٩١٦ ولم يستطع المفاوضون الوصول إلى نتيجة نظرا لتمسك ايطاليا بفرض سيادتها ، وانتهى الأمر بأن أصدر والى برقة جيوفانى أميليو أمره بقطع المفاوضات ، على أن الوفدين استطاعا أن يخططا الحدود بين المنطقتين الخاضعتين لنفوذ كل منهما ، وأرجئت المفاوضات إلى مكان وزمان آخرين .

وفى أوائل سنة ١٩١٧ تمت اتصالات جديدة بين السيد إدريس والإنجليز بوساطة السيد محمد الشريف الأدريسى أيضا ومع الطليان كذلك ، فتألفت وفود للمفاوضة وكان الكلونيل تالبوت رئيسا للوفد البريطانى يعاونه أحمد حسنين (باشا) وكان الكومندار أرتورى بنتورى رئيسا للوفد الايطالى ومعه السنيوردى فيتا حاكم درنة . واختار السيد عكرمة جهة طبرق مكانا للاجتماع وبدأت المفاوضات فى ١٧ يناير سنة ١٩١٧ .

وفى ١٦ أبريل انتهت المفاوضات إلى ابرام اتفاق عكرمة أوالزيتينة الذى عرف بأنه «شروط تمهيدية لتهدئة خواطر البلاد» . ويقع الاتفاق فى ثلاثة عشر بندا ويقوم على القواعد التالية :

أولا : — الكف عن المحاربة فى قطر برقة ومنع التعديات عن الطليان والعرب الموجودين معهم .

ثانيا : — التجارة يمكن أجراؤها بكل راحة ، ويقتصر على بنى غازى

ودرنة وطبرق نظرا للفتن القائمة ، وعند انتهائها تفتح كل السبل .

ثالثا : — يقف الايطاليون عند نقطهم العسكرية ولا يجددون سواها وكذلك يعين السيد إدريس مواقع أدواره .

رابعا : — تتعهد ايطاليا بإبقاء المحاكم الشرعية ويعين لها قضاة موثوق بهم كما توجد ايطاليا فى برقة مدارس للعلوم والصناعات .

خامسا : — تعيد ايطاليا الزوايا التى تحتلها وتعفى أملاكها من الأعشار وتعين مرتبات لشيوخ الزوايا فى الأراضى المحتلة .

سادسا : — يبدأ السيد أدريس فى نزع السلاح الفائض عن حماية النفس ويسلم سلاح المستسلمين للطليان وسلاح من يعتدى عليهم .

سابعا : — للطليان أن يبعثوا إلى الداخلية مندوبين لهم عند الشيوخ أو السيد مع حرس خاص فيما يتعلق بحركات التجار الايطاليين .

ثامنا : — تؤجل المسائل المتعلقة بواحات الكفرة ومتى لزم إصلاح يؤخذ من ايطاليا .

تاسعا : — تعفى البضائع المستوردة للسنوسية ولطلاب الكفرة من الجمارك ماعدا تجارة السلاح فهى ممنوعة .

عاشرا : — يقوم السيد بإبعاد كل من يكدر العلاقات بينه وبين ايطاليا.

حادى عشر : تقدم إيطاليا المعاونة المالية وتسمح بتوصيل الأدوار بأقرب المراكز الايطالية بالتليفون لتسهيل الاتصال وتبادل الرأى .

ثانى عشر : — يؤجل النظر فى مرتبات العائلة السنوسية .

ثالث عشر : — يلزم الاتفاق استعجالا ويتفق الجميع على الاصلاح وأطفاء الفتن[1] .

لم يعترف الطليان فى هذا الاتفاق اعترافا صريحا بإمارة السيد أدريس السنوسى ولكن إجراء المفاوضات معه كان اعترافا ضمنيا على أن السيد قد

---

(١) راجع النصوص فى الدولة العربية المتحدة لأمين سعيد ج ٣ ص ٣٠١ ـ ٣٠٤ .

جنى من الاتفاق مزايا عدة إلى جانب هـذا الاعتراف الضمنى وأهمها إمكان التغلب على حالة المجاعة المتفشية فى البـلاد وفتح أسواق التجارة مع الثغور واستعادة الزوايا وأملاكها وهى أهم موارده .

وواضح أن ايطاليا لم تـكن تريد من وراء المهادنة غير فسحة من الوقت تنصرف فيهـا إلى مشاكلها الداخلية ومجهودها الحربى ، إلى جانب ما تتيحه الهدنة من فرصة للاتصال بأهالى البلاد ومحاولة استمالتهم إلى جانبها .

وكانت ايطاليا قـد دخلت فى هـذه الفترة فى مفاوضات مع الجمهورية الطرابلسية الناشئة حتى انتهت إلى إصدار القانون الأساسى لطرابلس ، ثم اتبعته بمثله لبرقة أيضا .

(٢)

توالت اجتماعات الحـكومة الرباعية فى العزيزية والقصبة فى ديسمبر سنة ١٩١٨ لوضع التدابير السياسية والإدارية وطرق توزيع المال والأسلحة التى خلفها العثمانيون فى مصراته وتقارب الزعماء وتناسوا أحقاد المـاضى ، وصفت العلاقات بين السويحلى والمريض واتصل السويحلى بالسيد إدريس فى مثل ذلك .

وقـد ألحق ببلاغ الجمهورية إلى رئيس الحـكومة الايطالية ملحق تعلن فيه الجمهورية عن استعدادها للبحث مع الحـكومة الايطالية فى عقد صلح ، على أن يكف الطرفان عن القتال أثناء المذاكرات ، ولا تقرب السفن الحربية من السواحل غير المحتلة ، ولا تتجاوز الطائرات حدود الاستحكامات ، ويمنع اتصال الطليان بالأهالى ، وتحصر المخابرات الرسمية فى منطقة الخمس ، ولا تتقيد الجمهورية بمـا تتعهد به حكومة أخرى لايطاليا فى طرابلس ، ويبقى الضباط الأتراك والألمان والنمسويون ضيوفا على الحـكومة الطرابلسية

وقد قابلت ايطاليا هذا التبليغ بإلقاء منشورات من الطائرات كلها تهديد

ووعيد واستعانت بأكرم بك بن رجب باشا وإلى طرابلس السابق ، وكانت حكومة الأستانة قد أرسلت رجب بك لتبليغ قرارات الهدنة، فحاول أكرم بك الاتصال بالزعماء واقناعهم بالخضوع ولكنه أخفق كما استعانت أيضا بفرحات بك مبعوث طرابلس السابق فأخفق كذلك[1] .

وعقد زعماء الجمهورية مؤتمرا فى العزيزية طلبوا فيه أن ينال الطرابلسيون الجنسية الإيطالية فيكون لهم كل ماتمنحه هذه الجنسية من الحقوق ، ولكن الحكومة الإيطالية رفضت الطلب وكان من نتيجة الاتصالات بالوالى الإيطالى غاريونى أن تقدم هذا إلى حكومة روما بطلبات الوطنيين وتتلخص فيما يلى :

أولا : المساواة التامة أمام القانون بين العرب والطليان فى طرابلس مع حق العرب فى تحكيم الشريعة الإسلامية فيما يتصل بأحوالهم الشخصية .

ثانيا :احترام الحرية الشخصية فى حدود القانون .

ثالثا : احترام حقوق الملكية والإقامة .

رابعا :المساواة بين العرب والطليان فى دخول المسابقات الخاصة بالوظائف المدنية والعسكرية والأعمال الحرة .

خامسا : خضوع مجلس الحكومة والمجالس المحلية لقرارات هذه المجالس المبرمة بالأغلبية .

سادسا : ممارسة حقوق الانتخاب لمن تتوفر فيهم شروطه .

سابعا : اشتراك الوطنيين اشتراكا فعليا فى الإدارة .

وكانت ايطاليا قد حشدت فى طرابلس حوالى ثمانين ألف جندى فى المدن الثلاث التى تحتلها وهى طرابلس والخمس والزاوية ، ولكن هذه القوات تعرضت لهجوم المجاهدين فى الزاوية وترينة غير مرة ، وكان ضعف ثقة

---

(١) جهاد الأبطال ص ٢٣٨ — ٢٤٠ و ٢٤٤ — ٢٤٥

الطليان بقدرتهم على الصمود ، والخلاف بين العسكريين والسياسيين منهم ، سببا فى أخذهم بمبدأ الصلح مع العرب .

بدأت المفاوضات بخلة الزيتونة فى مارس ١٩١٩ وحضر عن الجانب الإيطالى السنيور تارديتى رئيس المكتب السياسى وحضر عن الطرابلسيين الهادى كعبار والصويعى الخيتونى ومحمد فكينى وعلى بن تنتوش ثم أحمد المريض وكانوا يباشرون المفاضة بما يتفق عليه مع رمضان السويحلى وسليمان الباروني وعبد الرحمن عزام . واستمرت المفاوضات حتى ١٨ أبريل ١٩١٩ ولم يستطع تهديد الطليان بجيوشهم أن يزحزح العرب عن التمسك بحقوقهم فاعلن قطع المباحثات مع وقف الحرب والاتفاق على قاعدة للصلح هى « منح الشعب الطرابلسى دستورا يخول له مباشرة حقوقة المدنية والسياسية ويعطيه الحق فى القيام بجميع واجباته الكبرى كالشعوب المتمدنة كما هو فى شروط الحرية الحديثة وإلى أن ينفذ هذا الاتفاق ويصير العمل بمقتضاه تعطى للزعماء ضمانات وامتيازات ويخولون حقوقا . على هذا اتفق الطرفان اتفاقا وقتيا ولكنه كاف لأن يكون ضمانا ناجزا من الناحيتين » .

ثم استؤنفت المباحثات مرة ثانية بخلة الزيتونة فى لأيو ١٩١٩ وانتهى المتفاوضون إلى الاتفاق على الصلح المعروف بصلح بنيادم الذى أسفر عن القانون الأساسى [١] .

(٤)

وضعت إيطاليا القانون الأساسى الطرابلسى وصدر به مرسوم من ملك إيطاليا فى أول يونية سنة ١٩١٩ كما أصدرت أيضاً قانونا أساسيا لبرقة ليحل محل اتفاق عكرمة المؤقت وليس بين القانونين الأساسيين إلا خلاف يسير جداً اقتضته طبيعة السكان فى برقة .

---

(١) الطاهر الزاوى ، جهاد الابطال ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩

يبدأ القانون الأساسى بتحديد معنى الوطنيين الإيطاليين فى طرابلس وبرقة وتنظيم الجنسية (الفصول ١، ٢، ٣) والمساواة بين الإيطاليين أمام القانون (فصل ٤) والنص على الحقوق المدنية والسياسية كالحرية الشخصية وحرية المنازل وحرمة الملك والالتحاق بالوظائف ومباشرة الحرف والانتخاب (فصل ٥ و ٦) وحرية الطبع والاجتماع (فصل ٧) والتجنيد الاختيارى (فصل ٨) والمساواة فى فرض الضرائب (فصل ٩)، وإباحة التدريس الخصوصى تحت إشراف الحكومة (فصل ١٠)، وتدريس المواد باللغة العربية فى التعليم الابتدائى والمتوسط مع وجوب تعلم الإيطالية إلا فى الصفوف الثلاثة الأولى (فصل ١١) وفى الدستور البرقاوى نص على التدريس بالإيطالية فى مراحل التعليم إلا ما يتصل بالتراث الإسلامى، وكفالة الحرية الدينية للمسلمين (فصل ١٢).

ثم تعرض الدستور فى الفصول من ١٣ إلى ٢٥ بدستور طرابلس ومن ١٣ إلى ٢٦ بدستور برقة إلى تشكيل الحكومة من وال ينصبه ملك إيطاليا ومجلس نواب محلى منتخب، وفيه عدد محدود معينون بحكم وظائفهم، ودوائر رئيسية مدنية وعسكرية يعين رؤساؤها بأمر ملكى، والى جانب هذه السلطات ينص الدستور على تكوين مجلس حكومة من عشرة أعضاء يعين الوالى عضوين وينتخب مجلس النواب ثمانية من غير أعضائه.

وقد نص دستور طرابلس على أن يكون النائب ممثلا لعشرين ألف مواطن وجعل دستور برقة مجلس النواب لتمثيل القبائل فينتخب شيخ عن كل ٤ آلاف ويكون للقبيلة شيخ للشيوخ وتحته شيوخ البطون ويقوم هؤلاء بمهمة الحكام.

وجعلت مدة مجلس النواب أربعة أعوام وللوالى أن يحله على أن تجرى الانتخابات فى غضون أربعة أشهر. وينظر مجلس النواب فى أمرين:

الأول: الضرائب الحكومية وتوزيعها.

الثانى: القواعد المرشده فى الخدمات المدنية العامة.

وقد قسمت البلاد إلى أقسام إدارية هى المتصرفية والقضاء والناحية ، يعاون رئيس كل منها مجلس من أعيان المكان ينتخبه الأهالى لمدة ٣ سنوات . (الفصل ٢٧ — ٢٨) .

وينظم الدستور فيما عدا هذا الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية والمحاكم (فصل ٢٩ — ٣٠ بدستور طرابلس) ، (٣١ — ٣٢ — ٣٣ برقة) .

وفى ختام الدستور بيان عن الشروط التى يجب أن تتوفر فى الإيطالى حتى ينال صفة الوطنيين[١] .

* * *

وقد ألحق بهذا الدستور فى برقة اتفاق جديد بين إيطاليا وبين السيد أدريس هو اتفاق الرجمة الذى أبرم فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٢٥ .

ويعتبر هذا الاتفاق أول إقرار صريح من إيطاليا بأمارة السيد أدريس وهو يتألف من عشرين مادة وملحق وأهم ما فيه[٢] .

أولا : تفويض إدارة واحات أوجله وجالو والكفرة وجغبوب للسيد على أن يتخذ أجدابية مركزاً له .

ثانياً : جعل الأمارة وراثية فى نسل السيد .

ثالثاً : تخويل الأمير حق اتخاذ علم خاص به .

رابعا : تخصيص معاش سنوى للأمير وأفراد العائلة السنوسية .

خامسا : حرية التنقل للأمير فى برقة كلها واستشارته فى أمور البلاد .

سادسا : تكون منزلته بعد الوالى الذى نص عليه القانون الأساسى مباشرة .

سابعا : للأمير حق طلب العفو وتخفيض الجزاء .

هذا فيما يتصل بالأمير وعائلته أما أهالى البلاد فأهم ما ينص عليه الاتفاق بشأنهم :

---

(١) راجع الدولة العربية المتحدة لأمين سعيد جـ ٣ ص ٦١ — ٧١ لبرقة و ص ٢٤٣ — ٣٤٥ وراجع أيضا عن القانون الأساسى لطرابلس جهاد الأبطال ص ٢٥٣ — ٢٦٠

(٢) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة جـ ٣ ص ٣٠٤ — ٣١٠

أولا : اشتراك نواب عن الواحات الخاضعة للسيد فى مجلس النواب .

ثانيا : ترك إدارة شئون البلاد لرؤساء القبائل ومشايخ المشايخ كنص الدستور ، وتقع عليهم مسئولية حفظ النظام والأمن .

ثالثا : تعلن إيطاليا أنها لا تنوى أصلا أن تمتلك أراضى الأهالى سواء كانت مملوكة للأفراد أو لجماعات فضلا عن أراضى الزوايا .

رابعا : تعين معاشات دائمة لمشايخ قبائل الواحات .

خامسا : لا تقرر الضرائب إلا بعد بحث مجلس النواب .

سادسا : الإعفاء من الخدمة العسكرية الإجبارية .

سابعا : تأسيس مدارس ابتدائية وإعدادية تدرس فيها جميع الفنون الدينية والعصرية باللغتين العربية والإيطالية[1] .

(٥)

واضح أن اتفاق الرجمة كان ينص على أهم مافى القانون الأساسى ، ويزيد عليه ما يتصل بالسيد أدريس والعائلة السنوسية من اعتراف بالأمارة فى كنف الرعاية الإيطالية وترتيب المعاشات[2] والمعاونة فى حكم البلاد ، وقد احتفل بالاتفاق احتفالا كبيراً ودعى السيد أدريس إلى زيارة روما فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ حيث استقبله الملك عما نويل بالحفاوة ومكث فى ضيافة الحكومة الإيطالية حتى عاد إلى بنغازى فى يناير سنة ١٩٢١ .

على أننا نلاحظ بالقياس إلى هذا المظهر البراق من حسن العلاقات بين السنوسية وإيطاليا جفاء ووحشة فى معاملة الطليان لأهالى طرابلس ، فقد اتفق أن كان فى روما فى عين الوقت الذى كان يزورها فيه السيد أدريس وفد

---

(١) أمين سعيد : المصدر السابق .

(٢) كانت مخصصات الأمير الشهرية ٦٣ ألف ليرة ، ٩٣ ألف ليرة للعائلة السنوسية ، ٢,٦٠٠,٠٠٠ للنفقات العامة . Sanusi of Cyrenaica 148—149.

من رجال طرابلس يطالب بتنفيذ القانون الأساسى وانجاز الوعود الإيطالية لأن الطليان بعد أن أصدروا القانون الاساسى أخذوا يماطلون فى تنفيذه فلم يفعلوا شيئا لإجراء الانتخابات النيابية أو إنشاء الحكومة التى تم الاتفاق على تأسيسها .

وكانت الجمهورية قد حلت فى آخر أغسطس سنة ١٩١٩ وأخذ الزعماء يتشاورون فى اجتماع عقد فى ترهونه لاختيار الأعضاء الثمانية لمجلس الحكومة الذى نص عليه القانون الأساسى[١] . وظهرت فى هذه الفترة زعامة رمضان السويحلى فأنشأ منظمة جديدة هى حزب الإصلاح الوطنى فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ وكانت لرمضان السويحلى الرياسة الشرفية ولأحمد المريّض الرياسة العاملة ، واشترك فيه خالد بك القرقنى وعثمان الغريانى مدير جريدة اللواء الطرابلسى ، وعبد الرحمن عزام . وقد صاغ الحزب الأهداف الوطنية بحيث تتفق مع الفترة الحاضرة وأصدر منشوراً يتضمن مبادئه ويدعو إلى العمل من أجل إسعاد الوطن ورقيه ونشر أسباب الرخاء فى ربوعه . ولخصت الأهداف فيما يلى :

أولا : المحافظة على حقوق العرب الكاملة المتضمنة فى القانون الأساسى لطرابلس .

ثانيا : التعجيل بتنفيذ القانون حتى يؤتى ثماره فى أقرب وقت مع تأكيد روحه الإصلاحية وما فيه من نص على تدريب الطرابلسيين على حكم أنفسهم حتى يحققوا للبلاد أكبر قدر من الحرية .

ثالثا : التضامن بين الإيطاليين والعرب على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح .

رابعا : نشر التعليم بكل الوسائل بحيث تستوعب البلاد الحضارة الغربية

---

(١) قدّم رمضان السويحلى للوالى أسماء الثمانية الذين وقع الاختيار عليهم وهم عمر أبو دبوس وأحمد السويحلى وعلى الشنطة وأحمد الفساطوى ومحمد الصويعى ومحمد فيكنى ومحمد مختار كعبار ومحمد بن الفقيه حسن وصدر أمر الوالى بتعيينهم فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٩ ولكن مؤامرات الطليان ودسائسهم حالت دون أن تباشر هيئة الحكومة أعمالها فى دائرة سلطتها .
(جهاد الأبطال ص ٢٤٤ ـ ٢٦٥)

وعلومها وذلك مع المحافظة على العادات الإسلامية لتدعيم الأخلاق العربية .

خامسا : بذل أكبر قدر من العناية لإصلاح الحالة الاقتصادية وإقامة أساس صالح وعادل توزع بمقتضاه الثورة الوطنية على الشعب[١] .

فنشطت الحركة الوطنية فى طرابلس وأخذت جريدة اللواء الطرابلسى تهاجم الإدارة المحلية وتطالبها بالإصلاح وفقا للمبادىء التى أقرها القانون الأساسى . وترمى الإيطاليين بأنهم يتحايلون على إنكار المساواة وبين العرب والطليان مما يزيد الطرابلسيين تمسكا بمطالبهم المشروعة ويقوى روح المعارضة لكل ما يعتبرونه اغتصابا وسلبا من جانب إيطاليا .

وقد وجدت هذه الحركة الوطنية الطرابلسية نصيرا فى الحزبين الاشتراكى والشعبى فى إيطاليا مما اقض مضاجع الرجعيين وخاصة قواد الجيش وأصحاب احتكارات الأسلحة فإن قيام حكومة مدينة أصبح يهدد الجيش وفقدان سيطرته على ليبيا ، كما أن توقف القتال ، أضاع من أيدى أصحاب مصانع الأسلحة والمتجرين بها سوقا رائجة رابحة . قالت جريدة (Avanti) فى ١٨ يونية سنة ١٩٢٠ :

« إن حربا جديدة تهدد الطبقة العاملة الإيطالية فالعنصر العسكرى يسعى بكل وسيلة وفى كل لحظة لإشعال نيران الوطنية لتبرير بقائه فى حكم المستعمرات . أن العنصر العسكرى هو العنصر الجهنمى فى هذا الموقف . فقد كان دائما شديد الحرص على دفع السكان المحليين إلى امتشاق الحسام حتى يجعل وجود جيش صغير تسنده إدارة ضخمة أمراً لا مفر منه . » وقالت الجريدة نفسها فى ٢٠ يونية . « إن الموقف فى ليبيا وألبانيا متماثل يبدأ باستثارة العنصر الوطنى بسياسة من المخاتلة والتدليس والتحرش ثم بعد أن يتهيأ هذا العنصر الوطنى للدفاع عن حقوقه وحريته ووجوده يتدخل العنصر العسكرى ليخمد بالعنف هذه الثورة المستثارة[٢] » .

---

(١) جهاد الأبطال ص ٢٦٦ (٢) حقائق الكفاح الوطنى ص ١٤ .

وأخذ رجال إيطاليا المحليون يبذرون الشقاق بين الزعماء ويدبرون حملة عدائية ضد رمضان السويحلى الذى قال عنه جرازيانى بعد موته : ـ على هذه الحال انتهت حياة الرجل الذى كان أشد الناس كراهة وحقدا للاسم الإيطالى، وكان ذلك من حسن حظنا لأنه كان يتصف بجميع مميزات الزعيم مع جدارة وخبره نادرة المثال فى التنظيم العسكرى والسياسى مع ما نال من شهرة تدين قوى . فلو بقى حيا لكان أمامنا عمليات شاقة ومصاعب جمة »[1] . خشيت إيطاليا أذن من تركز زعامة طرابلس فى شخص رمضان السويحلى فأخذت تحرك الأحقاد القديمة فى ترهونه وأورفله .

يقول الشيخ الطاهر الزاوى :

« وبعد اعلان القانون الأساسى لعبت الدسائس دورها وراوغ الطليان فى تطبيقه واتجهت أنظارهم إلى القبض على رمضان السويحلى ، وكان يقيم بعسكره فى جنزور فأحبط الله أعمالهم وأفلت من أيديهم إلى مسلاته . وأمتدت الدسائس الإيطالية إلى أورفله وثبت لدى رمضان أن القضاء عليه وعلى نفوذه فى المقام الأول من اهتمام الطليان وأذنابهم ولو من طريق الحرب . وكان عبد النبى بن خير من البارزين فى قيادة هذه الحركة . وكثر تحرش الطليان بالعرب فى الزاوية وغريان ونالوت ، وتحزب بعض الناس على غريان وظهرت بوادر الفتنة فى الجبل واتخذت أورفلة مركزا لهذه الحركة . وتحقق لرمضان أن من وراء هذا كله أيديا إيطالية تدفعها دفعا وتمدها بأسباب الحياة والقوة فكان مما رآه لدرء الخطر أن يحتل أورفلة وبذلك يؤمن ماوراءه إلى فزان ، ويمكنه الاتصال بأنصاره فيها ، وفى غريان ونالوت وزوارة والزاوية وكانت قوافل أورفلة تغدو وتروح على مدينة طرابلس متخذة طريقها على حدود ترهونه الغربية وقد ذهبت بعثة إيطالية إلى أورفلة للاشراف على تدبير هذه الحركة فإذا أضفنا إلى هذا ما تقدم وأضفنا إليهما ما حدث من الغزو على

---

(١) جهاد الأبطال ص ٢٨٢

حدود مصراته ممن تحميهم أورفلة تبين لنا من غير شك أن بقاء اورفلة على هذا الوضع يهدد حياة رمضان والحركة الوطنية .

وفى يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٠ صبح رمضان بجيشه أورفلة فى بنى وليد وعلى جلبته استيقظ السكان . وأفلت عبد النبى من أيدى من وكلوا بالقبض عليه ، وتسابق رجاله إلى الآبار فاحتلوها قبل جيش رمضان وأنهك العطش قوى جيش رمضان وخذله من وعدوه بالمساعدة من أورفلة ، ولم تمض ساعات حتى انتهت المعركة فى مصلحة أورفلة وأسفرت عن قتل رمضان السويحلى »[١] .

ولا شك أن مقتل رمضان السويحلى كان خسارة كبرى للحركة الوطنية الطرابلسية فقد كادت زعامة الحركة الوطنية تنعقد له وكان له من ماضيه المجيد منذ سنة ١٩١١ وشجاعته وقوة شخصيته وسماحتها مايؤهله لدور أعظم .

يقول بشير السعداوى بك فى تقرير رفعه إلى المؤتمر الإسلامى عام ١٩٣١ يصف حال البلاد فى هذه الفترة : أن الإيطاليين أخذوا يبثون بدور الفساد من وراء الحجب ويوزعون على بعض سخفاء العقول المبالغ الطائلة من الأموال والسلاح والذخائر الحربية لايقاد نار الفتن بين الأهلين والتفريق بين الوطن وبنيه والأخ وأخيه وكادوا يصلون إلى رغائبهم ويوقعون البعض فى تلك الحبائل التى نسجتها أيديهم لولا أن عقلاء البلاد أدركوا تلك الدسائس وتلافوا أمرها بعقد مؤتمر عام فى مدينة غريان عام ١٩٢٠ ضم نخبة من رجالات البلاد فتبادلوا الآراء وفكروا فيما ينقذ البلاد من الفتن والفوضى [٢] .

---

(١) من ترجمة مختصرة لرمضان السويحلى كتبها الشيخ الطاهر الزاوي (مخطوطة تفضل بها السيد الفيتورى السويحلى) ، جهاد الأبطال ص ٢٦٧ — ٢٨٥

(٢) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة ج ٣ ص ٣٤٦

(٦)

عقد مؤتمر غريان فى نوفمبر سنة ١٩٢٠ بعد أن اختار كل بلد من يمثله ما عدا بلاد البربر فقد حالت الفتنة التى كانت قائمة بينهم وبين الزنتان دون اشتراكهم فيه وانتخب أحمد المريض رئيسا وعبد الرحمن عزام مستشاراً ودامت الجلسات ١٥ يوماً ، وبعد البحث والمناقشة انتهى المجتمعون إلى هذا القرار :—

« أن الحالة التى آلت إليها البلاد لا يمكن تحسينها إلا بإقامة حكومة قادرة ومؤسسة على ما يحقق الشرع الإسلامى من الأصول بزعامة رجل مسلم منتخب من الأمة لا يعزل إلا بحجة شرعية واقرار مجلس النواب وتكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الأمة بواسطة نوابها وأن يشمل حكمه جميع البلاد بحدودها المعروفة[1] » .

وانتخب المؤتمر حكومة وطنية أطلق عليها اسم هيئة الإصلاح المركزية وانتخب أحمد المريّض رئيسا لها وعبد الرحمن مستشاراً وكان من أعضائها محمد فرحات الزاوى ومختار كعبار وبشير السعداوى وغيرهم[2] .

وقرر المؤتمر إرسال وفد إلى روما للسعى لدى الحكومة الإيطالية بأن تكف عن سياسة التحرش وتخضع لرغائب أهالى البلاد ، وتألف هذا الوفد من محمد فرحات الزاوى رئيسا ومحمد نورى السعداوى والصادق بن الحاج وخالد القرقنى أعضاء . وقد اتصل هذا الوفد بالحكومة الإيطالية وطالب بتنفيذ القانون الأساسى ولكن الحكومة الإيطالية رفضت إجابة مطالب الطرابلسيين وأصرت على ضرورة اطلاق سراح بقية الأسرى قبل بدء المفاوضة[3] . أخفق الوفد فى مهمته الرسمية ولكنه استطاع أن يكسب صداقة الحزب الإشتراكى وتأييد زعماء الأحزاب الشعبية والديمقراطية الإيطالية فقام هؤلاء الزعماء بالمطالبة

---

(١) أمين سعيد : الدولة العربيه المتحدة ج ٣ ص ٣٤٦

(٢) جهاد الأبطال ص ٢٩٩ — ٣٠١

(٣) ألف الطليان وفدا لمعارضة وفد المؤتمر كان من أعضائه حسن باشا القرمنلى والشيخ محمد أبو الأسعاد العالم مفتى طرابلس الآن . (جهاد الأبطال ص ٣٠٢)

فى البرلمان الإيطالى بإيقاف العمليات الحربية على وجه عاجل وبإجابة مطالب الطرابلسيين المشروعة .

وقرر مؤتمر غريان أيضا توحيد الكفاح فى القطر الطرابلسى بين برقة وطرابلس ، حتى تجتمع كلمة الليبيين وتتآلف النفوس المتنافرة ، وتجتمع البلاد فى جبهة متحدة ضد العدو المشترك ، وانتدبت هيئة الإصلاح المركزية وفداً للمفاوضة مع السنوسية يتألف من أحمد السويحلى وعبد الرحمن عزام وعمر بودبوس ونورى السعداوى والشتيوى بن سالم والصويعى الخيتونى وصالح بن سلطان . واجتمع الوفد فى ديسمبر سنة ١٩٢١ بسرت مع مندوبى السنوسية وهم الشيخ صالح الأطيوش والشيخ نصر الأعمى والشيخ خالد القيصة والشيخ صالح السنوسى بن عبد الهادى البرانى ووقع الفريقان بعد البحث ميثاقا للكفاح والتعاون فى السراء والضراء .

ويتألف اتفاق سرت من اثنتى عشرة مادة هى : —

أولا : يجب أن نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين.

ثانيا : يجب أن يكون عدونا واحدا وصديقنا واحدا .

ثالثا : أن كافة ما وقع من الطرفين من التجاوز لا يطالب به أحد الآخر إلى أن تستقر الحالة فى الوطن وتتعين وضعية البلاد العمومية ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان فى المسامحة بين العربان ومن يتعدى بعد الآن فعلى الحكومة التابع لها أن تعاقبه بما يستحق .

رابعا : كل من يخالف الجماعة ويدس الدسائس الأجنبية على الحكومة المنسوب إليها ، يعدم وتصادر أمواله حسب الشريعة الإسلامية .

خامسا : يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقضى بتوحيد الزعامة فى البلاد ولذلك يجعلان غايتهما انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة .

سادسا : يتخذ الطرفان الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة فى المادة الخامسة وأن تكون تولية الأمير بإرادة الأمة .

سابعا : متى تحققت الغاية المذكورة فى المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيس من الفريقين لوضع القانون الأساسى والنظم اللازمة لإدارة البلاد وقبل ذلك ، وتمهيدا لهذه الأعمال يجب على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوبا للبلدين لأجل أن يشتركا فى سياسة البـــلاد والتدابير المقتضية للدفاع عن الوطن .

ثامنا : يتعهد الطرفان بأن لا يعترفوا للعدو بسلطة وأن يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المتحصن فيها الآن وفى حالة وقوع حرب يتضافر الفريقان على حرب العدو وأن لا يعقدوا صلحا أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.

تاسعا : إذا خرج العدو من حصونه مهاجما جهة من الجهات وجب على الجهة الأخرى أن تمد المهاجم بالمهمات الحربية والمال والرجال وأن تنذر العدو بالكف عن التجاوز وإذا لم يفعل تهاجمه هى بدورها .

عاشرا : تجتمع هيئة منتخبة من أهالى طرابلس وبرقة مرتين فى كل سنة فى شهر المحرم ورجب للنظر فى مصالح البلاد .

حادى عشر : يشترط أن يوافق على هـذه المعاهدة كل من حكومة برقة والهيئة المركزية فى طرابلس .

ثانى عشر : مهمة الهيئة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتأييد هذه الإتفاقية [1] .

* * *

وقد بدىء بتنفيذ المادة السابعة من هـذا الإتفاق فأرسلت حكومة طرابلس بشير بك السعداوى مندوبا لها فى حكومة برقة وانتدبت حكومة

---

(١) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة ـ ج ٣ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠

برقة السيد عبد العزيز العيساوى لتمثيلها لدى طرابلس . ثم كانت الخطوة التالية فى تنظيم الكفاح المشترك توحيد الزعامة على البلاد الليبية كلها ، وقد اتجهت نية رجال هيئة الإصلاح المركزية إلى مبايعة السيد أدريس بالإمارة فى حدود مقررات غريان .

وقام وفد من رجال طرابلس قوامه الشيخ محمد بن حسن والشيخ محمود المسلاتى والشيخ طاهر الزاوى للاجتماع بالسيد أدريس فى أجدابية سنة ١٩٢١ وطلب إليه أن يزور مصراته ليبايعه الطرابلسيون فاعتذر السيد باعتلال صحته وعندئذ استقر الرأى على إرسال كتاب المبايعة إلى الأمير فى أجدابية .

أوضح كتاب البيعة أن الغاية هى « تأسيس حكومة دستورية يرأسها أمير مسلم جامع للسلطات الثلاثة الدينية والعسكرية والسياسية مع مجلس نيابى تنتخب الأمة أعضاءه ، ولما كانت هذه الغاية لاتتحقق إزاء هجمات إيطاليا ومحاولتها التفريق وإشاعة الفوضى إلا بالإتفاق حول أمير واحد يرضاه القطران الشقيقان ، ولما كان الأمير « من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما يجتمع فى ذاته الشريفة من المزايا العالية والأوصاف الجليلة » فإن هيئة الإصلاح المركزية الحائزة للوكالة المطلقة من مؤتمر غريان الذى يمثل الأمة الطرابلسية بانتخاب واقع منها ، قد وجدت فى سموكم أميرا حازما قادرا على جمع الأمة حائزا للثقة العامة محبوبا ، فهى لذلك تبايع سموكم أميرا للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودهما إلى ما يحقق آمالهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها » .

وقد رد الأمير على كتاب البيعة شاكرا مقرا لها فى قوله « ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التى طالما سعيت إليها وجدت من واجبى أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسئولية العظمى التى رأت الأمة تكليفى بها فعلى إذن أن أعمل بجد معكم ولكن لاتنسوا أنى بغير جدكم وأقدامكم لاقدرة لى على شىء » . وقبل الأمير شرط الشورى وأقر الأمور على ما هى

عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد ، ووكل إدارة طرابلس إلى هيئة الإصلاح المركزية(١).

كان قبول البيعة فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكانت محاولة الإتحاد بين القطرين الليبيين أخشى ما تخشاه إيطاليا وقد عملت فى عرقلته ما استطاعت ببث العداوات فى طرابلس ، وتحذير الأمير من الإتصال بالطرابلسيين ، وتحولت إيطاليا إلى العدوان من جديد، وخاصة بعد ارتقاء الفاشية إلى الحكم وزحف موسولينى على روما فى أكتوبر سنة ١٩٢٢ ، وأخفقت المفاوضات التى دارت بين هيئة الإصلاح المركزية وبين مندوبى الوالى الإيطالى فى فندق الشريف (مارس ١٩٢٢) لأن الحكومة الإيطالية رفضت الإعتراف بقرارات مؤتمرى غريان وسرت وبيعة الأمير السنوسى(٢)، ورأى الأمير أن يغادر أجدابية فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ويخرج إلى مصر .

وبهذا انتهت فترة المهادنة والمفاوضة فى ليبيا ، واستؤنف الكفاح المسلح من جديد .

---

(١) انظر نص كتاب البيعة والرد عليه فى الدولة العربية المتحدة ج ٣ ص ٢٧١ — ٢٧٤

(٢) راجع التفصيل فى جهاد الأبطال ص ٣١٣ — ٣١٤ .

الفصل الثالث

استمرار المقاومة ـ عمر المختار ـ

كانت آخر محاولة للتفاهم مع إيطاليا حين أبلغت هيئة الإصلاح المركزية السنيور بيلاّ نائب الوالى مقررات مؤتمر غريان واتفاقية سرت ومبايعة السيد إدريس فى كتاب جاء فيه ما يلى :

« باندفاع أسلافكم مع تيار الفتنة والتفريق حدثت اضطرابات فى البلاد وقفت الحكومة الإيطالية أمامها موقف المتفرج فاضطرت الأمة إلى عقد مؤتمر غريان وأبلغت مقرراته الصائبة إلى الحكومات وأرسلت وفدها للمطالبة بما أجمع عليه المؤتمر فلم يكن حظه إلا الأعراض والاستخفاف بمهمه ذلك الوفد مع استمرارها فى خطة المراوغة والتفريق .

ولما حال الحول على وفدنا وهو يستعطف المصادر الرسمية وغير الرسمية والحكومة مصرة على تلك السياسة الممقوتة وتحقق أهل القطرين طرابلس وبرقة أن حياتهما محفوفة بالخطر فى الحال والإستقبال وأن مادهم أحد القطرين لابد أن يحيق بالآخر لما بينهما من العلائق المادية والمعنوية لاسيما وأن إدارتهما إلى عهد الإحتلال واحدة ، عندئذ تبادل عقلاء الفريقين المراسلات والآراء فيما يضمن الراحة ويفسح مجال الأخاء ويسهل سير الأمتين العربية والإيطاليه فى سبيل الحالة الإقتصادية مع المحافظة على حق إيطاليا السياسى . فقرر الفريقان بالإجماع فى سرت إتفاقية من جملة نصوصها المطالبة بتوحيد إدارة القطرين وهو الحل النهائى الذى لا يبقى ريبا لهذه القضية المعضله التى لاتزيدها سياسة المراوغة والتفريق وطول الأمد ألا تحكما فى عقد الخلاف

فتصبح من الأمراض المزمنة ويعسر حلها فضلا عما تصاب به الأمتان من الخسائر وما يفوتهما من المنافع كما لا يخفى .

أما نحن أهل القطرين فإن الأدوار المحزنة والتجارب المؤلمة أرشدتنا إلى صورة حل هـذه المشكلة حلا لاحظنا فيه المنافع الإيطالية سياسية كانت أو اقتصادية وهو أن تؤسس حكومة نيابية للقطرين يرأسها رجل مسلم تنتخبه الأمة وتكون له السلطات الإدارية جميعها مع السلطة الدينية ولا نظن أن الحكومة لا تستحسن هذا الحل المفيد أن تجردت عن ملاحظة الإشكال والاعتبارات ووجهت نظرها إلى الحقائق والجوهريات [١] » .

وقد أخفقت هـذه المحادثات واستؤنفت الحرب من جديد فى طرابلس كما اجتمعت الأسباب أيضا لتجدد الحرب فى برقة فقد خالف السيد إدريس إيطاليا بقبوله البيعه وخروجه إلى مصر ، ولم يستطع الطليان نزع سلاح القبائل ، فقالت إيطاليا أن السنوسية نقضت اتفاقية الرجمة ، وبدأت تحل الأدوار فى برقه عنوة ، وأعلن الوالى فى جلسة افتتاح الدورة البرلمانية أن السنوسيين كانوا غير مخلصين للحكومة الإيطالية وأعلن الاجراءات التى راعى اتخاذها وأولها احتلال أجدابية مقر الأمارة السنوسية ، وقد تم ذلك فى ٢١ أبريل سنة ١٩٢٣ ، وفى ٢٤ أبريل أعلن الوالى : — أن كل الإتفاقات التى أبرمتها ايطاليا مع السنوسية قد أصبحت لاغية ولا أثر لها » . وأعلن فى أول مايو « أن السنوسية قد أصبحت مجرد طريقة تشبه غيرها من الطرق الإسلامية وأن نشاطها يجب أن يظل نشاطاً دينياً محدوداً فحسب » كما أبلغ وزير ايطاليا فى مصر السيد إدريس مثل ذلك أيضاً [٢] .

* * *

---

(١) أمين سعيد — ج ٣ — ص ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٢) Sanusi of Cyrenaica 156

وحين نصل إلى هذه المرحلة من كفاح ليبيا ينبغى أن نذكر أن طبيعة هذا الكفاح كانت تتأثر بسير الأمور فى ايطاليا وكان مقدم الفاشستية فى أكتوبر سنة ١٩٢٢ عاملا حاسماً فى سياسة ايطاليا الخارجيـــة . لقد كانت الأغراض الإستعمارية التوسعية تجد مقاومة شعبية من الأحرار الذين كانوا لايزالون يذكرون معنى كلمة الغزو . وكان الرجال والنساء يرتمون على القضبان الحديدية يحاولون أن يمنعوا رحيل الحملات العسكرية ، وكان الاشتراكيون الايطاليون ينظمون الاجتماعات والاضرابات ضد الحرب ، وينادون بأن تكاليف التوسع ينبغى أن تنفق لرفع المستوى الإقتصادى للجنوب . حدث ذلك كله منذ اتجهت ايطاليا إلى الإستعمار ، وجاءت الحرب العالمية الأولى ، فأصيبت ايطاليا بضربات قاصمة فحل الخراب بالممتلكات وانخفضت قيمة النقد وعاد المحاربون ليجدوا البطالة والشقاء ، ولم تخرج ايطاليـا من مؤتمر الصلح بفائدة ما ، فاجتمع ذلك كله وأشاع فى البلاد حالة من القلق ولم تستطع الحكومات الرجعية التى تولت الحكم أن تنقذ الموقف ، وفى هـذه الفترة الحرجة ظهر موسولينى واحتضنه كبار رجال الصناعة فى سهل لمبارديا وكبار الملاك فى أميليا وتوسكانيا ، وبذلوا له المال لحماية مصالحهم ضد السخط الشعبى المتزايد ، ومطالبة العمال والفلاحين بزيادة الأجور وتوزيع الأراضى وركزت الرجعية دعايتها على مقاومة البلشفية ، وكانت هـذه الدعاية هى التى قربت موسولينى والفاشية من الدوائر الإستعمارية الغربية فى بريطانيا وغيرها[١] ، ويعنينا هنا أن نقول أن دعاية الفاشية الداخلية القائمة على اثارة الحماس الوطنى فيما يخدم سادتها الرأسماليين جعلت الفاشية تطنطن بواجب ايطاليـا فى المستعمرات فكانت حركاتها العسكرية العدوانية التى نعرض لها فى هذا الفصل وسياستها الإستعمارية الإفنائية التى نعرضها فى الفصل التالى .

* * *

(١) Sforza, Contemporary of taly pp. 130-133,243-249,260-268

انقطعت مفاوضات فندق الشريف فى ١٠ إبريل ١٩٢٢ واستؤنف القتال فى الزاوية فأخذ الأسطول يقذف المدينة وتجمع الطليان فى طرابلس وزوارة للاطباق عليها وحشدوا لذلك أعوانهم من المرتزقة بقيادة يوسف خريبش وعبيدة المحجوبى والتقوا بالمجاهدين جنوبى الحرشا بالرملة واستطاعوا الاستيلاء على زوارة يوم ٢٥ إبريل ثم أخذوا فى تأمين مواصلاتهم البرية بين طرابلس والزاوية فتوجه قسم من الزاوية إلى بئر الغنم حيث لقى المجاهدين برياسة خالد القرقنى ثم انحدر إلى الشمال الشرقى يهاجم المجاهدين الذين يحاصرون العزيزية وايد هذا الجيش بآخر قصد العزيزية رأسا ليهاجمها من الشمال وخرج ثالث من سيدى بلال ليهاجم جنزير وسوانى بنيادم . وبدأت هذه الجيوش جميعاً الهجوم يوم ٢٩ إبريل فلم يقو المجاهدون على الثبات أمامها فتم فى ٣٠ إبريل فك حصار العزيزية بعد معارك شديدة وانسحب المجاهدون جنوبا واحتل الطليان العزيزية وجنزور وصرمان وأخذوا يستعدون لاحتلال غريان مقر الحكومة الوطنية فتقدموا إلى يفرن ثم إلى غريان فاستولوا عليها يوم ١٧ نوفمبر .

وباحتلال غريان تحرجت الأحوال وبدأ عجز هيئة الاصلاح المركزية وزاد تعقد الموقف فشل بيعة السيد إدريس وتخليه عن الميدان بسفره إلى مصر وكان الطرابلسيون يؤملون فى نجدة تقوى عزائم المجاهدين وتشد أزرهم ومن ناحية أخرى اقتنص الطليان الفرصة فشددوا الضغط على الطرابلسيين وحشدوا جيوشهم للقضاء على البقية الباقية من المقاومة وكانت حالة المجاهدين قد ساءت فلم يعد لديهم من المأكل والملبس ما يفى بحاجاتهم وفقدوا كل نوع من أنواع النظام . وقد أرادت هيئة الاصلاح أن تتدارك الأمر فعينت محمد فرحات الزاوى قائداً على منطقة النواحى الأربع ولكن الطليان جمعوا قواتهم فى تاجوراء وغريان والعزيزية وبذلك طوقوا قوات المجاهدين فى النواحى وقد بدأ الهجوم العام يوم ٢٩ يناير ١٩٢٣ فاحتل الطليان الجيلانى

وكور يوم ٥ فبراير وبذلك أطبقوا على المجاهدين من الشمال والجنوب فلم يسعهم إلا الانسحاب إلى أراضى أورفلة عن طريق ترهونة وكان بين المنسحبين فرحات الزاوى وعبد الله فامسكت قائد المجاهدين ومن ترهونة أحمد المريض .

ولم يبق من معاقل طرابلس غير مصراتة وكان على رأس جيشها محمد سعدون السويحلى فقام بتعويق تقدم الطليان عند مسلاتة حتى تخلى البلاد وينقل الحريم والأطفال وفى ٢٠ فبراير ١٩٢٣ بدأ الطليان زحفهم على الساحل نحو زليطن ومصراتة فسقطت زليطن يوم ٢٣ فبراير وحاول سعدون أن يستنفر رؤساء ترهونة للمقاومة وتجمع المسلحون للدفاع ولكن اليأس كان قد دب فى النفوس واقتربت القوات الايطالية من حدود مصراتة فلم يسع حكومتها إلا أن ترحل عنها وسقطت مصراتة يوم ٢٦ فبراير ، وانتقلت حكومتها إلى وادى نفد وارتد سعدون إلى أم العرفج ومضى الطليان فى التقدم فخوجوا من مصراتة إلى تاورغاء فاحتلوها فى أول مايو واشتبكوا مع قوات المجاهدين فى عدة معارك كان من أهمها واقعة المشرك وفيها استشهد محمد سعدون فكان لقتله أثر بين فى ضعف الروح المعنوية بين المجاهدين وقد أسند رياستهم بعده إلى إبراهيم بن رمضان السويحلى .

وفى نفد كانت المحاولة الأخيرة لتنظيم صفوف المقاومة وأرسل السنوسية السيد صفى الدين ليحاول إصلاح ما أفسده عدم تنفيذ معاهدة سرت وشروط البيعة ولكنه جاء بغير مال أو رجال واحتج بأحمد السويحلى ورؤساء حكومة مصراتة وحاولوا أن يوحدوا الصفوف بانضمام عبد النبى بلخير إلى المجاهدين بعد أن اعتزل الحركة الوطنية منذ غزا رمضان أورفلة فلم يشترك فى مؤتمر غريان أو هيئة الاصلاح المركزية وإنما اتخذ موقف الحياد الذى كان له أثر بعيد فى أضعاف الحركة الوطنية وكان هو ضحيته آخر الأمر . وأخذ

المجاهدون ينازلون الطليان فى مصراتة وزليطن ومسلاته وغريان وترهونة والنواحى ولما أقلقت هذه الحركة الطليان خرجوا بقوات كبيرة فى الجو والبر اضطرت المجاهدين إلى الانسحاب إلى الكراريم وقد قل عددهم ونقصت آلاتهم الحربية ولم يلبث الطليان أن هاجموا الكراريم فى أواخر سبتمبر ١٩٢٣ فقضوا على آخر محاولة للمقاومة فى طرابلس وفرغوا لاورفلة فاحتلوها فى ٢٧ ديسمبر دون قتال .

وأخرج الطرابلسيين من بلادهم بعد جهاد دام أربعة عشر عاما فمنهم من لجأ إلى مصر وتونس ومنهم من آثر البقاء لمحاربة الطليان فانحاز إلى فزان ولحق بخليفة الزاوى أو انتقل إلى برقه واشترك فى القتال تحت راية عمر المختار . (١)

أما فى برقة فقد كان السيد إدريس قبل مغادرة برقة إلى مصر قد جعل قيادة المجاهدين للسيد عمر المختار وأقام أخاه السيد الرضا مقامه فى الشئون الدينية . وحين رأى السيد عمر أن الطليان عازمون على العدوان قصد إلى مصر فى غضون سنة ١٩٢٣ للتشاور مع السيد إدريس فى تنظيم مقاومة المجاهدين وإعداد خطط الحرب . وقد كان السيد عمر يدرك حرج موقف المجاهدين فى مقاومة إيطاليا بما لها من معدات وجهاز حربى متقدم . وقد حاوك كثيرون من الليبيين المهاجرين فى مصر أن يثنوه عن عزمه فى مواصلة القتال حيث أنه قتال ميئوس منه ، أقرب إلى الانتحار ، ولكن السيد أبى أن ينزل عند رأيهم ، وفضل أن يتزعم المقاومة إلى آخر رمق ، وهكذا كان .

وكانت إيطاليا قد بدأت العمليات الحربية باحتلال أجدابية فى ٢١ أبريل سنة ١٩٢٣ فانسحب المجاهدون إلى القطوفية وأخذوا يناوشون الطليان فى أجدابية فجرت بينهما وقعتان فى بير بلال والبريقة فى يولية سنة ١٩٢٣ اشترك فيها الطليان بخمسة آلاف مقاتل ومائة سيارة ولكن قوات المجاهدين أوقعت بهم مقتلة عظيمة ورمت بهم إلى البحر .

---

(١) جهاد الأبطال ص٣٣٣ — ٣٦٤

وحين وصل السيد عمر المختار إلى الجبل الأخضر نظم أدوار المجاهدين فجعل السيد حسين الجويني على دور البراعصة والسيد يوسف بورحيل المسماري على دور العبيد والسيد الفضيل أبو عمرو على دور الحاسة وتولى السيد عمر القيادة العامة .

وقد استمرت المناوشات بين الطليان والمجاهدين في الجبل الأخضر طوال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ في عمليات حربية مائعة ومناوشات قائمة على الكر والفر لا تؤدي إلى نتيجة حاسمة . وحاول الطليان التفريق بين صفوف المجاهدين وأخذهم بالتهديد تارة والحيلة تارة أخرى فكانت الطائرات تلقي المنشورات وكانت الوفود تجيء بوعود الطليان ولكن ذلك كله لم يجد فرأت إيطاليا إلا سبيل إلى هزيمة المجاهدين في الجبل الأخضر إلا بقطع الإمداد عنهم من الغرب والشرق وحصرهم في منطقة الجبل الضيقة ، وذلك باحتلال الجغبوب ثم الجفرة وأوجله وجالو وفزان والكفرة .

* * *

ولم يكن إحتلال الجغبوب أمراً هيناً فإن الواحة في ذاتها ليست بذات قيمة فهي أفقر الواحات في ليبيا ؛ وقد كانت مأوى لقطاع الطرق تكاد تكون غير مسكونة حين نزل بها السيد محمد بن علي السنوسي وجعلها قصبة السنوسية ولكن موقع الواحة على مدخل برقه ومصر وسيطرتها على طرق القوافل بين البلدين تجعل لها قيمة حربية كبيرة ، فهي مركز خلفي لتموين المجاهدين في برقه ثم هي تدخل في أراضي مصر ، ولذلك حاولت إيطاليا التفاهم مع بريطانيا حتى تضغط على الحكومة المصرية في التنازل عنها لإيطاليا وقد وقفت إيطاليا إلى ذلك نظراً إلى رغبة بريطانيا في استرضائها ، وقبلت حكومة أحمد زيور باشا الشركسي في سنة ١٩٢٥ التنازل عن الواحة ، وتم ذلك باجتماع لجان مختلطة من مصر وإيطاليا مثل مصر فيها إسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية في وزارة زيور . وكان هذا التنازل في غير مصلحة مصر فهو تسليم أحد مدخلي مصر

من الصحراء الغربيـة إلى دولة أجنبية وهو إلى جانب ذلك طعن لحركة المجاهدين فى ليبيا من الخلف ، كان خضوعا للقوة برغم آراء الخبراء من المصريين والبريطانيين[١] .

وكان فى الجغبوب جماعة كبيرة من السنوسية على رأسهم السيد صفى الدين وكيل السيد أدريس ، وما أن علم السيد صفى الدين باعتزام إيطاليا الهجوم على الجغبوب حتى انسحب منها ولم يبق فيهـا سـوى بعض السـودانيين الفقراء والشيخ حسين الجزيرى شيخ الزاوية ، وقد سلم الشيخ الواحة دون مقاومة .

وكانت القوات الإيطالية التى زحفت على الجغبوب تتألف من ألفى جندى وثمـانى فصائل من السيارات المصفحة وست سيارات مدرعة وإثنتى عشرة طائرة و ٣٥٠ سيارة لنقل أمتعة هذا الجيش ومئونته منها ٣ سيارات لمراسلى الصحف ، كانت الحملة بقيادة الـكولونيل روتشى ورفعت الراية الإيطالية فى الجغبوب لأول مرة فى التاريخ بحضور جماعة من أعيان برقه الموالين لأيطاليا على رأسهم هلال السنوسى والشارف باشا الغربانى .

واتجهت إيطاليا بعد ذلك إلى إحتلال الجهات الغربية من برقه حيث تنزل قبيلة المغاربة ، فبدأت بإرسال الوفود لاستمالة المغاربة والتمهيد لعقد هدنة مؤقتة وفتح الأسواق ومبادلة التجارة ، وكانت نية إيطاليا واضحة من ذلك فلم ينخدع بها الشيخ صالح الأطيوش شيخ المغاربة ولـكنه انتفع بفتح الأسواق ومبادلة التجارة تفريجا لأزمة الانحصار . وفى هذه الأثناء تجهز الطليان لإحتلال العقيلة واستطاعوا أن يستميلوا جانباً من المغـاربة منشقاً على الأطيوش ، فتم لهم إحتلال العقيله فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ، بعد أن اشتبكوا مع المجاهدين فى معارك حامية أهمها معركة أبيار الزوزات فى ١٣ أغسطس وقد استشهد فيها الشيخ حسين الجوينى رئيس دور البراعصة .

---

(١) راجع الاتفاق الايطالى المصرى — وثائق وزارة الخارجيـة المصرية رقم ١٩٢٦/١ .

واتجه الطليان من جهة أخرى إلى إحتلال فزان فخرجت فى أواخر يناير سنة ١٩٣٠ قوتان من غدامس ومن الجبل الأخضر وكانت قيادة الجيش لرودلف غرازيانى ، وقد التقت هذه القوة بالمجاهدين عند جبل القنينه ووقعت معركة استمرت خمسة أيام انهزم فيها الطليان هزيمة منكرة واضطروا إلى التقهقر تاركين وراءهم المؤن والذخائر ، ثم خرجت قوة أخرى من مصراته وترهونة وورفلة إلى فزان مباشرة ، والتقى بها المجاهدون عند الجبال السود ، فهزم الطليان مرة أخرى وفر منهم من فر بالسيارات وأفنى الباقون عن آخرهم .

وحاول الطليان للمرة الثالثة فجمعوا قوات كبيرة خرجت من سرت وأجدابية للأستيلاء على زلة فالتحموا فى معارك حامية مع المغاربة وأولاد سليمان وزويه بقيادة صالح الأطيوش ، وأحمد سيف النصر ، وعمر الحليق ولكن الهزيمة حاقت بالطليان أيضاً ، فخرجوا للمرة الرابعة من الجفرة فى ٣ فبراير سنة ١٩٢٨ بجيش كبير وزحفوا على زله فاضطر عبد الجليل سيف النصر إلى إخلائها واحتلها الطليان فى ٢٢ فبراير ، ثم تقدموا إلى آبار تقرفت فاحتلوها فى ٢٥ فبراير .

وخرجت قوات أخرى من الحسيات فى ١٨ فبراير بقيادة الجنرال متزنى غرضها إحتلال واحات جالو وأوجله فوصلت إلى معطن السبيل قرب أوجله فى ٢٣ فبراير وفى اليوم التالى احتل الطليان أوجله ثم جالو فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨ .

وهكذا استطاعت ايطاليا أن تنفذ خطتها فى حصر المجاهدين فى الجبل الأخضر من الغرب بعد أن حصرتهم من الشرق حين احتلت الجغبوب . وقد استطاعت أن تخدع السيد الرضا وكيل السيد إدريس فى برقة فأوهمته بحديث المفاوضة واجتذبته إلى بنغازى حيث أسر فى ٧ يناير سنة ١٩٢٨ وأرسل إلى جزيرة صقلية . وأسر الرضا تكتنفه ظروف غامضة فقد توسط لديه الشارف الغريانى المعروف بميوله الطليانية ، وانتقل السيد من جالو إلى بنغازى مع مستشاره عبد العزيز العيساوى فى غير حرس تقريباً . ولم يصل إلينا مايدل

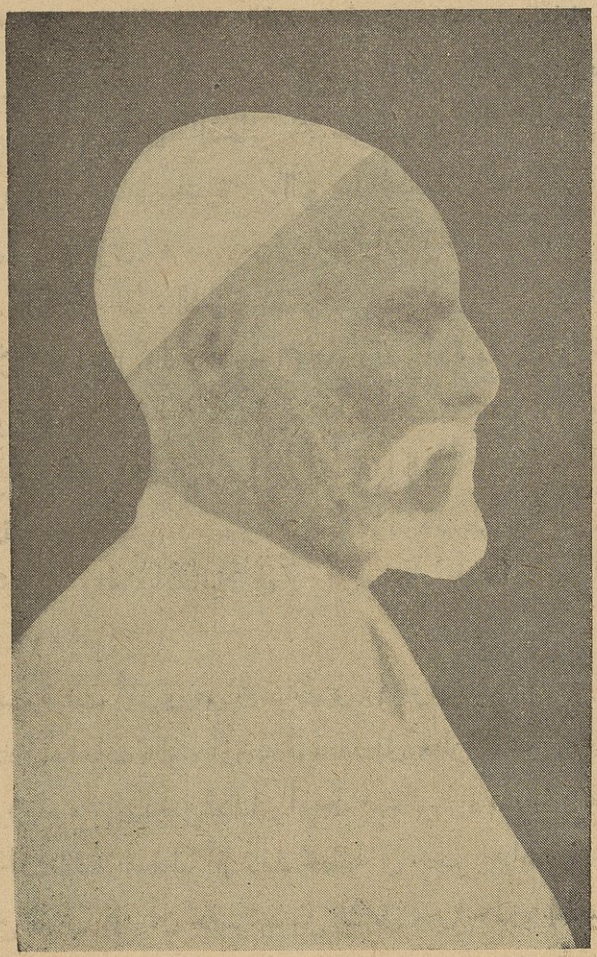

(شكل ٩)
البطل الشهيد عمر المختار

على أن المباحثة مع إيطاليا كانت نتيجة خطة موضوعة اشترك فيها السيد عمر المختار القائم على الجهاد .

على أن انتصارات الطليان هذه لم تنجح فى اخماد حركة المقاومة فقد ظل السيد عمر المختار يشن الغارات على درنه وما حولها ، وأرغم الطليان على الخروج بجيوشهم فى ٢٢ أبريل من درنه وشحات والمرج وبنغازى وسرت ومراوه ، واشتبك معهم فى معركة استمرت يومين انهزم فيها الطليان وتركوا وراءهم المؤن والذخائر . وفى شهر يونيه استطاعت قافلة من البراعصه تحمل الأمداد إلى الجبل الأخضر أن تخرج من السلوم فى حراسة المجاهدين وأبيدت القوة الإيطالية التى تعرضت لها ، وفى سبتمبر غزت جموع الزوية الجخرة ومرسى بريقة وجالو وأوجله وأنزلت بالطليان خسائر جسيمة .

* * *

وفى هذه الآونة أدركت الحكومة الإيطالية الفاشية أن الحال فى برقة يحتاج إلى تدابير جديدة ، فأمر موسولينى باستقالة وزير المستعمرات فدرزونى ، وحاكم طرابلس ديبونو وحاكم برقة فيروزى ، فاستقالوا وأعلن توحيد الإدارة فى طرابلس وبرقة ، وعين الجنرال بادوليو حاكما على ليبيا . وكان بادوليو من القواد الطليان الذين اشتهروا فى الحرب العالمية الأولى بالثبات والأقدام ، فرأى فيه موسولينى منقذاً للسياسة الإيطالية التى حل بها الفشل والتذبذب طوال ثمانى عشرة سنة فى ليبيا .

كان تعيين بادوليو فى شهر يناير سنة ١٩٢٩ ، ويعتبر تعيينه بداية المرحلة الحاسمة بين الطليان والمجاهدين فى برقة والجبل الأخضر .

وضع بادوليو خطة جديدة تقضى بأن تخفض إيطاليا من قواتها العسكرية الكبيرة فى ليبيا وتكتفى بقوات صغيرة تشن حرب العصابات ، وتحول الأموال إلى تمهيد الطرق فى الجبل الأخضر ، وتقوية مراكز الحراسة والاحتفاظ بالمواقع المحتلة دون التوسع فى ضم مواقع جديدة . وقد اختط

بادوليو هذه الخطة حين رأى أن خطة الوالى السابق فيروزى فى الاشتباك بالمجاهدين لم تقض على حركة المقاومة بل ظلت على شدتها ، فأراد أن يتيح لنفسه فرصة الاستعداد ليضرب ضربته القاضية ويشتبك مع المجاهدين فى معارك حاسمة .

لذلك بدأ بادوليو بإصدار منشور إلى أهالى طرابلس وبرقة فى فبراير سنة ١٩٢٩ يعلن فيه العفو عن بعض المحكومين السياسيين ويعرض فيه على المجاهدين الاستسلام والخضوع ويهدد الذين يستمرون فى المقاومة بالعقاب الصارم وشديد النكال . وقد أسقطت الطيارات منشور بادوليو فى أنحاء ليبيا وكان رد الفعل المباشر له أن أخذت قوات المجاهدين تتجمع فى طرابلس لمعاضدة السيد عمر المختار فنزلت قوات المجاهدين فى منتصف فبراير سنة ١٩٢٩ من الهروج الأسود للانقضاض على النوفيلية وأجدابية واجتمعت فى الجيفة ثم انقسمت ثلاث فرق التحمت إحداها مع الطليان عند قارة سويد فى ٥ مارس والثانية عند النوفيلية فى ١٤ مارس واتجهت الثالثة بقيادة عبد القادر الأطيوش إلى منطقة العقيلة ، واشتبكت مع الطليان فى ٢٣ مارس ، ثم استقر المجاهدون فى جبل سلطان ، وكشفت الطائرات الإيطالية مركز تجمع المجاهدين فالتحم جيش إيطالى مع الجزء الأكبر من قوات المجاهدين جنوب بير بالريش فى ٦ أبريل وقد اضطرت قوات المجاهدين إلى التقهقر إلى وادى الفارع أمام القوات الإيطالية الكبيرة .

وفى مايو سنة ١٩٢٩ أعد الطليان جيشين خرج أحدهما بقيادة الشارف الغريانى من ناحية سرت والثانى بقيادة خليفة الزاوى من ناحية غريان وتقدم الجيشان صوب فزان فاشتبكا مع المجـــاهدين فى معارك عدة فى المنطقة الصحراوية بين ورفله وفزان ومن سرت إلى غدامس ، واستطاع الطليان احتلال هذه المناطق فى جنوب طرابلس بعد ثمانية أشهر من المقاومة برز فيها أحمد سيف النصر وانتهى الأمر بغلبة الأسلحة الحديثة والمعدات الفتاكة ،

وتم احتلال فزان ودخل الجيش الإيطالى مرزق فى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٠ وفى ٣٥ فبراير احتل غات .

* * *

على هذا النحو استطاع بادوليو أن يقضى على المقاومة فى طرابلس نهائيا وإن يركز جهوده على الجبل الأخضر ، ويبدأ فى تنفيذ خطته الاستراتيجية فيه ، ويمهد لذلك باستمالة المجاهدين إلى المفاوضة .

كلف بادوليو فى أوائل مارس سنة ١٩٢٩ متصرف المرج بالاتصال بالسيد عمر المختار للمفاوضة فى شروط الصلح ، ولكن متصرف المرج لم ينتظر جواب السيد بل أنقض على المجاهدين وهم يؤدون الصلاة ولكنهم ردوا القوات الإيطالية على أعقابها ، ثم كلف بادوليو فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٩ متصرف درنة بالاتصالى بالسيد عمر فاجتمع به فى بيت العبيدى باشا ، ولكن هذه الاتصالات لم تؤد إلى شىء كما فشلت الاجتماعات التالية فى وادى القصور فى ٢٠ أبريل ، ثم قندوله قرب سيدى رويقع فى ١٨ مايو ، ثم قرب القبقب فى ٢٦ مايو ، ثم فى قلعة شليونى فى ١٣ يونية .

وقد تولى المفاوضة فى المرحلة الأخيرة الجنرال سيشليانى نائب الوالى وتقدم السيد عمر المختار بالشروط التالية : -

١ — إعلان عفو عام

٢ — الإتصال بالسيد إدريس السنوسى فى مصر ومفاوضته والسماح له بالعودة .

٣ — أن يحضر مندوب من جانب الحكومة المصرية وآخر من جانب الحكومة التونسية ليشهدا الشروط التى يتفق عليها وليكون ناقض العهد مسئولا أمام العالم بشهادتهما .

٤ — لا تتدخل الحكومة الإيطالية فى أمور ديننا ويكون لنا الحق فى تأديب كل من يخرج على الدين أو يهزأ بتعاليمه أو يتهاون بالقيام بواجباته وأن يسمح لنا بجباية الزكاة الشرعية من العرب .

٥ — أن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفا بها فى دواوين الحكومة الإيطالية .

٦ — أن يكون الموظفون من العرب والإيطاليين .

٧ — أن تفتح مدارس خاصة يدرس فيها التوحيد والتفسير والحديث والفقه وسائر العلوم ،

٨ — أن تفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والإيطالية على السواء وألا يحرم الوطنيون من التعليم العالى ، وإلغاء القانون الذى وضعته فى السنة نفسها والذى ينص على عدم المساواة فى الحقوق بين الوطنى والإيطالى إلا إذا تجنس الأول بالجنسية الإيطالية ،

٩ — أن تكون إدارة الأوقاف تحت هيئة مسلمة بإشراف رئيس مسلم ويكون لها نظار مسلمون .

١٠ — يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ويكون لهذا الرئيس مجلس من كبار الأمة له حق الإشراف على مصالحها كما يكون للقاضى القول الفصل بين الوطنيين .

١١ — أن نكون أحراراً فى حمل السلاح على اختلاف أنواعه وفى جلبه من الخارج إذا أمتنعت الحكومة الإيطالية عن بيعه لنا . (١)

واضح من هذه الشروط أنها لا تخرج عما نص عليه القانون الأساسى واتفاقات عكرمة والرجمة من السيد إدريس ، وأهم ما ترتكز عليه إقرار مركز السنوسية ، وإقامة الشورى وحق الشعب فى حمل السلاح ،

---

(١) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة حـ ٣ ص ٢٨٧ـ٢٨٨

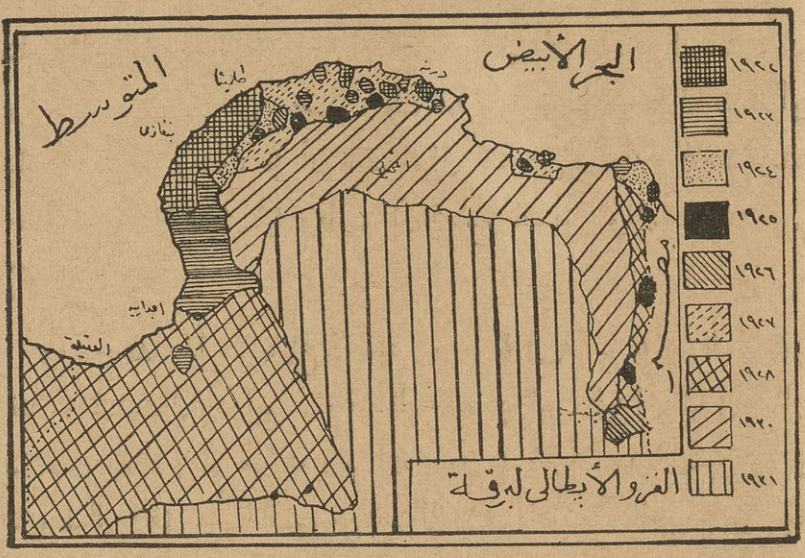
البحر الأبيض
المتوسط
طلميثا
درنة
بنغازي
اجدابية
العقيلة
١٩٢٢
١٩٢٣
١٩٢٤
١٩٢٥
١٩٢٦
١٩٢٧
١٩٢٨
١٩٣٠
١٩٣١
الغزو الأيطالي لبرقة

(شكل ١٠)

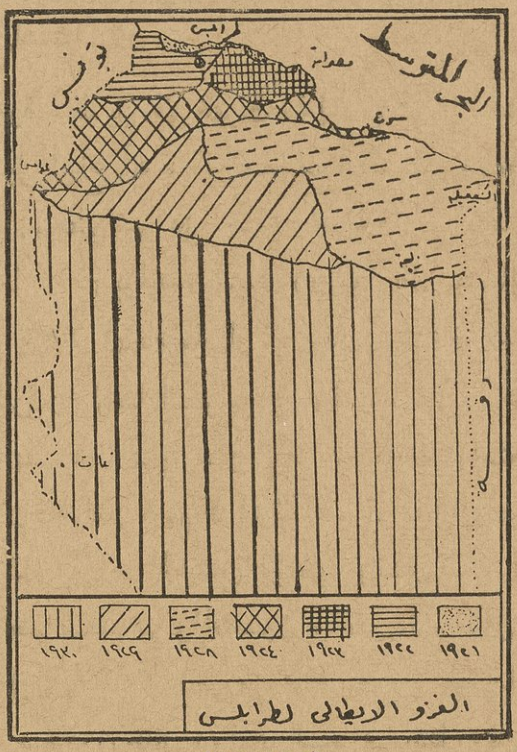
البحر المتوسط
بونس
طرابلس
مصراتة
سوق
غات
١٩٢١
١٩٢٢
١٩٢٣
١٩٢٤
١٩٢٨
١٩٢٩
١٩٣٠
الغزو الايطالي لطرابلس

(شكل ١١)

يضاف إلى ذلك محاولة الخروج بالمشكلة من نطاقها المحلى والاتصال بالشعوب العربية الأخرى فى تونس ومصر ، وتلك كلها أشياء ما كانت إيطاليا تقرها أو تقبلها أساساً للمفاوضة ، على أن نائب الوالى قد مضى فى سياسة المخاتلة فوعد بإجابة شروط المختار كلها وطلب أن يجتمع السيد بالوالى الإيطالى ليتم الإتفاق النهائى .

وقد حدث هذا الاجتماع فى سيدى رحومة فى ١٩ يونية بين السيد عمر المختار والمارشال بادوليو ، وقد أظهر فيه بادوليو رغبه إيطاليا فى إقرار السلام فى البلاد وسلم فيه بما يريد المجاهدون ؛ وقرأ السيد الفضيل بوعمر الشروط التى اتفق عليها السيد مع نائب الوالى فى الاجتماع السابق فوافق عليها بادوليو مبدئياً ، وقبل دعوة مندوبين عن مصر وتونس على أن يعقد اجتماع يحدد موعده فيما بعد .

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت نية إيطاليا فلم يعلن بادوليو الشروط التى اتفق عليها بل أشاع أنه قد تم الصلح مع السيد عمر وسحب الجنود من خطوط القتال . ومضى شهر على اجتماع رحومة فأرسل السيد إلى نائب الوالى يذكره واجتمعا فى ٢٠ يوليه فى سيدى رويفع وقال سيشلياني فى الاجتماع أن الاتفاق لا يتم إلا فى عاصمة الولاية بنغازى فلم يمانع السيد عمر وأناب عنه السيد حسن بن الرضا السنوسى فى توقع الاتفاق ، على أن الطليان استطاعوا أن يستميلوا السيد حسن الرضا إلى جانبهم واستعانوا بجماعة من أعيان البرقاويين الضالعين معهم فى التأثير عليه ، فقبل السيد حسن التوقيع على شروط تخذل مطالب المجاهدين الوطنية وتعتبر تسليما للطليان وألقاء للسلاح ، فرفضها السيد عمر والمجاهدون وأعلن نائب الوالى بذلك وطلب إليه التوقيع على الشروط التى اتفق هو عليها ، فلم يرد عليه النائب ، وكتب إليه السيد غير مرة دون طائل ، ولبث السيد عمر ينتظر وفاء بادوليو بعهده

قرابة ٦ أشهر كتب إليه فى نهايتها يطلب تنفيذ الاتفاق وتحديد موعد للمقابلة ويقول : « وأنى أعد رفض مقابلتى إعلانا منك بقطع المفاوضة ونقضاً للهدنة وعودة الأمور إلى ما كانت عليه » . فرد عليه الشارف الغريانى مستشار الحكومة فى بنغازى بأن الحكومة مستعدة فى كل وقت لمقابلة الحوادث فلا حاجة لإعلانها بعودة الأمور إلى ما كانت عليه . .

وحين وجد المختار أن الطليان غير جادين فى أمر المفاوضة وأنهم يعدون عدتهم للعدوان من جديد أصدر فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٢٩ نداء إلى أهالى طرابلس وبرقه هذا نصه : —

فى ابتداء سنة ١٣٤٨ هـ وأواسط سنة ١٩٢٩ م خاطبتنى الحكومة الإيطالية على لسان ممثلها سعادة الوالى المارشال بادوليو بتوقيف رحى الحرب ، وتقديم مطالبنا وتعيين محل لمقابلة دولته فحصل ذلك وتقابلنا بسيدى رحومة واتفقنا على عمل هدنة مدتها شهران ليخابر كل منا مرجعه وفى أثناء المقابلة طلب منى تقديم مطالبنا وقال لى أنه مستعد لأرجاع أميرنا السيد إدريس السنوسى الى برقه إذا كنا نرغب ذلك . ومن جملة شروط الهدنة التى قدمناها ما يأتى :

أولا : العفو العام عن كل المجرمين السياسيين سواء كانوا داخل القطر أو خارجه وإطلاق سراح المسجونين .

ثانياً : سحب كل النقط المستجدة أثناء الحرب بما فى ذلك نقطتا الجغبوب وجالو .

ثالثاً : لى الحق فى أخذ الزكاة الشرعية من العربان القاطنين حول النقط الإيطالية بالسواحل .

رابعاً : مدة الهدنة شهران وقابلة للتجديد .

فقبل سعادة المارشال هذه المطالب ووعد بتنفيذها .

وقبل انتهاء الشهرين أخبرت سعادة الوالى بواسطة وكيله الكولونيل سيشلياني أن كل الزعماء الوطنيين اتفقوا على انتخاب الأمير السيد محمد إدريس السنوسى وهو ينتخب من الرجال الأكفاء من أبناء برقه وطرابلس لتولى المفاوضة مع الحكومة الإيطالية على مطالب برقه وطرابلس ، وطلبت من الحكومة أن تخابر سيادة الأمير السيد محمد إدريس السنوسى حالا لاتخاذ الطرق المؤدية لإنهاء الحالة الحاضرة بأحسن منها فوعد سعادته خيراً .

وقبل انتهاء مدة الشهرين طلبوا تجديد الهدنة بدعوى أن الوالى سافر لروما لعرض الأمر على الحكومة والى الآن لم يحضر .

وهكذا امتدت الهدنة بالعشرة أيام وبالعشرين حتى ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ فعرفت أن غرض الحكومة هو كسب الوقت فقط . لذلك أبلغت الحكومة بواسطة وكيل الوالى أن الهدنة آخرها يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨ (٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٩) وأنها غير قابلة للتجديد .

والآن والهدنة على وشك الانتهاء ، ولم أتلق رداً من الحكومة الإيطالية عن عزمها بمخابرة أميرنا السيد محمد أدريس السنوسى رأيت أن أخوض غمار الحرب ، وأن لاأركن الى أى محادثة أو واسطة ولا من العائلة السنوسية الا من اتفقت عليه الأمة وأودعته ثقتها .

ولكن لاأدرى لم تتجنب الحكومة الايطالية مخابرة الزعيم المذكور مع علمها تماما بأن الحل والعقد بيده ، فلو كانت حقيقة تركن الى الصلح لما ترددت لحظة واحدة فى مخابرته .

فليعلم أذن كل مجاهد أن غرض الحكومة الايطالية أنما بث الفتن والدسائس بيننا لتفريق شملنا ، وتفكيك أواصر اتحادنا لتتم لها الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق الى شىء من ذلك .

وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحرية ، وأن مقاصد إيطاليا وأغراضها ترمى إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسى وتقدمه ، ومع ذلك لايمكننا أن نقول أن جميع الشعب الإيطالى يحبذ فكرة الحرب ، وخصوصاً فى الوقت الذى تتساهل فيه الأمم الأخرى مع الشعوب الشرقية ، بل فيه رجال سياسيون ميالون الى السلم يقدرون مصلحة بلادهم ويعرفون ما تجره الحرب من ويلات ودمار . كما أن فيه أفراداً يريدون القضاء على الشعب الطرابلسى بأى وجه كان .

وهيهات أن يصل الأخيرون الى غرضهم هذا مادامت لنا قلوب تعرف أن فى سبيل الحرية يجب بذل كل مرتخص وغال . وها نحن الآن ندافع عن كياننا ونبذل دماءنا الزكية فداء للوطن وفى سبيل الوصول إلى غايتنا المنشودة .

لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هى عليه حتى يثوب أولئك الأفراد النزاعون الى القضاء علينا الى رشدهم ، ويسلكوا السبيل القويم ، ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع[1].

(عمر المختار — قائد القوات الوطنية)

فى هذه الآونة كانت إيطاليا تعد العدة للقضاء على آخر معاقل المقاومة فى الجبل الأخضر ، وفى ١١ يناير سنة ١٩٣٠ عين الجنرال غرازيانى نائباً للوالى فى برقة وأطلقت يده لإخماد المقاومة . كانت خطة غرازيانى أن يبدأ بحصر المجاهدين فى الجبل الأخضر ومنع كل اتصال بينهم وبين السكان من

---

(١) أمين سعيد : الدولة العربية المتحدة جـ ٣ ص ٢٩١ — ٢٩٣

غير المحاربين ثم مهاجمة الواحات الداخلية والاستيلاء على واحة الكفرة وأخيراً الإطباق على قوات المجاهدين بعد أن يقطع عليهم كافة السبل .

بدأ غرازياني قطع الصلة بين المجاهدين وباقي السكان بأن « جمع جميع مشايخ السنوسية ومتولي أوقافها وأئمة المساجد والمؤذنين والفقهاء والسدنه وسجنهم جميعاً في مركز بنينة ، وهو بناء قديم لا سقف له ذاقوا فيه مر العذاب جوعا وعطشاً وعذاباً ثم نقلوا إلى سجون إيطاليا وبعد أن مكثوا فيها مدة أعيدوا الى بنينة حيث أفنوا بالجوع والعطش وغيره . » (١)

وكانت الخطوة التالية لغرازياني أن حصر كافة سكان الجبل الأخضر في بقعة ضيقة من الأرض على الساحل بين المكانين طلميثة وبنينة بعد أن زج زعماءهم في السجون وألحق بهم من الأهانات ما لا يوصف وقتل من المشاهير رجلا يدعى الشيخ سيد الشرقاوى مع خمسة عشر شيخاً شر قتلة وذلك بأن أمر بإركابهم في الطائرات وإلقائهم من علو ٤٠٠ متر على مشهد من أهلهم . . . . . ثم عزم على ترحيل سكان برقه الغربية فصادر نقودهم ومواشيهم وساقهم محوطين بفرسان وسيارات مصفحة ولم يسمح لهم بالانحراف عن الطريق ولو للأستقاء ومن يحاول ذلك أو يحتج للأستراحة يعاقب بالقتل فوراً لا فرق بين رجل وإمرأة وطفل إلى أن حشرهم بهذه الحال المحرجة في صعيد ضيق على ساحل المكان المعروف بالمقطاع ، أما سكان برقه الشرقيه فلم يكن نصيبهم من الضرر بأقل من نصيب إخوانهم حيث نفوا مع نسائهم وأطفالهم إلى العقيله . . . ويبلغ عدد هذه القبائل ثلاثين قبيلة وعدتها ثمانون ألف نسمة حشرت بأجمعها في بقاع بنينة وطلميثة والعقيله القاحلة ومنعت من التجول خارج الأسلاك الشائكة التي ضربت حولهم بعد أن سلبت الحكومة الفاشستية حيواناتهم ومواشيهم . » (٢)

---

(١) الفظائع السود الحمر ص ٦٨ (٢) نفس المصدر ص ٦٧

وفى أبريل سنة ١٩٣٠ إنشاء غرازيانى ماسمى المحكمة الطائرة وهى وسيلة من أبشع الوسائل التى ابتدعها جزار ليبيا ليمنع الإتصال بين الأهالى والمجاهدين ، وهى محكمة عرفية سيارة تنتقل فى إرجاء البلاد على متن الطائرات وتحكم على الأهالى بالموت ومصادرة الأملاك لأقل شبهة وتمنحها لمرتزقة الفاشيست . وكانت هذه المحكمة تعقد جلساتها فى الهواء الطلق فى الميادين العامة فى المدن وعند النواجع وكانت اجراءات المحاكمة والتنفيذ تتم بسرعة عظيمة فلا يسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم ولا تفحص المحكمة شهادة الشهود بل يكفى مجرد الاتهام لاستصدار الحكم بالإعدام على المتهمين .

* * *

وكانت خاتمة هذه التدابير قطع الطريق على المجاهدين من الجنوب باحتلال الكفرة آخر معاقل السنوسية وكانت هذه الواحة قد أصبحت بعد سقوط فزّان نقطة تجمع لقوات المجاهدين المنسحبين إليها فأسس فيها عبد الجليل سيف النصر وصالح الأطيوش دوراً جديداً فى تازربو فلما ضربت تازربو بالقنابل فى آخر يولية سنة ١٩٣٠ انسحب الأطيوش إلى البوادى شمال الجوف واستقر عبدالجليل فى التاج وفى ٢٦ أغسطس ضربت التاج والجوف بالقنابل وأخذ بادليو وغرازيانى يعدّان الحملة على الكفرة .

وتعتبر هـــذه الحملة من أكبر الحملات التى عرفت فى تاريخ الاحتلال الإيطالى فى برقة استخدم فيها من الإبل خمسة آلاف جمل لنقل المؤن والذخيرة وثلاثة آلاف جمل أخرى لنقل الجنود ، واشتركت فيها عشرون طائرة ورتل من السيارات المصفحة حيث أمكن تسيير السيارات . وقد بدأت الحملة باستكشافات واسعة قامت بها الطائرات ورتل السيارات المصفحة وكانت الحملة من ثلاثة طوابير : الأول - وهو الرئيسى - من جمال ومصفحات وسيارات يتحرك من أجدابية إلى جالو (٢٤٠ ك . م) ثم إلى بئر زيغن

(٤٠٠ ك . م) وأخيراً إلى الكفرة (١٨٠ ك . م) والطابور الثانى من الجمال فقط من مجندى طرابلس يزحف من الواو الكبير إلى تازربو ومنها إلى الكفرة والثالث من المصفحات يتحرك جنوباً بين هذين الطابورين من الجنوب الشرقى من زله بطريق بوحشيشة ليلحق بطابور الواو عند تازربو . ثم تهجم القوات الشمالية والشرقية فى وقت واحد على الكفرة .

وقد تحركت القوات الرئيسية من أجدابية فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وبدأ الزحف من جالو إلى بيرزيغن فى أواخر ديسمبر واحتل الطليان تازربو فى ١١ يناير سنة ١٩٣١ وتمّ احتلال الكفرة فى ١٩ يناير سنة ١٩٣١ . وقد التقت قوات الطليان بالمجاهدين فى معركة قصد بها تغطية انسحاب السكان ، واشترك فيها عبد الجليل سيف النصر وحامد بن شفيلة وحمد بن الشريف وعبد الحميد لوبكارى . وقد فر أهل الكفرة زرافات ووحدانا على غير هدى لا يلوون على شىء وذكر البلاغ الرسمى الإيطالى ، أن الجنود والطائرات تعقبت الفارين وطاردتهم مسافة ٢٠٠ ك . م وقد تركوا فى الطريق نساء وأطفالا (١) .

وذكرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٢٧ شوال سنة ١٣٤٩ هـ حال الفلول التى استطاعت أن تصل إلى الأراضى المصرية قالت : « فى يوم الثلاثاء ٢٤ فبراير سنة ١٩٣١ قدم أحد عرب الكفرة فى ناحية بلاط بالواحات الداخلة وأبلغ أن دولة الطليان أرسلت جيشاً لاحتلال بلادهم على غرة منهم فى أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٩ بدون استعداد منهم ، وحدثت مقاومة بين الفريقين إلى أن نفدت ذخيرة العرب وعلى ذلك أخذوا يهاجرون من البلاد إلى نواح شتى ، فبعضهم قصد إلى بلاد السودان وبعضهم قصد إلى واحة سيوة والآخرون إلى الفرافرة والواحات الداخلة ومع كل فريق من المهاجرين الذرارى والأطفال والنساء مشاه وركبانا . وقد تبعتهم الطائرات الإيطالية على بعد ثلاثة أيام من الكفرة فقتلت معظم الجمال التى كانت معهم » .

* * *

(١) Bagnold, Libyan Sands pp. 197—202

ويعد استيلاء الطليان على الكفرة نقطة حاسمة فى إخماد المقاومة فى الجبل الأخضر فقد تم بسقوط الكفرة حصر قوات المجاهدين ، وخاصة بعد أن مدت الأسلاك الشائكة من ساحل البحر عند بردى سليمان إلى جنوب الجغبوب وكان وعرض الحاجز عشرة أمتار وارتفاعه ثلاثة أمتار . وأقيمت مراكز مسلحة كبيرة عند كابوتزو والمسيعيد وما دلينا وذلك عدا نقط مسلحة صغيرة منتشرة على طول هذه الأسلاك الشائكة .

وقد استمرت مناوشة المجاهدين للطليان ووضع لها السيد عمر المختار أساسين : القرب من نواجع الأهلين حتى يسهل أخذ العشور والحصول على الذخائر والمؤن والأسلحة . والثانى تجنب الاصطدام بقوات إيطالية كبيرة تفوق المجاهدين فى العدة والعتاد ، والاقتصار على مفاجأة القوات التى يرسلها للكشف والاستطلاع فى أماكن متفرقة أو تلك التى تقوم بحراسة العمال المكلفين بانشاء الطرق تمهيداً لقيام الطليان بعمليات عسكرية كبيرة . وقد نجحت خطة المختار نجاحاً كبيراً واشتبك مع الطليان فى معارك كثيرة ، وقد ذكر الجنرال غرازيانى فى بيان له أن المعارك التى وقعت بين جنوده وبين السيد عمر ٢٦٣ معركة فى مدة لا تتجاوز عشرين شهراً هى مدة توليه قيادة الجيش الإيطالى فى برقة قبل مقتل المختار . ومن أهم هذه المعارك معركة بوكريمة فى ٨ يولية سنة ١٩٣٠ وكرسه فى ٢٠ سبتمبر والثانية فى أكتوبر ، وقد كتب عمر المختار يصف وقعة كرسه قال :

« فى يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ هجم العدو على دور العبيدات والحاسة عند نقطة القبنة وكان رئيسه الفضيل أبو عمر ، ولما حان وقت صلاة الظهر قسم السيد الفضيل الجيش إلى قسمين فصلى بالطائفة الأولى صلاة الخوف فلما أتمت الطائفة الأولى صلاتها ذهبت تجاه الدور وأتت الثانية فأتم بها الصلاة وركب جواده وتقدم يحرض الجيش على القتال وهو يكبر ويهلل ،

وهكذا كلما حضر الصلاة يعمل هذا العمل إلى أن استشهد رحمه الله وقد اشتشهد معه أربعون شهيداً منهم السيد أحمد الغمارى والسيد محمد الصادق الغزالى والشريف القاسم وأخوه ، وقد وجدنا فى ميدان القتال ما ينيف عن ٥٠٠ قتيل من العدو منهم ماجور وثلاثة ضباط[١] » .

وقد استمرت المصادمات بين قوات المجاهدين وقوة من خيالة الطليان بالقرب من سلنطة وقدر لتلك المعركة الصغيرة أن تكون خاتمة مرحلة من جهاد الشعب الليبى فى سبيل حريته ونهاية حامل لواء الجهاد : السيد عمر المختار .

قال صاحب كتاب عمر المختار يصف كيف وقع السيد عمر فى الأسر :

« من عادات السيد عمر أن يقوم باستكشاف مواقع العدو وتبييت حركاته ومعرفة ما عساه أن يقوم به من هجوم عليهم على حين غفلة وقد تكرر هذا منه فى نفر من أصحابه لا يتجاوزون الأربعين فارساً على الأكثر .

وبينما هو يسير مساء يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ لهذا الغرض فى سرية من أصحابه نحو الخمسين فارسا بناحية سلنطة إذ فاجئته جيوش الطليان وكان روداشى حاكم المرج قد أخذ خبراً بخروج السيد عمر فى نفر قليل فسرح له طابورين من عساكر الأريتريا والكتيبة السابعة من الخيالة الليبيين للقبض عليه .

وما إن جاء مساء هذا اليوم حتى التقى السيد عمر بطلائع العدو فحاول هو وأصحابه الخروج من الوادى الذى هم فيه مخافة الالتفاف بهم فاتجهوا إلى ناحية أتى منها قسم آخر من خيل العدو فوقعوا بين نارين ، فاشتبك القتال بينهم وبين خيالة العدو رجاء أن يتخذوا لهم طريقا نحو النجاة فأصلتهم

---

(١) عمر المختار ص ٤٢

الجنود من ورائهم نارا حامية وقتل كثير من أصحاب السيد عمر وقتل حصان السيد عمر فوقع به على الأرض وجرح هو وبينما هو يحاول النهوض إذ رآه أحد الجنود فتقدم إليه وقبض عليه وبعد أن تحققو من شخصيته طيروا الخبر إلى روديا شي حالكم المرح فحضر فى طيارة، وقد عرف السيد عمر عند رؤيته لأنه اجتمع به عدة مرات فى المفاوضات فحمل السيد عمر فى الحال إلى سوسة ومنها ركب البحر فى الطراد إلى أوسينى إلى بنغازى وفى الساعة الخامسة من مساء يوم السبت ٢٩ من الشهر المذكور وصل الطراد إلى بنغازى وأنزل السيد عمر ونقل إلى السجن فى سيارة المساجين وبقى فيه إلى يوم الثلاثاء ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ وهو اليوم المحدود لمحاكمته(١) ،

وعلم غرازيانى — وهو فى أوربا — بأسر السيد عمر فعاد بالطائرة ودعا المحكمة الخاصة أو المحكمة الطيارة إلى الانعقاد فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣١

وقد عقدت المحكمه فى الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة مساء ذلك اليوم فى القاعة الكبرى بمركز أدارة الحزب الفاشستى وهى دار مجلس النواب السابق فى بنغازى ، وكانت هذه المحكمة برياسة الكولونيل مارينونى ووجهت إلى السيد عمر المختار الدعوى لاعتدائه على سلامة الدولة وعلى أمن البلاد ولقطعه الطريق . ووجهت إليه هذه الأسئلة : هل أنت رئيس الثوار ضد إيطاليا ؟ وهل حاربت الدولة ؟ هل شهرت السلاح فى وجه قوات الدولة واشتركت فى القتال اشتراكا فعليا ؟ وهل أمرت بقتل الجنود الذين كانوا يحرسون العمال أثناء إنشاء الطرق؟ هل أمرت بالغزو واشتركت فيه ؟ وهل أمرت بتحصيل الأعشار من الأهالى ؟

وقد أجاب المختار عن هذه الأسئلة كلها بالإيجاب ، ثم سئل عن مقتل

---

(١) عمر المختار ص ١١٧ — ١١٨ .

(شكل ١٢)

مصرع البطل « عمر المختار »

طيارين وقعا فى أسره فنفى علمه بما حدث لهما . وسئل عن عدد المعارك التى خاضها فقال لا أدرى ، وأخيرا هل لديك ماتقول زيادة على ماتقدم ؟ فقال : لا .

وطلبت النيابة الأعدام ، وحاول الكابتن المعين للدفاع أن يشير إلى سن السيد ويطلب الحكم بالسجن مدى الحياة فتدخلت النيابة وقطع الدفاع وبترت المحاكمة واختتمت الجلسة فى الساعة السادسة ثم عادت هيئة المحكمة فى السادسة والربع فحكمت على السيد عمر المختار بالأعدام شنقا ، وفى الساعة التاسعة من صباح اليوم التالى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ نفذ الطليان الحكم فى سلوق على مشهد من عشرين ألف نسمة من أهالى البلاد جمعتهم السلطة الغاشمة جمعا ثم دفن الشهيد سرا وأخفيت معالم القبر حتى لا يعثر عليه أحد .

هكذا ارتكبت إيطاليا فعلتها الشنعاء ، وأقدمت مع المختار على ما لم تقدم عليه بريطانيا مع أحمد عرابى وفرنسا مع عبد القادر الجزائرى أو محمد عبد الكريم .

ولكن عمر المختار عاش بطلا ومات بطلا .

* * *

وما كان لروح المقاومة التى تمثلت فى عمر المختار أن تخمد بمقتله بل اجتمع رؤساء الجند وأعيان المجاهدين وتشاوروا فيمن يخلفه فى الزعامة فاختاروا السيد يوسف بورحيل المسمارى . وقد لبثت قوات المجاهدين أربعة أشهر بعد مقتل السيد عمر تقاوم هجمات الطليان فلم ينقطع القتال يوما حتى تكاثرت قوات الطليان وضاقت السبل بالمجاهدين لانقطاع الأرزاق واشتداد الحصار وتفشى المجاعة ، فتقرر اللجوء إلى مصر ، وسار الشيخ عبد الحميد العيار والشيخ يوسف بورحيل فى نفر من المجاهدين من

ناحية الجنوب وبقى كثير منهم بالجبل الأخضر آيسين من حياتهم منتظرين الموت إما بالجوع وإما برصاص العدو . وقد اعترض الطليان طريق المجاهدين عند الحدود فاستطاع الشيخ العبار فى نحو خمسين رجلا أن يعبروا بعد قص الأسلاك الشائكة ، وحوصر الشيخ يوسف بورحيل مع ثلاثة من أصحابه فى مغارة ودافعوا عن أنفسهم حتى قتلوا جميعاً وجاء فى البلاغ الإيطالى عنهم .

«وقد أظهر يوسف بورحيل ورفقاؤه الثلاثة بسالة مدهشة حتى آخر دقيقة من حياتهم وعند ما سكت البارود من جهة المغارة تقدم نحوها الملازم برينذزى فوجد فيها أربع جثث لم تزل البنادق حامية فى قبضة اليد . وهكذا انتهت حياة الرئيس العظيم البرقاوى أحد تلاميذ مدرسة جغبوب القرانية ومستشار عمر المختار» .

الفصل الرابع

الاستعمار الإيطالى

كان أهم عامل فى تقدم التجارة بين بلاد العالم فى المراحل الأولى(١) توزيع الموارد الطبيعية و نوع الصناعات الحرفية فى كل منها ، وحين نشأت القوميات الأوربية معتمدة على القوة الحربية والبحرية أخذت تنشىء لها مراكز تجارية خارج القارة ، وتعرضت البلاد المتأخرة وخاصة فى أمريكا لأنواع من السلب والنهب وأخذت الدول الأوربية تنظم ذلك النهب بنظام للضرائب والجزية كما حدث قبل ذلك فى كثير من بلدان الشرق ، وظهرت فى أمريكا مستعمرات تعتمد على العبيد المجلوبين من أفريقيا. ولكن التجارة مع المستعمرات كانت ضئيلة نسبيا حتى تطورت الرأسمالية الصناعية، فإن واردات إنجلترا وصادراتها من ١٧٠٠ م إلى ١٧٨٠ مثلا لم تعد ٣٠ مليونا من الجنيهات سنويا .

وبنشأة الرأسمالية الصناعية فى انجلترا أولا ثم فى البلاد الأخرى زادت التجارة الخارجية وتجارة المستعمرات زيادة سريعة ، وتبع ذلك التوسع فى إنشاء مراكز تجارية جديدة فى مناطق المستعمرات وهذه المراكز وماوراءها كانت مجال نشاط الشركات التجارية وأوضح مثال لها شركة الهند الشرقية البريطانية وشركات الملاحة الإيطالية التى اشترت خليج عصب وأنشأت خطا مع طرابلس كما فتح فرع بنك روما . ولم يكن أحد إذ ذاك يدعى جلب الحضارة إلى بلاد متأخرة، بل لم يكن الأمر يعدو جماعات من التجار وأصحاب

---

(١) Cole, Intelligent Man's Guide to Post Wor Warld pp.134-160
Burns, Italy & Abyssinia pp. 74—96

البنوك تهدف إلى التوسع فى التجارة وامتصاص ماتستطيع من سكان المستعمرات . وقد استمر هذا النوع من التوسع الاستعمارى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ولبث فى بعض الجهات إلى النصف الثانى منه. كان الاستعمار إذ ذاك يعتمد على التجارة وكان غزو الأراضى امتدادا لنظام النهب لإنشاء مراكز تجارية جديدة وفتح أسواق جديدة لمصنوعات البلاد الصناعية المستعمرة . كما كان من أهدافه جلب المواد الأولية والطعام لتلك البلاد .

وقد تحول أساس التوسع الاستعمارى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تبعا لتحويل البناء الصناعى فى أكثر البلاد الصناعية تقدما، فإن الرأسمالية الصناعية فى الفترة الأولى كانت تعتمد على المؤسسات الصغيرة التى تملكها العائلات وهى مؤسسات من وحدات إنتاج صغيرة ورأسمالها صغير نسبياً . ولكن أرباح الصناعيين والتجار الذين يبيعون المصنوعات فى الداخل والخارج لم تكن متساوية ، فظهر بين الصناعيين الذين يملكون وسائل الإنتاج والنقل فئتان : صغار الرأسماليين وكبارهم ، وكذلك الحال بين التجار وأصحاب البنوك ، وأخذ الكبار يقضون على الصغار فنجد فى إنجلترا بين ١٨٤٤ و١٨٨٩ أن عدد البنوك الخاصة كان ١٨١ فتركزت فى البنوك الخمسة الكبيرة. وهكذا فى جميع فروع الصناعة والتجارة. وتطورت الرأسمالية بحيث أصبحت أمور البنوك والصناعة وبالتالى التأثير فى السياسة الداخلية والخارجية فى أيدى عدد صغير من الأفراد وظهر الإحتكار وتراكم رأس المال وظهر عامل جديد هو تصدير رأس المال. وهذا يلزم أن يخضع الإقليم المستغل لسيطرة أصحاب رأس المال حتى تضمن سلامة استغلال رؤس الأموال فيه .

وأول مايعمله المستعمرون تحسين المواصلات لنقل المتاجر والمصنوعات، ولكن البلد المتأخر المستعمر من خصائص إنتاجه القبلى أو شبه الأقطاعى

أنه للنفع لا للتجارة ، ولذلك يكون على المستعمرين أن يحطموا هذا الإنتاج ، والطريقة المباشرة لذلك هى الاستيلاء على الأراضى بأمر الحكومة وإخراج أهلها منها ، وذلك بطردهم من الأراضى الخصبة إلى السبخة أو نزع أكثر الأرض منهم . وقد طبقت هذه السياسة بنظام فى المستعمرات البريطانية فى شرق أفريقيا إلا أجزاء من أوغندة ، وطبقها الفاشيست فى ليبيا كما سنرى . على أن إخراج السكان من الأرض لا يخلق التجارة التى يستفيد منها المستعمرون ، فالواجب أن يبدأ الإنتاج الرأسمالى — الانتاج للسوق لا للاستهلاك المحلى . وهنا يلجأ المستعمرون إلى الدعاية المدفوعة لاقناع السكان الزائدين فى بلادهم بالذهاب إلى المستعمرة فيبدءوا العمل على أحسن الأراضى المزروعة من الأفريقيين ، ويصبحوا مستوطنين ، وقد ينجح بعضهم ولكن المستعمرة على أية حال لم تؤخذ من أجلهم . على أن المستوطن لا يستطيع وحده أن يزرع مئات الأفدنة التى يستولى عليها بل ينهض بهذا العبء السكان الأصليون الذين يسخرون بأجور تافهة ويعيشون فى مستوى قريب من الحيوان . (كان أجر العامل فى المستعمرات البريطانية فى أفريقيا بين ٦ شلن إلى ١٢ فى الشهر عام ١٩٢٤) .

على أن من دعاة الاستعمار من يدعى نقل الحضارة إلى البلاد المتأخرة قال السنيور جيوليتى . « إنه بينما كان غرب أفريقيا من تونس إلى مراكش تحت حماية الإدارة الأوربية ، كانت ليبيا متأخرة عن العصر وأسواق الرقيق قائمة فى بنغازى تباع فيها الرجال والنساء الذين خطفوا عنوة من وسط أفريقيا ، وهذه شناعات لا يمكن قبولها على أبواب أوربا » (١) ولكنا نجد أن الأمبراطورية التى كانت تشمل ربع سكان العالم ، كانت تخصص مليونا

---

(١) Shoenfield - Libya (Islam to- day)

من الجنيهات فقط لتحسين حالة سكان المستعمرات ، على حين كان أكثر الضرائب يدفعها السكان الأصليون ، ولكنها تنفق فى مرتبات السادة البيض التى تتراوح بين ٢٥٠ و٢٠٠٠ جنيها سنويا ، وبلغ ما ينفق على الطفل الأوربى فى كينيا ١٢ شلنا و١٧ جنيها فى حين يخص الطفل الأفريقى ٣ بنس و١٢ شلن(١).

ومن دعاة الاستعمار من يقول أن القصد منه هو البحث عن الأسواق ولكن هذه الأسواق يمكن وجودها إذا كانت البلاد مستقلة ، وإذا كان القصد التجارة الشريفة .

ومن دعاة الاستعمار من يقول : أن القصد هو تفريج أزمة السكان وهذه حجة كثيراً ما تردد وخاصة بالنسبة لإيطاليا ويقبلها كثير من الناس . ولكنا نرى أن الفرد الذى لايجد عملا فى بلده يهاجر ولاحاجة به إلى معاونة الاستعمار . أما من يملك قدراً من المال فيستطيع أن يستقر حيث يريد فى أية جهة من جهات العالم دون اهتمام بالراية التى تظله ، وخير مثال على ذلك الهجرة إلى أمريكا ، فلم يقل أحد أنه يجب استعمار أمريكا حتى يستقر الزائدون من سكان البلد المستعمر فيها . وفى أمريكا ثمانية ملايين إيطالى هاجروا دون أن تستعمر إيطاليا أمريكا . وفيما يتصل بليبيا إذا سلمنا جدلا بحجة الفائض من السكان وجدنا أن إيطاليا حين كان تعدادها ٤٢ مليونا كانت زيادة السكان سنويا ٣٦٠٫٠٠٠ نسمة ، وقد صرح الكونت كفازا رئيس مصلحة الاستعمار « بأنه يثق بأن طرابلس بعد تقدمها تستوعب ٣٠٠٫٠٠٠ مستعمر حقيقى » (٢) أى أن طرابلس يمكن أن تستوعب زيادة سكان إيطاليا فى سنة واحدة فقط .

---

(١) Benturich) Porman : The Colonial Problem & the Federal Solution, London 1941

(٢) Niurar, Polson Mediterraniar problims p-114

ومن دعاة الاستعمار من يقول إن الهدف استراتيجى ، ولكن من الواضح أن الدافع الاستراتيجى يتبع المصالح الاقتصادية ، فيجب أن تكون هناك مصالح اقتصادية أولا ثم تظهر الحاجة لحمايتها . ثم إن الدافع الاستراتيجى كثيرا ما تكون الغاية منه التوسع والاعتداء لا مجرد الدفاع ، ويبدو ذلك فى سياسة بريطانيا وفرنسا وأمريكا وإيطاليا فى شمال أفريقيا .

قال بولسن نيومان عن الاستعمار الإيطالى :

« السبب الأساسى لذهاب الطليان إلى ليبيا استراتيجى ، فهو خطوة ضد البريطانيين فى مصر والفرنسيين فى تونس ، ثم أردف ذلك الحاجة الملحة لأراضى جديدة لتفريج أزمة السكان . إن الإيطاليين يشيرون إلى تونس ويقولون إن إيطاليا لو لم تأت إلى ليبيا لاحتلتها فرنسا وربما ألمانيا ، والواقع أن الطليان ذهبوا إلى ليبيا ليمنعوا غيرهم من احتلالها وهكذا احتلوا الجزء الوحيد الباقى خاليا من السيطرة الأوربية ، وكسبوا قواعد جديدة لغواصاتهم وطائراتهم وضموا أراضى يستطيعون منها القيام بعمليات برية إلى الشرق أو الغرب [١] »

* * *

خطت إيطاليا فى استعمار ليبيا خطوات الاستعمار المرسومة ، فبدأت بمحاولة إخضاع البلاد عسكريا واتبعت فى ذلك من ألوان الوحشية والبغى ما يدفع حجة المستعمرين فى نقل الحضارة أو سمو الجنس الأوربى الأبيض ، وكانت الخطوة الثانية سياسة إفنائية وتدبيرا واسعا للاستيلاء على أراضى السكان بالقوة وتوطن جماعات من المستعمرين الإيطاليين على نطاق واسع

---

(١) I bid p. 108

خدمة لمصالح الرأسماليين الايطاليين ، وقد كان للفاشية أثر بعيد فى المضى بالخطوتين حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

* * *

أول ما يقترن بالاستعمار الايطالى الأعمال البربرية التى ارتكبها الجنود الطليان منذ وطئت أقدامهم أراضى ليبيا . فلم تكد تمر أيام على نزولهم بطرابلس حتى قتلوا فى ناحية المنشية قرب طرابلس ما بين ٤٠٠٠ — ٧٠٠٠ نسمة غير آلاف عذبوا وألقوا فى السجون وأباح الجنرال كانيفيا قائد الحملة ناحية المنشية ثلاثة أيام لجنوده . ولم تكن هذه الواقعة أمرا شاذا بل كانت واحدة من حوادث لا حصر لها شهد بها مراسلو الصحف الأوربية الذين جاءوا مع الحملة الايطالية وكان بمثابة فرانسوا وماكولا الصحافى الإنجليزى : أبيت البقاء مع جيش لا هم له إلا ارتكاب جرائم القتل ، وإن ما رأيته من المذابح وترك النساء المريضات العربيات وأولادهن يعالجون سكرات الموت على قارعة الطريق ، جعلنى أكتب للجنرال كانيفا كتابا شديد اللهجة قلت فيه : إننى أرفض البقاء مع جيش لا أعده جيشا ولكن عصابة من قطاع الطريق والقتلة (١١) . ومما قاله فون جوتبرح المراسل الألمانى أنه لم يفعل جيش مع عدوه من أنواع الغدر والخيانة ما فعله الطليان فى طرابلس ، فقد كان الجنرال كانيفا يستهين بكل قانون حربى . ويأمر بقتل جميع الأسرى سواء قبض عليهم فى الحرب أم فى بيوتهم وفى سيراكوزه الآن كثير من الأسرى الذين لم يؤسر واحد منهم فى الحرب وأكثرهم من الجنود الذين تركوا فى مستشفى طرابلس. (٢) ومما ذكره المستر أرنست بنيت النائب البريطانى فى كتابه « مع العثمانيين فى طرابلس » : إن جرائم الجنرال كانيفا الدموية ستبقى من الذكريات

---

(١) الفظائع السود الحمر ص ٣١
(٢) المصدر نفسه ص ٣٢

الأليمة فى نفوس العالم الإسلامى وستتناقلها الأجيال باشمئزاز وسخط ، وكان يليق بالإيطاليين أن يصونوا تاريخهم العسكرى المزدان بقليل جدا من أكاليل الفوز والنصر ، عن هذه المذابح الوحشية وأعمال الجبن(١) .

تفنن الطليان فى ابتداع وسائل التعذيب والاعتداء ولهم فى ذلك سجل حافل بالشناعات نذكر منها أمثلة نحتكم فيها إلى الضمير الانسانى الحى . روى أن الطليان أخرجوا الشيخ سعيد شيخ قبيلة أرفاد و ١٥ شيخاً غيره وأصعدوهم فى طيارات ثم ألقوهم منها على مشهد من أهلهم(٢) . ويروى أنهم ربطوا الشيخ مفتاح يحيى العبيدى وابن عمه صالح عليا بين سيارتين دفعوهما إلى اتجاهين مختلفين فتقطع جسداهما إربا إربا أمام قبيلتهما المستسلمة القاطنة بجوار المعسكر الفاشستى فى تاكنس(٣) . ومن أبشع ما ارتكبه الطليان ما وقع منهم حين دخلوا الكفرة . قال أحد الحاضرين فى المعركة : « ودخلوا الكفرة التى لم يبق فيها إلا الشيوخ والعجزة والنساء والأطفال وانتشروا فيها وفى قرية التاج مستبيحين كل حرمة ونهبوا الأموال وذبحوا الشيوخ والأطفال ذبح الخراف وفتكوا بالنساء فتكاً ترتعد له الفرائص وبقروا بطون الحوامل وكان نصيب الكثيرات منهن الموت الفظيع لدفاعهن عن أعراضهن ، وبالجملة فقد هتكوا أعراض سبعين عائلة من عائلات السادة الأشراف وجعلوا من الجوامع خمارات شربوا فيها الخمر وكانوا يجبرون النساء المسلمات اللائى أحضروهن للفحش على شرب الخمر أو الموت شر ميتة وبعثروا جميع المصاحف والكتب الشرعية فى زاوية التاج وداسوها وألقوها فى الاصطبلات تحت حوافر الخيل والبغال(٤) وقد أحصت الهيئة المركزية فى عام ١٩٢١ من أهلكهم الطليان

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١

(٢) المصدر نفسه ص ٨٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٤) الفظائع السود الحمر ص ٨٦ .

منذ الاحتلال إلى عام ١٩٢١ فبلغوا ستة وستين ألفا . وذلك قبل حكم الفاشيست (١) .

ولم تقف وحشية الغزو عند خرق القوانين وارتكاب الفظائع ضد الرجال والنساء المحاربين وغير المحاربين ، بل تعدت ذلك إلى تسخير الرجال فى بناء القلاع التى أخذ الطليان يقيمونها ، وتعبيد الطرق ثم تجنيدهم تجنيداً إجباريا لقتال إخوانهم من العرب ، كما حدث فى وقعة القرضابية مثلا حين أرغم الطليان ٤٠٠٠ر شخص من أقضية ترهونة ومسلاته وزليطن ومصراته على محاربة السنوسيين الزاحفين على قضاء سرت ، واضطروا شيوخ القبائل إلى تولى القيادة وقبض على ٥٠٠ شخص من الوجهاء رهينة عندهم .

وعلى هذا النحو كان مسلك الطليان حين اعتدوا على الحبشة فى عام ١٩٣٥ فقد جندوا من أهالى ليبيا قرابة أربعين ألفا ألقوا بهم طعمة للجشع الاستعمارى الإيطالى ، ولم يعد منهم إلا العدد اليسير فأهملوهم وعائلاتهم .

وذهب الطليان فى اعتدائهم إلى مهاجمة أهل البلاد فى معتقداتهم ومقدساتهم حتى لقد جعلوا الخطبة فى المساجد باسم الملك عماتويل الثالث ملك إيطاليا ، وأصدروا الأحكام الشرعية باسمه وساروا على خطة إذلال الوطنى فى نفسه ومروءته فحرم على الوطنيين ركوب الدرجة الأولى فى جميع المركبات العمومية والسكك الحديدية ودور الملاهى والسينمات مهما تبلغ منزلة الوطنى . وكان من أحط أنواع التفريق فى الجنس أن المحاكم لم تكن تصدر فى أحكامها عن العدالة بل عن النزعة الاستعمارية البغيضة . وقد مرت بنا فظائع المحكمة الطيارة التى ابتدعها جرازيانى « الجزار » . وقد ذكر أنها منذ إنشائها فى أبريل سنة ١٩٣٠ إلى مارس سنة ١٩٣١ اتهمت سبعمائة قدم منهم للمحاكمة ٤٤٨ لأن

---

(١) السنوسية دين ودولة — ص ٣٢٧ .

فريقا من المتهمين فر وفريقا حفظت الدعوى ضده ، وأصدرت المحكمة أحكاما بالإعدام والسجن ضد ٢٥٠(١) . فلم يكن للوطنى سبيل إلى مقاومة موجة الاضطهاد إلا أن يرحل عن البلاد إن استطاع . واتجهت إيطاليا إلى صبغ البلاد بصبغة إيطالية خالصة فبدلوا أسماء الشوارع والمدن، وفرضت الأحكام العرفية على البلاد ومنعت حرية النشر ولم يكن يسمح بنشر شيء ليس مدحاً وأطراء للحكم الإيطالى كما يظهر من صحف ليبيا الثلاث فى عهدهم : العدل ، وبريد برقة ، ومجلة ليبيا . كما منع الاتصال بالخارج وخاصة البلاد العربية ووضعت العقبات فى طريق الحجاج .

واتجهت إيطاليا إلى القضاء على الثقافة العربية الاسلامية ، وعلى القليل الذى كان مبثوثا منها على أيدى الأتراك . فقد كان فى ليبيا قبل الاحتلال الإيطالى مراكز للثقافة الإسلامية فى جامع أحمد باشا وجامع كورجى ومدرسة عثمان باشا وزاوية الزروق فى مصراته وذلك إلى جانب الزوايا السنوسية ومن يتلقون العلوم الإسلامية فى الأزهر الشريف بمصر أو جامع الزيتون فى تونس . كما كانت هناك مدارس مدنية أنشأها العثمانيون ، فكانت هناك مدارس المبتديان (ابتدائية) ومدارس رشدية (ثانوية) كما كان فى طرابلس مدرسة إعدادية للعلوم والفنون العسكرية . وقد أغلقت هذه المدارس على قلتها بعد الاحتلال الإيطالى، وكان الليبيون حريصين فى كل مفاوضة مع الطليان على النص على ضرورة نشر التعليم ، ولكن الطليان عملوا على نشر الثقافة الإيطالية بما يتلائم مع أغراضهم الاستعمارية ، وفى عام ١٩٣٩ كان فى ليبيا تسعون مدرسة ابتدائية تضم ٩٤٣٣ تلميذ و ١٠٥٥ تلميذة . جعلوها قسمين عربى وإيطالى ، لا يتلقى فيها الطفل العربى من الثقافة العربية غير مبادىء الكتابة وآيات من القرآن ومسائل الحساب على مدى خمس سنوات ، وجعلت

---

(١) نفس المصدر — ص ٣٤٠ — ٣٤١ .

الإدارة للمعلم الإيطالى والغلبة للبرنامج الإيطالى(١). أما القسم الثانوى فهو غير مصرح به لأبناء العرب إلا فى مدرسة واحدة هى مدرسة الصنائع ولا يسوغ للعربى أن يدرس بها إلا قسمين: النجارة والحدادة ، أما الميكانيكا والطيران فلا، فهو مقيد بمن كانت له جنسية إيطالية(٢) . وقد حرم الليبيون من التعليم العالى، حتى لقد عجز الطليان عن أن يقدموا إلى لجنة التحقيق التى أوفدتها الأمم المتحدة ليبيا واحداً تعلم تعليما عاليا ، وكان الطبيب الليبى الوحيد الذى قدموه قد تلقى علومه فى تركيا(٣) .

* * *

ولعل من أبشع ما ارتكبه الطليان فى سياستهم الافنائية — وإن جروا فى ذلك على خطة الاستعمار التى شرحناها — هى إجلاء السكان عن أراضيهم وحصرهم فى منطقة سرت والعقلية كما سبق القول ، ويكفى أن نورد هنا تعريب ما كتبه مراسل الجريدة الألمانية فوسيشه تسايتونج عن ذلك . قال المراسل : « إن الانتقادات التى يوجهها الآن الفرنسيون والانكليز إلى خطة الفاشيست فى برقة موجهة فى الدرجة الأولى إلى التدابير التى اتخذها الجنرال غرازيانى لإجلاء ثمانية ألف بدوى عن أراضيهم وحشرهم على شاطىء سرت حيث مدّ الطليان أسلاكا شائكة حول خيامهم دون أن يراعوا حالة هؤلاء البدو الروحية أو يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم .... ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا فى النهار بشرط أن يرجع إلى مكانه قبل أن يخيم الظلام وكل واحد من رؤساء القبائل مسئول عن أتباعه فرداً فرداً.

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ٣٣٤ — ٣٣٥ .

(٢) بيان من مركز اللجنة الطرابلسية العام ص ٤ .

(٣) Newman, B. P. 141

إننا لانريد أن نبحث هنا فيما إذا كان يحق مبدئياً لحكومة أوربية أن تستولى بالقوة على بلاد شرقية لا تربطها بها أية رابطة ، وفيما إذا كان لايجوز لها أن تسعى (على زعمها) فى تمدين السكان رغم إرادتهم وكراهيتهم لهذه المدنية .

إننا مرغمون على الاكتفاء بذكر الأرقام التى تعلنها السلطات الإيطالية نفسها ومع ذلك يجب أن نقول إن الحالة سيئة للغاية تفوق كل تصور ، فان معدّل الأموات من الأطفال يبلغ ٩٠٪ وأمراض العيون التى ينتهى أكثرها بالعمى كثيرة جداً ومنتشرة انتشاراً هائلا ويكاد لا ينجو أحد من الأمراض أما غذاء هؤلاء المساكين فالأحسن ألا نتكلم عنه بالمرة ، ومن الطبيعى أن نرى هؤلاء يتألمون أشد الألم ، وفى الدرجة الأولى من هذه الأسلاك الشائكة رمز الأسر ، ورغم تلاصق الخيام وشدة تقاربها فإن حصرها ضمن أسلاك شائكة يجب أن يعتبر من المتناقضات الغريبـــة التى لا يتصورها العقل إذ لايجوز قطعاً الجمع بين الخيام الحرة وبين الأسلاك الشائكة ، لكن الطليان يختلف نظرهم هنا عن غيرهم فإنما هم يرمون إلى الاستيلاء على هذه البلاد واخضاعها لا إلى التفكير فى صالح أهلها . » (١)

* * *

وكان من نتيجة هذه السياسة الافنائية الغاشمة أن تناقص سكان ليبيا تناقصاً مريعاً بحيث هبطت نفوس ليبيا التى كانت قبـــل الاحتلال الطليانى مليونا ونصف المليون إلى أقل من ٧٠٠ ألف نسمة بينهم المستعمرون الفاشست الذين يعدون بعشرات الألوف . قال الجنرال غرازيانى فى محاضرة ألقاها فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٠ « أتيح لنا بواسطة حشر القبائل فى مناطق معينة

---

(١) الفظائع — ص ٧٧—٧٩

القيام بأحصاء دقيق لسكان برقة وهو ١٧٩٫٠٧٢ نسمة وإذا أضفنا إلى هذا العدد ٥٠٠٫٠٠٠ نفسا من طرابلس ، تبلغ ٦٧٩٫٠٨٢ نسمة ، وبذلك يكون النقص فى مدة عشرين سنة قد بلغ ٨٢٠٫٩٢٨ نسمة منهم شهداء الحرب الذين يمكننا أن نعدهم بقدر المستعمرين ، ومنهم ٢٥٠ ألفاً اضطروا إلى الهجرة إلى السودان الفرنسى فإذا أخرجنا هذا العدد بقى لدينا ٥٧٠٫٩٢٨ مفقودين.(١)

وأصيبت الثروة الوطنية بكارثة تبعاً لذلك تظهر بين عامى ١٩٢٦-١٩٢٣ فى تناقص الأغنام من ٨٠٠٫٠٠٠ إلى ٩٨٫٠٠٠ والجمال من ٧٥٫٠٠٠ إلى ٢٫٦٠٠ والماعز من ٧٠٫٠٠٠ إلى ٢٥٫٠٠٠ والحمير من ٩٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ والثيران من ١٠٫٠٠٠ إلى ٨٫٧٠٠ والخيل من ١٤٫٠٠٠ إلى ١٫٠٠٠(٢)

على أن ايطاليا دفعت ثمن سياستها الاستعمارية غاليا فقد فقدت مائة وخمسين ألف جندى ايطالى دفنوا فى الصحراء الليبية ، وخسرت قرابة أربعين مليار ليرة. قال السنيور نيتى Nitti رئيس وزراء ايطاليا السابق فى كتابه « أوربا بلا سلم » Europa sensa pace : لقد اشترينا حفنة من الرمال بمبلغ أربعين مليار ليرة(٣).

* * *

وكانت مظاهر السياسة الاستعمارية الايطالية ترتكز على دعامة اقتصادية هى استغلال رءوس الأموال الايطالية ، فاحتكرت ايطاليا التجارة مع ليبيا وأنشأت المؤسسات الصناعية والمالية. واستغلت رءوس الأموال فى إقامة خطوط حديدية بلغت ٢٤٠ ك . م . كما أنشىء فى سنة ١٩٢٥ بنك زراعى يقوم بمنح قروض ويموّن مجهودات المستعمرين وكان يشرف على هذه

---

(١) الفظائع ص ٧٦

(٢) Shoenfield, Liibya

(٣) حقائد الكفاح الوطنى فى ليبيا — ص ٢٠

السياسة الكونت فولبى حاكم ليبيا وهو من كبار رجال الصناعة فى شمال ايطاليا ووزير مالية موسولينى بعد ذلك ، وقد سيطرت هذه الاحتكارات على حياة البلاد الاقتصادية وأوردتها موارد الفقر والانحلال ، فجعلت تجارة الحبوب والمنتجات الزراعية احتكاراً لشركة ايطالية هى الجمعية الزراعية Consorzio Agranis كما احتكرت تجارة الصادر والوارد واحتكرت المنافع العامة والمواصلات وصناعة التبغ . وأخضعت الحركة المالية الليبية لسيطرة بنك روما الكاملة (١) .

* * *

على أن أبرز نواحى الاستعمار الإيطالى هى الاستيلاء على أرض ليبيا . ففى أيام العثمانيين لم تكن الأرض ملكا لشخص بعينه بل كانت كلها مشاعا ، وحقوق الانتفاع مجعولة لجماعات من الأسر بحكم العادة والعرف وطول الاستخدام نتيجة خدمة ذات قيمة للأرض كحفر الآبار أو الزراعة وهذه الحقوق موروثة على أنها حقوق الانتفاع ، وإذا أهملت لفترة من الزمن سقطت ، وقد حدد الترك ذلك بثلاثة أعوام . وفى عام ١٨٦٤ أنشأ الترك ما يسمى بالدفترخانة وهو مكتب لتسجيل الأراضى ، على أن القبائل الرحل لا تخضع لقوانين الملكية ، فانحصرت لذلك جهود الأتراك فى مناطق المدن وقنعوا كعادتهم مع العشائر بتركهم وشأنهم يقتسمون الأراضى بين القبائل الكبيرة . وكان بين المناطق المشاع مناطق أهديت لأفراد أو جماعات وكان منها مساحات شاسعة فيها كثير من أجود الأراضى أقطعت للزوايا السنوسية على أنها ملكية مطلقة لهذه المراكز الدينية شبه الإدارية ، وأصبحت أراضى الزوايا تعتبر وقفا . وهكذا كانت ملكية الأراضى فى هذا المجتمع

---

(١) نفس المصدر — ص ٢٩

البدوى شيئا بين الملكية الفردية والمشاعية ، وكان الترك يقرون ذلك وإن رأوا فى النهاية أن الأرض ملك للدولة .

ولم يكن امام الطليان إلا أن يقروا مبدأ الحقوق على أساس الملكية الموروثة فى حالة الأراضى المستصلحة بما فى ذلك مناطق المدن ، أما الباقى فقد اعترفوا للناس بأسبقية متوارثة فى الانتفاع به للرعى والزرع على حين تظل الملكية للدولة بحكم السيادة . وبقيت إلى جانب ذلك أراضى الأوقاف العامة والخاصة وهى مساحات شاسعة فيها كثير من الأراضى الخصبة الصالحة للزراعة .

وقد اتجه الطليان منذ اللحظة الأولى من الاحتلال إلى الاستيلاء على الأراضى بطريق الشراء الصورى الجبرى فكان « نزع الأملاك بعوض له طرق شتى وأوجه مختلفة ففى غريان مثلا نظراً لكثرة تعدد القرى والمساكن تعين لجنة ايطالية تقيس الأرض الواقعة بين القرية والقرية ويؤتى بشيخ القبيلة وإمامها بعد التنبيه على أفراد قبيلته بالحضور والتنبيه عليهم بأن الحكومة تطلب نزع ملكيتهم وتعطى لكل فرد فى نظير ذلك كذا وكذا فإن قبل فبها وإن أبى فيحددون له يوما بالابتعاد عنها واعتزالها والبركة فى الشيخ والإمام والمدير يصدقون على البيع وثمن الممتنع يوضع فى صندوق التوفير حيث لا يطوله ولن يطوله إلى أن يشاء الله . وعلى هذه الطريقة تنزع ملكية أهل الجبل بعكس السواحل أو القبائل الرحالة مثل النواحى الأربعة والنوائل ورشغانة وترهونه فإنه يجمع مشايخ قبائلهم جميعاً ويقطعون لهم جهات معينة عديمة النتاج يحشرونهم بها والأماكن الخصبة توزع على المعمرين . هذه الطريقة اتبعت مع أهالى الشطوط الساحلية من تونس إلى حدود سرت ويقسم على أفراد كل قبيلة شىء من العوض الذى يؤخذ من صندوق التوفير المتكون من أموال إخوانهم المصادرة وهذا

الصنيع لأجل أن يعلموا أنهم أخذوا فى نظير نزع ملكيتهم مقابلا (١) » .

وكانت هذه الأراضى المشتراة اسما توزع على المستغلين الايطاليين إقطاعات كبيرة تباع لهم بسعر زهيد هو عشرون ليرة للفدان وتعفى من الضرائب لمدة خمسة وعشرين عاما ولكن القيود التى فرضت على المشترين بتقديم ضمانات مالية وفنية قصرت حق التملك على أصحاب رءوس الأموال ، إلا فى المواقع القريبة من السكك الحديدية أو المدن الكبيرة حيث كانت تباع قطع صغيرة لصغار المزارعين . وكان القائمون بالعمل فى هذه الإقطاعات الكبيرة أجراء من الفلاحين العرب ، ولم تكن نية إيطاليا فى مبدأ الأمر تتجه إلى هجرة صغار الفلاحين الإيطاليين . فقد صرح الكونت فولبى فى عام ١٩٢٥ بقوله : إن تصدير العمال الزراعيين الإيطاليين يجب أن يظل الآن وحتى فترة طويلة أمراً غير مرغوب فيه ولا يجب النصح به (٢) . وقد صرح فولبى أيضاً أنه فى المنطقة حول طرابلس أجرت ٧٥ فدان للزارعين الإيطاليين فى عام ١٩٢٤ ٧٥ ألفاً أخرى فى عام ١٩٢٥ ، ١٠٠ ألفاً فى عام ١٩٢٦ . وقال الكونت كفازا رئيس مصلحة الاستعمار إن حوالى ٢٥٠ أسرة أو ٢٠٠٠ شخص استوطنت طرابلس بين عامى ١٩٢٢ — ١٩٢٦(٣) .

* * *

وقد طبقت إيطاليا الخطة عينها فى برقة ، فأنشأ الطليان فى سنة ١٩١٣ مكتبا هو Uficio Fondiaris يهتم بالناحية القانونية من الملكية ونقل الأراضى . وحتى عام ١٩٢٢ - وباستثناء مناطق المدن - لم يتناول إلا ١٣٤

---

(١) بيان ص ٥/٦ .

(٢) حقائق الكفاح الوطنى ص ٢٢ .

(٣) Newman, p., Mediterranian problem p 110

حالة . ثم أنشئت للمكتب فروع فى مدن أخرى وفى ١٩٢٦ - ١٩٢٧ استولى الطليان على أراض واسعة فى أبيار والمرج ، بعضها بالشراء من أصحاب الحق وبعضها بالاستيلاء للمصلحة العامة أوالمصادرة . وما حل عام ١٩٢٨ حتى كان إنشاء الاقطاعات بأمر من الحاكم على أساس أن الدولة صاحبة الحق الأول فى الأرض فكان يستولى على الأرض أولا ويقوم المكتب بتقدير مبلغ التعويض حتى لا يظهر الشراء كأنه قسر وعندما يُتنازل عن الأرض ويقدر التعويض يوضع المبلغ فى إدارة التعويضات Case Rigs armis وإذا لم تصرف قيمة التعويض بعد فترة معينة تسقط ، وكثيراً ما كانت تلك المبالغ تترك دون طلب ، إما لأن أصحابها لا يقرون هـــذا النظام أو التقدير وإما لغيابهم عن الأراضى نتيجة العمليات الحربية واما لأنهم مغيبون فى السجون .

وقد استولى الطليان فى برقة على ١٢٠و٥١٠ هكتارات (٣٠٤و٢٧٥ فدان) حتى عام ١٩٣١ على النحو التالى(١) .

	أراض مشتراة	أراض منتزعة	مصادرة عن أفراد	مصادرة للزوايا
سنة ١٩٢٢-٢٦	٤و٠٨٠	٢و٩١٥	٥٠٠	—
سنة ١٩٢٧-٢٩	٣٩و٣٧١	٤و٧٦٢	٥و٣٠٠	—
سنة ١٩٢٩-٣١	—	١و١٦٧	٢٠٠٠	٦٢و٢٥٥
هكتار	٤٣ر٤٤١	٨ر٨٤٤	٦ر٠٠٠	٦٢ر٢٢٥
فدان	١٠٨ر٦٠٢ ١/٢	٢٢ر١١٠	١٥ر٠٠٠	١٥٠٥٦٢ ١/٢

* * *

وكان كثير من أراضى ليبيا يعتبر وقفا ، وخاصة ما كان منه وقفاللزاويا

---

(١) Italian Colonization p. 6.

السنوسية وقفته القبائل أو الأفراد أو نزلت عنه الدولة للطريقة ويعتبر هذا الوقف العمومى على أنه خاص بالطريقة لا بالشيوخ أو العائلة السنوسية .

وقد حاولت تركيا ـ لفساد حالة الوقف ـ أن تنشىء فى طرابلس وبعد ذلك فى برقة ادارة موحدة خاضعة لاشراف الدولة هى « ادارة الأوقاف » لكل الأوقاف المسجلة . ولكن هذا الإصلاح لم ينفذ إلا قليلا . وعلى أية حال لم تسجل أملاك الطرق الاسلامية وظلت يديرها مشايخها ، فكانت كل زاوية مستقلة بأملاكها ، ولكن إذا زاد دخل الزاوية عن حاجتها الدينية والخيرية وضع الفائض فى إنماء مركزى وعاونت زوايا الساحل زوايا الداخل الفقيرة . وفى أيام السيد أحمد الشريف نشأت عادة تخصيص بعض الزوايا الأفراد بأعينهم من الأسرة السنوسية وأصبح هؤلاء يعتبرون شيوخا حماة لهذه الزوايا التى تمدهم . فكان للسيد إدريس والسيد الرضا مثلا فائض زوايا بنغازى وأريانه وطلميثه والمرساس ومارآ وثرت وأم حفينى وأم الزرم والفريات والمرازيق . . الخ كما كان للسيد أحمد الشريف فائض زوايا مرطبه وزنزور وأم الشخانات وطرابلس وفروه ومصراته وسرت وسكنه . . الخ . . .

وكانت أملاك الزوايا تصل إلى آلاف الفدادين فمثلا كان لزاوية مسوس ٣٥ ألف هكتار والفايديه ٥٠٠ر٥ والتليمون ٠٠٠ر٣٠ والمرساس ٠٠٠ر١٦، وبنغازى ٦٠٠ر٣٠ وكانت الزوايا الأربع عشرة التى سجلت فنياً فى عام ١٩١٩ على يد لجنة سنوسية ايطالية تملك أكثر من ١٢٥ ألف فدان ويمكن أن تقدر أراضى الطريقة بخمسمائة ألف فدان . وأكثر هذه الأراضى مراعى ، ولكن فيها كثيراً يصلح للزراعة فى الجبل الأخضر ، فحيثما توجد عيون وبساتين توجد ممتلكات للطريقة لأنها أماكن صالحة لإقامة الأخوان ، إذ هم على

على عكس البدو رجال حضر ، وفى الأماكن شبه الصحراوية تملك الطريقة أحسن الآبار أو تشترك فى ملكيتها .

* * *

وقد اتجه الطليان إلى مصادرة املاك الطريقة حيث استقرت أقدامهم وإن كانوا قد زعموا فى عام ١٩١١ بأنهم سيحفظون على الزوايا ممتلكاتها كسبا لعطف السنوسية . وفى نهاية عام ١٩١٣ امر الجنرال انافيو بريكوكولا OttavioBricocola اول حاكم لبرقة بمصادرة ممتلكات الزوايا فتم ذلك فى العام التالى وقامت به دائرة المحافظة Circolari Governetoriali وقد صدرت بعد ذلك مراسيم وقرارات تقر مصادرة الزوايا الاثنتى عشرة التى كانت فى أيدى الإيطاليين ، وأصدرت المحاكم الحربية أوامر المصادرة sentenzi di confisco وأعلن الطليان أن هذه تدابير موقوتة لمنع العون عن المحاربين ، فهى رهينة ووسيلة للمساومة فى حالة التفاهم .

وقد نصت الاتفاقات التى عقدت بين السنوسية والطليان كاتفاق عكرمة (المادة ٥) واتفاق الرجمة (المادة ١٥) بأن الزوايا السنوسية التى يحتلها الطليان تعاد إلى الطريقة مع ممتلكاتها وتقرر أيضا أن يدفع الطليان مرتبات شيوخ الزوايا ، وفى اتفاق ١٦ اغسطس سنة ١٩٢١ Sistemazione difini-tiva della zawie (المادة ١٦) وعد الطليان بتقديم ٥٠٠٠٠٠ ليرة تعويضا عن التخريب الذى لحق بالزوايا ، ٦٠٠ ليرة مرتبا للشيخ بتوصية السيد محمد إدريس . ولكن هذه الاتفاقات نقصت فى مايو سنة ١٩٢٣ ورفعت الحصانة عن أراضى الطريقة وفتح الطريق للمصادرة الشاملة .

على أن الطليان حين ترددوا - فى مبدأ الامر - فى الاستيلاء على ممتلكات السنوسية دفعة واحدة ، دبروا حيلة للاستيلاء مباشرة على بعض الأراضى

التى كانوا يحتاجون إليها لمستعمريهم فى سهل المرج ، ولإمكان الاستيلاء على أراضى غيرها عند الحاجة . وطريقتهم فى ذلك حقيقة بالدرس وإن كانت الأراضى التى حصلوا عليها باستعمالها قليلة الأهمية بالنسبة إلى ما أدت إليه المصادرة الشاملة بعد ذلك .

من المعروف أنه يمكن التصرف فى الوقف بطريقتين شرعيتين : الأولى أن يكون التصرف لمصلحة الوقف وذلك إذا كانت الأراضى الموقوفة غير مفيدة ولا تعود بمحصول أو إذا كان بقاؤها يعطل المصلحة العامة . وكانت المحاكم منذ أيام الأتراك تقر بيع الوقف على نظام الحكر فتباع الأرض ولكن المشترى إلى جانب دفع الثمن نقداً يدفع إيجاراً سنويا ومثل هذه البيوع تكون على يد القاضى وإدارة الأوقاف وعليهم مسئولية أن يكون البيع لصالح الوقف .

الثانية : إذا تقدم الموقوف عليهم بطلب البيع ثم تستخدم النقود فى شراء عين بنفس القيمة .

على أن الطليان لم يتبعوا إحدى هاتين الطريقتين الشرعيتين للاستيلاء على أوقاف السنوسية . ولعل ذلك لأنهم أرادوا الحصول عليها دون مقابل أو لأنهم لم يستطيعوا إقناع المحاكم بأنها مطلوبة للصالح العام ، بل كشف محاموهم أن فى تونس وسيلة قانونية تعرف باسم الإنزال تحظى فى تلك البلاد بموافقة العلماء ، وهى عبارة عن إيجار اسمى دون دفعة أولى وهو فى الواقع وسيلة لامتلاك الوقف دون دفع مايستحق من ثمن . وقد أدخل الطليان ذلك النظام فى برقة ليسلبوا السنوسية ممتلكاتها على نحو يضلل بأنه قانونى . وبمقتضى ذلك تنزل الزاوية عن الأرض فى نظير إيجار سنوى صغير دائم فى حين تستغل الدولة تلك الأراضى . وقد استعمل هذا لأول مرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٤ حين استولت إدارة الأراضى من شيخ السنوسية فى المرج على نصف الأراضى

التى تحيط بالزاوية (حرم الزاوية) عن طريق الانزال وهى ٩٥٠ — ١٠٠٠ هكتار بايجار سنوى قدره ٥ ليرات للهكتار (أى ما يقرب من خمسين جنيها لما بين ٢٢٥٠ إلى ٢٥٠٠ فدان ثم قسمت هذه الأراضى فيما بعد إلى خمسين مستعمرة زراعية . وأشار المحامى الإيطالى Savarese الذى قام بالعملية أن هذه الطريقة ذات احتمالات واسعة . وعلى أية حال لم تمض عدة سنوات حتى صادرت إيطاليا أموال الطريقة كلها ولم تعد بها حاجة إلى استعمال تلك الحيل « القانونية » (١)

***

ومنذ سنة ١٩٢٨ تبدأ المرحلة الحاسمة فى الاستعمار الإيطالى بليبيا . فقد وضعت ايطاليا طرابلس وبرقة تحت نظام واحد للاستعمار ، وأعلن اعتبار ليبيا امتدادا للوطن الايطالى ، واعتبار أراضيها مقاطعات ايطالية عبر البحر وهى بهذا الوضع تخضع للمبدأ الفاشى الذى يدعو إلى الهجرة الداخلية ويتضمن نقل الفلاحين الإيطاليين من المناطق المزدحمة إلى المناطق غير المزدحمة فى شبه الجزيرة الإيطالية وذلك لاستبقاء الأيدى العاملة الإيطالية الرخيصة وردها عن الهجرة وفتح مجال للكسب والاستغلال لرءوس الأموال الإيطالية ومن الناحية السياسية كان شحن البلاد الليبية بعدد ضخم من المستعمرين الإيطاليين وصبغ البلاد بصيغة إيطالية خالصة ، يمكن أن يؤدى وظيفة مزدوجة

أولا : أن تبرز هذه العملية للعالم على أنها برهان على ما يملكه الشعب الإيطالى من حيوية ورغبة فى التعمير ومايجب معه إرضاؤه بمنحه مستعمرات جديدة غير مستعمراته المجدبة .

ثانيا : استخدام هذا الحشد الإيطالى كمورد ثابت سواء فى الرجال أم فى

---

(١) Evans Pritchard, Vol.I Part 4, 850

مسائل التوين وفى الغزو السياسى والثقافى لحرب توسعية تشن على البلاد الإفريقية المجاورة . وقد عبر ايتالو بالبو عن هذا الاتجاه فى السياسة الاستعمارية الفاشية بقوله إن توطين ألوف عدة من الإيطاليين فى هذه الأراضى بعد أن توفرت فيها المياه يسهل مشاريع زعماء ايطاليا الحربيين الخاصة باستعدادهم للحروب المقبلة تسهيلا جوهريا (١) وفى ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٣٠ صدر مرسوم ملكى بإبطال مواد الاتفاقات بين الطليان والسنوسيين ، ومصادرة ممتلكات الزوايا وبضائعها . وصدر الأمر إلى رئيس إدارة أراضى برقة Servizi Fondiari della cirenaica بتسجيل ممتلكات الطريقة باسم المستعمرة ولم يطبق المرسوم إلا على برقة أما طرابلس فيبدو أن الطليان قد استولوا فيها على ما يريدون من الأراضى والممتلكات عن طريق رجال الإدارة . وكان هذا المرسوم يقضى على الأسس الاقتصادية للطريقة كما قضت العمليات الحربية على أسسها السياسية . وقد نص فى ديباجته على أن وجود الطريقة مناف لوجود الدولة وقد دلت التجارب الماضية على أن نشاطها لا يمكن أن يكون قانونيا ، وأن مواردها أمدت وتمد الثورات . ومضى المرسوم فأعلن مصادرة ممتلكاتها المنقولة والثابتة ونقلها إلى المستعمرة إلا الممتلكات الخاصة بالمساجد والمدافن فقد نصت المادة السادسة على بقائها وقفا ، وأن تصبح من أوقاف المستعمرة ، وأعلن فى المادة الثامنة أنه لا يحق رفع الدعوى أمام المحاكم ضد استيلاء إدارة الأراضى على الأراضى وأمر القاضى فالنزى Valnezi بتنفيذ المرسوم وطلب إليه أن يكمل فى عام ١٩٣١ تسجيل ٤٩ زاوية إذا سمحت الظروف السياسية . وقد تم المسح الفنى والتسجيل النهائى لثمانى عشرة زاوية فقط واضطر الطليان نظراً لقلق الحالة فى البلاد ونشاط حرب العصابات

---

(١) حقائق الكفاح الوطنى ص — ٢٣ — ٢٤

إلى الاقتصار على جرد باقى ممتلكات باقى الزوايا من المعلومات التى قدمها شيوخ القبائل الأسرى (١)

وقد بدأت حملة تصدير الفلاحين الإيطاليين إلى ليبيا بقانون صدر فى ٧ يونيه سنة ١٩٢٨ نص على « منح امتياز تملك أراضى الدومين العام فى طرابلس وبرقة بعد استصلاحها لعائلات الفلاحين الإقطاعيين ، أما الأراضى الزراعية الخارجة عن نطاق الاستعمار والأراضى الصحراوية أو شبه الصحراوية التى لا تصلح إلا للرعى بسبب قلة أمطارها وعدم انتظام هذه الأمطار ، فقد تركت للعرب تنظيما لخطة الاستقرار الزراعى للعرب ، ولكنها تركت مؤقتاً تستغلها القبائل فى الرعى ، وقد صودر النخيل والبساتين فى الواحات واستولت الدولة على محصولها أو أجرت للسكان وخاصة فى الكفرة ، وقد بيعت بعض البساتين الصغيرة فى الواحات بقيمة اسمية أو منحت لمعاونى ايطاليا وسماسرتها (٢)

وقد أقطع المهاجرون الأراضى بأثمان بخسة تتراوح بين ٢٥و٥٠ ليرة للهكتار وكان هؤلاء المستعمرون من صغار الملاك وكان عليهم أن يدفعوا ثمن الأراضى حال تسلمهم لها ، أو يدفعوا جزءاً من الثمن ويقسط الباقى شهرياً أو يدفع بعد عشرة أعوام ، وإذا لم يوف المستعمر بالتزاماته نزعت منه الأراضى ، كما كان على المستعمرين أن ينهضوا فى السنوات العشر الأولى على الأقل بحفر الآبار وبناء خزانات المياه والمساكن وغرس الأشجار واستخدام العدد الذى يحدده القانون من الأسر الايطالية وهو أسرة واحدة على الأقل لكل مائة هكتار . وكانت هذه النفقات الباهظة تدفع المالك دفعاً إلى الاعتماد على بنك التسليف الزراعى وبنك التوفير فيدفع نسب ربح باهظة تبلغ أحياناً نحو ٥٠ ٪ وتنتهى بالمالك إلى الخراب . وقد اضطرت الدولة إزاء ذلك إلى التدخل

---

(١) Evans Pritchard P. 881

(٢) المصدر نفسه ص ٨٥٢

لإنقاذ مشروع التوطين فكانت تتحمل ٣٠٪ من نفقات الإنشاء أو تستولى على الأراضى وتشرف عليها إشرافا مباشراً وتوزعها على المحاربين القدماء .

وما حلت سنة ١٩٣٣ حتى كان الوضع فى ليبيا على النحو الآتى : —

٢٠٢و٨٢٧ هكتار استملكتها الدولة . منها ٣١٧و٤٠ هكتار فى السنوات الخمس الأخيرة ووزع منها للاستغلال ١٠٩و٨٥٨ هكتار منها ٦٩٦و٢٩ هكتار من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٣ . واستصلح للزراعة المنتظمة ٩٤٦و٥٣ هكتاراً . وبلغ عدد المعمرين ٩٣٥ مالكا يستخدمون نحو ١و٣٠٠ أسرة إيطالية يضاف إليها ٢٣٠ أسرة فاشية تستخدمها الدولة فى زراعة التبغ فى مزارعها .

وبينما كانت هذه العمليات تدر الأرباح الضخمة على المصارف والمؤسسات المالية كانت تكلف ايطاليا : —

١٫٨٠٦ ليرات لكل هكتار استصلح فى الملكيات الصغيرة (أقل من ٧٥ هكتارا) ٨٢٨ ليرة لكل هكتار استصلح فى الملكيات المتوسطة (من ٧٥ الى ٤٠٠ هكتار) ، ٥٧٢ ليرة لكل هكتار استصلح فى الملكيات الكبيرة (أكثر من ٤٠٠ هكتار) .

كما اضطرت فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ الى إصدار قانون بمنح المستعمرين قروضاً لمواجهة مصاريف المزارع التى يتأخر إنتاجها كما قرر فى مرسوم ١٥ أبريل سنة ١٩٣٣ منح قروض زراعية خاصة بدون ربح تسدد على خمسة عشر عاما . (١)

* * *

---

(١) حقائق الكفاح الوطنى — ص ٢٧/٢٦ عن
Tren Depois la colonisatim den hgbie, 468

هذه النفقات الباهظة الكبيرة حملت إيطاليا على أن تسمح لرأس المال الكبير بتولى الأمر فى ليبيا ، وبذلك تبدأ المرحلة الأخيرة فى الاستعمار الايطالى « الشعبى » فى ليبيا . ففى ١١ يونيه عام ١٩٣٢ أنشئت مؤسسة تعميرية برأس مال قدره ٣٨ Ente per la Colonizzazione della ciranaica مليون ليرة ، وفى ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٤ أعطى لهذه الشركة الحق فى مد نشاطها الى طرابلس وأصبح اسمها مؤسسة تعمير طرابلس وبرقة Ente per la Colonizzazione della Litania a della Ciranaica وكان لهذه المؤسسة المالية سلطات ادارية تدخل فى نطاق المنظمات الفاشية ، واشترك فى تكوين رأس مالها عدد من المصارف الكبيرة كما ساهمت فى تمويلها قميسيارية الهجرة والتعمير الداخلى ، وكان هدف هذه الشركة المستقلة التى تؤيدها الحكومة ، أن تشجع وتعاون طبقة من صغار الفلاحين المهاجرين الذين يصبحون ملاكا لما يضعون أيديهم عليه بعد فترة معقولة . وكان تحت تصرف الشركة أراض زراعية تقدمها الدولة الى المستعمرة عن طريق مكتب Uficio Fondiari الذى يقوم بدوره باعداد الأرض للمستوطن ، ويشرف على تمكينه من الملكية فى أقصر وقت ممكن » (١)

وكانت خطة الشركة أن يقطع المستوطن من ٢٠ إلى ٢٥ هكتارا وتقدم له اعانة لمدة أقصاها خمس سنوات لاعداد الأراضى للزراعة ، ويقوم المستوطن وأسرته بالعمل بمكافأة بعضها مالى وبعضها من المحصول . وفى هذه الفترة تستولى الشركة على المحصول ويضاف لحساب المستوطن ، وفى نهاية السنوات الخمس تنقطع الإعانة ويقتسم المستوطن والشركة النفقات ويدفع المستوطن حصته سنوياً ، ومنذ السنة التاسعة يطلب المستوطن شراء

---

(١) Italian Colonization P.P. 7—8

المزرعة على أن يدفع الثمن بشروط خاصة ولمدة أقصاها ثلاثون عاما ، ويشمل الشراء المبانى وموارد المياه ... الخ . إلى جانب الأرض ، وينزل من هذه القيمة ما تدفعه إدارة الهجرة والاستعمار وحكومة المستعمرة وتباع الأرض الهكتار بخمسين ليرة . وقد قدر ثمن المزرعة بمبلغ ١٦٨٫٠٠٠ ليرة يخصم منها ٣٣ ٪ قيمة ما تدفعه الدولة(١) .

وواضح من هذه الخطة أن ملكية الفلاحين للأراضى ملكية وهمية وكان المالك الحقيقى هو هذه المؤسسة المالية الضخمة ذات السلطات الفاشية الواسعة ولم يكن الفلاح الايطالى الذى نقل من بلاده إلى أراض جدبة محرقة الا أجيرا مستغلا اسوأ استغلال وأتعسه . وهكذا قام مشروع ايطاليا لتعمير ليبيا على جريمتين . الأولى ، القضاء على الفلاح العربى ، والثانية ، تشريد الفلاح الايطالى واستغلاله (٢) .

وفى أول الأمر اختارت الشركة أو المؤسسة منطقة شحات وفى ذلك يقول السنيور رازا رئيس الشركة « أمامنا مائة وخمسون ألف هكتار لنعدها للزراعة ومائة ألف أخرى للزراعة الخفيفة أو المراعى ... وذلك استعمار ذو طابع شعبى فى الواقع لا لأنه يسد حاجتنا إلى توسيع ايطاليا بل لأنه أنجح طريقة لتحويل الأساس الزراعى ببرقة . ولذلك اختارت الشركة أن تركز اهتمامها فى منطقة شحات التى ان لم تكن أصلح المناطق للزراعة فهى أقدرها على الإنتاج السريع على يد مستعمرين جدد (٣) » .

وكان ما تسيطر عليه الشركة عام ١٩٣٣ فى هذه المنطقة ١٠٠٠ هكتار فى

---

(١) Italian Colonizatien P.9

(٢) حقائق الكفاح الوطنى ص ٢٨

(٣) Italian Colonization P. 8

المرج ، ٤٥٠٠٠ هكتار فى غريب ، ٤٠٠٠ هكتار فى البيضاء ، ٣٠٠٠٠ هكتار فى ترت (المجموع ٨٠٠٠٠ هكتار) ، ولم تتقدم أعمال الشركة كثيراً بين عامى ١٩٣٣ — ١٩٣٨ ، ففى نهاية ١٩٣٧ استقرت ٤٥٠ أسرة فى المزارع ، وفى العام التالى ١٩٣٨ — ١٩٣٩ وحده استقر أكثر من ثلاثة أضعاف هذا العدد ، ففى نوفمبر ١٩٣٨ تم نقل أول فوج كبير للهجرة وهو ٢٠٠٠٠ طليانى (١٨٠٠ أسرة) تقيم فى عشرة مراكز من طرابلس وبرقة . وكانت الخطة تقضى فى العام التالى بنقل ٢٠٠٠٠ طليانى أخرين (٢٠٠٠ أسرة) وقد وصل منهم فى نوفمبر ١٩٣٩ إلى برقة ١٣٥ أسرة وإلى طرابلس ٨٦٠ أسرة . وكان قيام الحرب العالمية الثانية ضربة قاضية على هذه الخطط الاستعمارية الغاشمة .

* * *

وكانت خاتمة المناورات الاستعمارية الإيطالية فى ليبيا ، المهزلة التى مثلها موسولينى فى زيارته ليبيا لافتتاح الطريق الساحلى عام ١٩٣٧ . فقد مهد لهذه الزيارة بأنواع من العسف والظلم ، « وأجبرت القبائل التى تسكن جنوبى القطر على النزوح بحيواناتها وأهلها إلى السواحل والسكنى قرب الطريق التى سيعبرها موسولينى ، وقد تكبد الأهالى من جراء هذه العمليات الخسائر الفادحة فى حيواناتهم كما أرغم بالبو الأعيان على تقديم هدية إلى موسولينى لترمز إلى الوفاء والإخلاص نحو دولة إيطاليا ، واختار أن تكون هذه الهدية سيفاً أطلق عليه سيف الإسلام ، وأكره الأهالى على تقديم الهدية ومناداة موسولينى بحامى الإسلام [١] .

وقد وقف موسولينى على صهوة جواد أبيض فوق كومة من الرمل الاحمر

---

(١) الفظائع ص ١٠٠

أعدت خصيصاً للخطابة فى ميدان السراى الحمراء ، وكان مما قاله « إن إيطاليا سوف تمنح العرب قوانين جديدة تبرهن بها للعالم أجمع على عدالة روما » وختم خطابه بقوله « إنى قليل الوعود ولكنى إذا وعدت وعداً فلن أخلفه » ولم تلبث هذه الوعود أن تمخضت عن قانون الجنسية الخاص عام ١٩٣٨ الذى بمقتضاه « أثقل كاهل الليبى بواجبات دون أن يخول له حقوق المساواة التى وعد بها ، وقد كان من نتائج هذا القانون فرض الخدمة العسكرية الإجبارية العامة على كل ليبى يتراوح عمره بين الثامنة عشرة والأربعين عاما ، كما أنه غير نظام البلديات فبدلا من أن كان عمد البلديات فى القرى والمدن من العرب أصبح بمقتضى هذا القانون لا يمكن لأى عربى أن يكون عميداً لبلدية فى مدينة أو قرية فيها إيطالى واحد . وبطبيعة الحال كان الإيطاليون منتشرين فى كل شبر من أراضى ليبيا وترتب على هذا القانون أن حرم جميع الليبيين من مناصب كانت تسند إليهم أحيانا » (١) وفى هذا الصدد قال بالبو « لن يكون فى ليبيا حكام ومحكومون بل كاثوليك طليان ومسلمون طليان يجمعهم هدف واحد هو أن يكونوا عناصر بنائية فى نظام عظيم هو الامبراطورية الفاشية(٢) ».

ولم تقف إيطاليا عند إصدار قانون الجنسية بل تعدت ذلك إلى تطبيق قانون حماية العنصرية فى ليبيا على نحو ما كانت تفعله النازية ، وكان ذلك القانون على ماجاء فى تصريح وزير خارجية إيطاليا فى يناير سنة ١٩٣٩ يشمل أفراد الشعب الإيطالى وإن لم يسكنوا إيطاليا أو كانوا قد تجنسوا بجنسية أخرى أما الأجانب المتجنسون بالجنسية الايطالية فيعدون أجانب . ومعنى هذا كما هو واضح إخراج العرب الذين أرغموا إرغاماً على التجنس بالجنسية

---

١) الفظائع ص ١٠٠ .

(٢) Shoenfield P. 112

الايطالية من عداد المواطنين الإيطاليين وحرمانهم مما يكون للمواطن الايطالى من مزايا(١) » .

وكان عمل إيطاليا هذا حلقة فى سلسلة الاستعدادات الهائلة التى قامت بها فى ليبيا قبيل الحرب العالمية الثانية ، كما كان من حلقاتها الدعاية الإيطالية العريضة فى الدول العربية عن طريق النشر والمدارس والمنظمات الفاشية ، والتقرب إليها كزيارة بالبو لمصر وما أحيطت به من مظاهر الحفاوة مثلا وقد انتهى ذلك كله باتحياز ايطاليا إلى جانب ألمانيا النازية فى ١٠ يونية سنة ١٩٤٠ ، واعتدائها الإجرامى على ألبانيا ومصر ، وانتقال قضية ليبيا إلى مرحلة جديدة فى طريق الحرية .

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ٣٦٠ .

الباب الثالث

« ليبيا فى مفترق الطرق »

الفصل الأول

الليبيون والحرب العالمية الثانية

(١)

كان من أثر الطغيان الفاشى فى ليبيا أن انتقل نشاط الليبيين السياسى إلى مهاجرهم فى البلاد العربية المختلفة . وكان هذا النشاط على ضعفه وعدم مواتاة الأحوال لنموه بعيد الأثر فى الاحتفاظ بالروح المعنوية العالية بين المهاجرين الليبيين ، ونستطيع أن نقول إن النشاط السياسى الليبى فى المهاجرين كان يتحلق حول السيد محمد إدريس السنوسى والسيد أحمد السويحلى فى مصر والسيد بشير السعداوى فى سورية .

كان نزول الأمير محمد إدريس السنوسى بالقاهرة فى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٣ والجهاد ضد الطليان متصل الأسباب ، والكلمة بين الطرابلسيين والبرقاويين مجتمعة بعد بيعة سرت ، وكان الأمير السنوسى معقد الرجاء فى تزعم حركة المقاومة والمضى بالبلاد فى طريق الاستقلال . على أننا نلاحظ أن الأمير حين نزل بمصر غلبت عليه صفة السكوت ، ومهما يقل عن المحاولات الايطالية لدى بريطانيا ومصر فى الحد من نشاطه السياسى إلا أن ذلك ما كان يعنى الركون إلى الموادعة والمسالمة فى حين يقتضى الموقف التضحية والمقاومة .

وقد اجتمع حول الأمير السنوسى جمهرة من المهاجرين الليبيين وخاصة من كان منهم يتولونه ويستمدون منه العون والنصيحة ، وقد ذكر الدكتور فؤاد شكرى عن نشاط السيد فى هذه الفترة اتصاله ببعض ذوى الرأى من المصريين كالأمير عمر طوسون الذى تزعم حركة الاكتتاب لمعاونة ليبيا ، وموقفه من تنازل حكومة زيور باشا عن واحة جغبوب ومنح الجنسية المصرية للعرب القاطنين فى المنطقة الواقعة فى العشرة الكيلومترات شمال السلوم وفى الجغبوب . وقد نشر الأمير فى ذلك عدة مقالات فى جريدة المقطم فى أغسطس وأكتوبر سنة ١٩٢٦ تمسك فيها بحق السنوسية بعد اتفاق ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥ والعفو الصادر فى أكتوبر سنة ١٩٢٦ فى اختيار الجنسية المصرية باعتبار أنهم فى منطقة مصرية احتلتها ايطاليا فأصبح لأهلها حسب الاتفاقات الدولية حق اختيار الجنسية التى يريدونها ، وأن العفو مسألة ثانوية لأن السنوسية يهتمون قبل كل شىء بالوصول إلى حقهم فى اختيار الجنسية وقد اختاروا الجنسية المصرية (١).

وكان من نشاط السيد ادريس أيضاً أن حاول الاتصال بالانجليز بعد قدومه إلى مصر ووسط فى ذلك الأستاذ عبد الرحمن عزام فاتصل هذا بالميجر تويدى وأوضح له حقيقة الموقف فى برقة ، ولكن الانجليز رفضوا أية مساعدة وكان هذا واضحاً فقد وقف الانجليز منذ حين فى جانب الطليان وكان الالتجاء إليهم عبثا ، واتصل الأمير كذلك بوزير إيطاليا المفوض فى مصر فى شتاء سنة ١٩٢٩ ولم يؤد الاتصال إلى شىء فقد كان من جانب الطليان كسبا للوقت ريثما يتم الاستعدادات النهائية للانقضاض على قوات المختار ، وكان من جانب الأمير تعلقا بأمل كاذب . ولا نجد بعد ذلك للأمير السنوسى فى مصر مظاهر للنشاط السياسى

---

(١) جريدة المقطم ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٦ — السنوسية دين ودولة ص ٣٧٠ —

واضحة وبرغم ماأثاره مقتل الشهيد عمر المختار من أسى عميق فى البلاد العربية فلا يصل إلينا شىء عن الأمير فى هذا الوقت .

ولا نحتاج أن نقول إن مركز النشاط السياسى حول الأمير السنوسى كان محوره حق الأمير السنوسى فى إمارة برقة وطرابلس أيضا على أساس بيعة قصر سرت فى عام ١٩٢٢ وكان هذا المركز يتصل بجماعة الليبيين المهاجرين فى سوريا . وفى عام ١٩٢٨ تأسست فى دمشق «جمعية الدفاع الطرابلسى البرقاوى بالشام» وكان السيد بشير السعداوى رئيسا لها وكان فيها جماعة من المجاهدين كالسادة عمر فائق شنيب وفوزى نقاش وكامل عياد ومنصور قدارة وخليفة شعبان وغيرهم ، وقد أخذت هذه الجمعية تعد البحوث وتكشف عن أعمال الطليان وفظائعهم ، وفى عام ١٩٢٩ وضعت الجمعية الميثاق الوطنى المشهور وهذا نصه : —

١ — تأليف حكومة وطنية ذات سيادة قومية لطرابلس — برقة يرأسها زعيم مسلم تختاره الأمة .

٢ — دعوة جمعية تأسيسية لسن دستور للبلاد .

٣ — انتخاب الأمة مجلسا حائزاً على الصلاحية التى يخولها إياه الدستور

٤ — اعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية فى دواوين الحكومة والتعليم .

٥ — المحافظة على شعائر الدين الإسلامى وتقاليد القطر فى جميع أرجائه

٦ — العناية بالأوقاف وإدارتها من قبل لجنة إسلامية .

٧ — العفو العام عن جميع المشتغلين بالسياسة داخل القطر وخارجه .

٨ — تنظم العلاقة بين الأمة الطرابلسية البرقاوية والدولة الإيطالية بمعاهدة يعقدها الطرفان ويصدقها المجلس النيابى[١] .

---

(١) أمين سعيد — ج ٣ — ص ٣٥٤ — ٣٥٥

وقد نشرت اللجنة التنفيذية للجاليات الطرابلسية البرقاوية نص الميثاق وقدمت له بنداء خاطبت فيه مواطنيها فى الأقطار العربية جاء فيه : -

« أيها الاخوان الأعزاء ، إن الواجب يقضى عليكم أن تعملوا لخير بلادكم وذلك بتنظيم صفوفكم وجمع كلمتكم وأن تؤلفوا فى كل قطر تسكنونه جمعية تلم شعثكم وتجمع شملكم وأن توطنوا أنفسكم على التضحية والقيام بالواجب الوطنى . . فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا وارفعوا أصواتكم بالشكوى مما تلاقيه أمتكم البائسة من مظالم الإيطاليين واملئوا الصحف بالمقالات والفضاء بالاحتجاجات وانشروا النشرات وقفوا للحوادث بالمرصاد وانتهزوا الفرص وفكروا فيما يعود على وطنكم بالنفع ، فالفكرة الناضجة تكون الأمم ، وتبعث فيها روح اليقظة والانتباه ، ثم ربوا نشأكم على حب الوطن والحرية والاستقلال ، أرضعوهم هذه المبادىء مع اللبان وانقشوها فى صدورهم منذ عهد الصبا ونعومة الأظفار ، علموهم مناقب السلف الصالح وأبطال التاريخ والفتح الاسلامى فإنها تبث فى نفوسهم علو الهمة وروح الشهامة والمبادىء الوطنية . وليكن شعاركم الاستقلال وتخليص وطنكم من الأغلال . وفكروا فى الوسائل التى تقربكم من هذه الغاية الشريفة . فإن الدولة الايطالية مهما اشتد بها الصلف والغرور إذا رأتنا أمامها امة ناهضة منتشرة فى الآفاق واقفة لها بالمرصاد تحارب الظلم والاستبداد ولا تدين لسنن الاستعمار والاستعباد لا بد أن تذعن لمطالبنا الحقة ولميثاقنا القومى الذى عاهدنا الله على تحقيقه ببذل النفس والنفيس والله مع الصابرين (١) .

وواضح من الميثاق القومى أنه مستمد من القانونين الأساسيين ومن معاهدة الرجمة ومن اتفاق سرت . وقد كانت الجمعية فى دمشق تعمل تحت

---

(١) السنوسية — ص ٣٧٤

رعاية السيد إدريس وتلقى منه العون . وقد استطاعت أن تتصل بالأمير شكيب أرسلان الداعية الكبير للرابطة الاسلامية فأخذ يكتب المقالات عن قضية طرابلس واستعمار ايطاليا . كما أنشأت لها فرعا فى تونس عام ١٩٣٠ أسسه المهاجرون إلى تلك الديار برياسة السيد محمد عريقب افندى الزليطنى واتخذ الفرع أيضاً جانب السيد إدريس وتوجيهه .(١)

* * *

وكانت الطائفة الثانية من المهاجرين الليبيين تعمل فى مصر تحت إشراف السيد أحمد السويحلى . وكان نشاطها محدوداً بحكم الظروف بحده نفوذ ايطاليا فى السياسة العالمية وفى مصر وبحده أيضاً رغبة المهاجرين فى احترام علاقات مصر الدولية . كانت هذه الجماعة تعمل فى السر وتتخذ النشر سبيلا للجهاد وإطلاع الرأى العام على فظائع الاستعمار الايطالى فى طرابلس ، وكفاح الطرابلسيين فى سبيل حقوقهم المشروعة ، وطبعت هذه الجماعة عدة نشرات منها « نداء إلى العالم الاسلامى » و « فجيعة العرب فى طرابلس الغرب » و « استنهاض » . وقامت بتوزيعها فى البلاد العربية وفى ليبيا ذاتها . وأخذت تترقب الفرص حتى تتاح الظروف المواتية للانتقال بالجهاد إلى نطاق أوسع .

وإذا تصفحنا « الاستنهاض » وجدناه موجها إلى عموم الطرابلسيين فى جميع الأقطار . يذكر ما أصاب البلاد من خمود وما فى البلاد العربية الأخرى من نهضة مباركة ، ويدعو الطرابلسيين إلى إسماع صوتهم ، ويذكر أن الداء هو الفرقة والدواء هو الاتفاق « وأقوى سلاح تحاربون به لنيل حقوقكم هو الاتفاق ومن الأسف أن يجد الخلاف فرجة يتسرب منها إلى صفوفكم

---

(١) نفس المصدر — ٣٧٥

وأنتم فى هذه المحنة الفظيعة فكونوا يداً واحدة ولا تخافوا فى الحق أحداً فالله هو الحق وهو ينصر الحق » (١) . وقد كانت هذه الفرقة من عمل الاستعمار الذى اغتصب حقوق العرب وغير معالم البلاد وساق الطرابلسيين إلى مجازر الحبشة وأسبانيا . ولكن السكوت هو الذى يجرئ الطليان على التمادى فى سياستهم الغاشمة ، والواجب يقضى بالمقاومة السلبية والشكاية والاستنكار ويقع أكثر العبء فيه على أهل العلم والمنتسبين إليه . فعليهم أن يطالبوا بحقوق البلاد ولهم فى البلاد العربية الأخرى كمصر والعراق والشام أسوة . وينبغى أن يشرحوا حالة البلاد الفعلية ليقاوموا الدعاية الايطالية الكاذبة التى تهدف إلى تضليل الرأى العام الاسلامى « إن إخوانكم فى طرابلس يتمنون الموت ولا يجدونه من شدة ما يقاسونه من الإهانة . . . ويجب على الطرابلسيين أن يخرجوا من هذه العزلة وينادوا بقضيتهم فى جميع أقطار الأرض ويشيعوا فى جميع العالم أن الاستعمار الإيطالى أذاقهم من استبداده مالم يذقه بشر ، ويجب عليهم أن ينشروا فى الجرائد ما يعلمونه من الحقائق المؤلمة فى بلادهم . ويجب على رؤسائنا الموجودين الآن بمصر والشام وتونس وعلى البارونى باشا بمسقط أن يسعوا فى جمع كلمتهم ، ويوجهوا جهودهم إلى تحسين حال الطرابلسيين بقدر الطاقة وأن يستنهضوا هممهم رؤساء العرب وأعيان المسلمين إلى انقاذ بلادهم من خطر الاستعمار الإيطالى الذى يهدد الشعب العربى بالفناء من طرابلس الغرب . أما أعيان طرابلس الموجودون فيها فقد تركوا الحبل على الغارب لإيطاليا تفعل ما تشاء بدون أن يعارضوا فى شىء . وإنا نستنهض هممهم ونلفت نظرهم إلى هذا الخطر الذى يتهدد الجنس العربى كله فى طرابلس (٢) » ، وفى ختام الاستنهاض كلمة إلى شباب الليتوريو العربى :

---

(١) ص ٤
(٢) ص ١١

« يا شباب اللبتوريو أطرابلسى أنت ، نعم أنت طرابلسى حقاً . نقول هذا بالنيابة عنك لما نعهده فيك من حب وطنك . إذا فلم تحترق قلوبنا حينما نرى صورتك فى الجرائد على ذلك النشاط الباهر والنظام البديع ... الحق أن قلوبنا تحترق لأنا نعلم أن ايطاليا لم تعدك لتدافع عن وطنك طرابلس وأمتك العربية ودينك الإسلام ، وإنما أعدتك لتفتح بك الحبشة وأسبانيا ولتزج بك فى نار الحرب الأوربية المقبلة دفاعا عن روما . لهذا ولأقل منه تحترق قلوب أمثالنا على أمثالكم من الأبناء البررة الذين كنا نود أن يكون دفاعهم عن أمتهم طرابلس فقط ولخير أمتهم العربية فقط .

يا شباب الليتوريو . الشباب العربى كله الآن فى جميع الأقطار العربية يعمل لإعلاء شأن الأمة العربية ولإنقاذ الوطن العربى من يد الغاصب . فهل اعتزمتم أن تعملوا لما يعمل له الشباب العربى فى الأقطار العربية ، أجيبوا ونرجو أن يكون جوابكم نعم ... ولأن يموت الإنسان ممزقاً على كل ربوة من الأرض شلو من اشلائه خير عند الله وعند الناس من أن يخرج عن جنسيته ودينه ، واذكروا أنكم طرابلسيون قبل كل شىء . »[1]

هذا مثل من جهاد بعض مهاجرى ليبيا فى مصر وهو كما رأينا دعوة صادقة إلى نبذ الخلاف والعمل لمصلحة الوطن ، وواضح أنها لم تتقيد بشىء مما تقيدت به الشعبة الأخرى التى كانت تعمل بتوجيه السيد إدريس السنوسى . كان توجيه أحمد بك السويحلى امتداداً للكفاح الوطنى الطرابلسى الذى يقدم الاستقلال على ماعداه ويهتدى بهدى الجمهورية الطرابلسية التى أقام الشعب

---

(١) « استنهاض » ص ١٢ و١٣

أركانها فى سنة ١٩١٨ ، وكانت هذه الجماعة من المجاهدين نواة اللجنة الطرابلسية التى تألفت فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ .

وكان من مظاهر نشاطها أيضاً إنشاء « نادى طرابلس الغرب الثقافى » بالقاهرة وقد تأسس فى أواخر عام ١٩٤٣ على يد جماعة من الشباب الطرابلسى خريجى الأزهر الشريف برياسة السيد عمر الغويلى وجمعت له التبرعات من أعيان الطرابلسيين المهاجرين بمصر وقد قام النادى ينازع التيارات السياسية الانجليزية التى قام بها مكتب السنوسى ، فأعد بعض المذكرات لبيان حالة طرابلس للهيئات الدولية وتنوير الشعب الطرابلسى فى الداخل . ومنذ قامت اللجنة الطرابلسية اقتصر النادى على النشاط الثقافى .

(٢)

لم يكن بين الليبيين خلاف فى العمل على المطالبة بالاستقلال ، ولكنهم مع ذلك لم يتألفوا فى وحدة شاملة تجمع الصفوف ويرجع هذا إلى تمسك السنوسية بأمارة السيد إدريس بدون قيد أو شرط ، فهم يرون أن تكون الوحدة بين طرابلس وبرقة على أساس هذه الأمارة وينبغى البت فى ذلك أولا قبل الاتفاق على شىء آخر . أما جماعة الطرابلسيين فيرون أن الواجب يقضى بالعمل على استقلال البلاد جميعها أولا ثم يترك للشعب الطرابلسى البرقاوى الرأى الأخير فى تقرير نظام الحكم ، وقد كان هذا الخلاف أساس تباعد وجهتى النظر بين الطرابلسيين والسنوسيين .

وقد أخذ دعاة السنوسية يروجون لفكرتهم ويحاولون أن يقنعوا الليبيين بمبايعة السيد إدريس بالأمارة مما كان له أثر سيىء فى نفوس من لا يرون رأيهم ، وقد حاول جماعة من كبار الليبيين التوفيق بين الفريقين

حرصاً على الوحدة واتصلوا بالسيد إدريس فى ذلك ، كما فعل السيد أحمد السويحلى والسيد احمد المريض . والواقع أن القضية الليبية كانت أحوج ما تكون إلى اجتماع الشمل .

فقد بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تتجمع وكان على الليبيين أن يتدبروا أمرهم لأن بلادهم ستكون منطقة من مناطق الصراع بين الفاشيـــة والديموقراطية .

وحين أعلنت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ لاحت فرصة جديدة لليبيين لاستئناف الكفاح ضد الطليان ، ورأت القوات الديموقراطية أن الليبيين عنصر صالح يمكن جذبه فى حشد القوى ضد قوات المحور والاستعداد لهجوم إيطالى متوقع ، على أن هذه المهمة تركت لبريطانيا من حيث كان ميدان شمالى أفريقيا يدخل فى نطاق العمليات البريطانية ، وقد تناولت بريطانيا الأمر على طريقتها الاستعمارية التقليدية بعيدة عن روح التضامن العالمى والسلام المشترك التى سادت أيام الحرب . وظهرت آثار هذه السياسة الاستعمارية ونتائجها السيئة فيما بعد كما سنرى .

وقد تجددت المساعى لتوحيد الصفوف بين الليبيين فاتصل السيد احمد بك المريض بالسيد ادريس السنوسى واتفق على عقد اجتماع بين الطرابلسيين والبرقاويين فى دار السيد ادريس فى ضاحية فيكتوريا بالاسكندرية يوم ١٩٣٩/١٠/١٩ وقد عقد الاجتماع فى موعده وحضره عن الطرابلسيين احمد بك السويحلى واحمد بك المريض وعون بك سوف والشيخ توفيق الغريانى والسيد محمد العيساوى أبو خنجر ، وعن البرقاويين الشيخ عبد السلام الكزه والشيخ عبد الحميد العبار وغيرهما من أعيان برقة . وقد دام الاجتماع والتشاور ثلاثة

أيام وفى يوم ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩ اتفق المجتمعون على أن ينتخبوا لجنة برئاسة السيد ادريس يوكل إليها النظر فى مصالح الطرابلسيين والبرقاويين ندب الطرابلسيون لها السيد احمد السويحلى والسيد احمد المريض وترك للأمير اختيار ممثلى برقه ، وسجلت نتيجة الاجتماع فى محضر هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . قد اجتمع زعماء ومشايخ الجالية الطرابلسية البرقاوية المهاجرون بالديار المصرية اليوم السادس من شهر رمضان سنة ١٣٥٨ بالاسكندرية وتشاوروا فى حالتهم الاستقبالية ، وقر قرارهم على انتخاب من يمثلهم فى كل الأمور ويعرب عن آرائهم ، وبذلك وضعوا ثقتهم فى سمو الأمير محمد إدريس المهدى السنوسى الذى يمثلهم تمثيلا حقيقياً بماله من المكانة الرفيعة فى نفوسهم حيث يرونه أحسن قدوة يقتدى بها وقد قبل منهم ذلك على أن تكون هيئة منتخبة منهم شورية مربوطة به ومربوط بها لتكون الأداة المبلغة والمعبرة عن منتخبيها وهى التى تمثل جميعهم تمثيلا صحيحاً وأن يعين لها وكيلا له يقوم مقامه فى حالة الغياب والمرض ويكون من أفراد الهيئة فى حالة حضوره . وللهيئة الحق فى تثبيت هذا الوكيل أو رفضه بأغلبية الأصوات .

وعليه حرر هذا بتوقيع رؤساء القبائل الطرابلسية والبرقاوية ، والمولى سبحانه وتعالى يوفق الجميع فيما يحبه ويرضاه . »[1]

وقد وقع على هذا المحضر ٥١ شيخا من مشايخ القبائل الطرابلسية والبرقاوية

---

(١) السنوسية دين ودولة — ص ٣٧٩ . الكتاب الأبيض ص — ٢٦ .

كان من بينهم صالح الأطيوش وعبد الحميد العبار وعون محمد سوف واحمد السويحلى وعبد الحميد أبو مكارى ومحمد توفيق الغريانى وابراهيم احمد السنوسى وغيرهم .

وواضح أن هذا الاتفاق كان يعنى أمرين :

أولا : الثقة بالسيد إدريس .

ثانياً : الشورى والارتباط المتبادل بين الأمير وبين المجلس المنتخب .

على أن هذا الاتفاق لم يلبث أن ظهر وراءه التياران اللذان سبق أن عرضنا لهما ، وقد مضى السنوسيون وفسروا الاتفاق على أنه تفويض كامل للأمير ، ووقف الطرابلسيون عند نص الاتفاق وعدم التقيد بسياسة الأمير ما لم تقم على التشاور معهم . وقد ظهر أثر الاختلاف فى تفسير الاتفاق فيما بعد حين أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء فى يونية سنة ١٩٤٠ ، فقد اتصل الانجليز بحمد الباسل باشا يوسطونه بينهم وبين الطرابلسيين لتجنيد فصائل منهم تشترك مع القوات البريطانية ، واتصل الباسل باشا بأحمد بك السويحلى وأحمد بك المريض وعون بك سوف واجتمعوا فى منزله بمندوبى الإنجليز ، ولما تذاكروا فى الموضوع كان من رأى الطرابلسيين أن تكون مساعدتهم للانجليز فى مقابل حقوق تنالها طرابلس فى المستقبل وتكتب بذلك شروط يتعهد الانجليز بتنفيذها ، وكان من رأى المندوب الانجليزى أن تكون المساعدة فى مقابل أجر يأخذه الجندى لا أكثر فرفض الطرابلسيون هذا الاقتراح وأبدى سعادة الباسل باشا للمندوب الانجليزى استياءه من هذا الأمر ووقف الأمر هذا الحد(١) » .

---

١) الكتاب الأبيض — ص ٢٧

وأسفرت اتصالات بريطانيا بالسنوسية - من جانب آخر - عن اتفاقهم مع السيد صفى الدين على أن يجند لهم الطرابلسيين والبرقاويين وعلى أن تكون أجرة الجندى فى الشهر ١٥٠ قرشاً ، وشرع السيد صفى الدين فى الطواف على المهاجرين يرغبهم فى الانضمام إلى الجيش الانجليزى فلم يستجب لدعوته غير قليل من الفقراء(١) .

وجرت مباحثات بين القيادة العامة البريطانية فى القاهرة وبين السيد إدريس أدت إلى موافقة الانجليز أن يبدأ فوراً ، تكوين فصائل من القبائل السنوسية العربية لاسترداد حريتهم واستخلاص بلادهم من أيدى الايطاليين الظلمة وإعادة الاستقلال مرة أخرى(٢) ، ووجه الأمير الدعوة إلى بعض الزعماء للبحث معهم فيما يمكنهم أن يقدموه إلى بريطانيا من الرجال الذين يعتمد عليهم، وكانت الدعوة موجهة باسمه واسم الكولونيل برومله بك Bromlow الانجليزى الذى عين قائداً للفصائل السنوسية وكان يشغل منصب محافظ الصحراء الغربية فى الحكومة المصرية قبل الحرب . وقد ورد فى الكتاب الأبيض الذى نشرته اللجنة الطرابلسية فى أبريل عام ١٩٤٩ نص الدعوة التى وجهت إلى أحمد بك السويحلى وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

حضرة الفاضل الشيخ أحمد الشتيوى السويحلى حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فنتمنى لكم أن تكونوا على أحسن

---

(١) نفس المصدر — ص ٢٨

(٢) أشار إليها المستر أنتونى ايدن وزير الخارجية البريطانية فى تصريحه بمجلس العموم فى ٨ يناير سنة ١٩٤٢ . ومنه أيضاً « إني أصرح بأن السيد إدريس المهدى السنوسى اتصل بالهيئات المسئولة بمصر فى خلال شهر من انهيار فرنسا فى وقت لم يكن الموقف العسكرى في أفريقيا ملائماً لنا على الإطلاق » (السنوسية دين ودولة ص٣٨٧) .

حال ، ثم نحيطكم علماً بأن الحكومة البريطانية قد صممت على أن تبتدىء فوراً فى تكوين فصائل من القبائل السنوسية العربية لاسترداد حرياتهم واستخلاص بلادهم من أيدى الإيطاليين الظلمة وإعادة الاستقلال إليهم مرة أخرى . والمرجو منكم أن تحضروا إلى القاهرة فى يوم الخميس ٨ أغسطس سنة ١٩٤٠ فى رقم ٦ شارع النباتات ـ جاردن ستى بالقاهرة لأجل المباحثة فى شروط الخدمة المقترحة ولنعلم منكم عدد الرجال الذين يمكنكم أن تعتمدوا عليهم فى تنفيذ هذا المشروع ، مع ملاحظة أن مصاريفكم ستكون على حساب الحكومة البريطانية العظمى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

برواملو محمد إدريس المهدى السنوسى

ختم

تحريراً فى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٠

المشروع المذكور أعلاه بموافقة السلطات البريطانية . » (١)

ويتضح من نص هذه الدعوة الطريق الذى اختاره السيد إدريس ، فهو يوحى باتفاق سابق بين الأمير وبريطانيا وذلك دون رجوع إلى المجلس الاستشارى الذى نص اجتماع فكتوريا على إنشائه ، وقد اقتصر الغرض من الدعوة على المناقشة فى تفصيلات المعاونة التى تقدم إلى بريطانيا وفى الدعوة عبارة موهمة « فالقبائل السنوسية العربية » لا تعنى الليبيين جميعاً ، والنص عليها إيهام بأن سلطان السنوسية ينبسط على طرابلس وبرقة جميعاً .

وقد عقد الاجتماع فى منزل أعدته السلطات البريطانية خصيصا لهذا الغرض ، وكان ذلك قبل الموعد المحدد بيوم لسبب لا ندريه ، وحضره جماعة من

---

(١) الكتاب الأبيض ـ ص ٢٩ .

الموالين للسنوسية ، أطلق عليهم اسم « الجمعية الوطنية الليبية » منهم صالح الأطيوش وعبد الجليل سيف النصر وعبد الحميد العبار وعبد الحميد أبو مكارى والهادى عبد الرحمن وعمر فائق شنيب ووصلوا فى يوم ٩ أغسطس إلى المقررات الآتية :

بسم الله وحده

عقدت الجمعية الوطنية الطرابلسية البرقاوية المكونة من الرؤساء والزعماء التى لها الحق وحدها فى تقرير مصير الوطن ، جلساتها يوم الخميس والجمعة ٨ و ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ ، وبعد البحث والتفكير فى المستقبل ودرس الحالة والموقف الحاضر والنظر للفائدة السامية التى ضحت فى سبيلها بدماء الشهداء وهاجرت من أجلها بسبب الظلم والاضطهاد لها قررت بالإجماع ما يلى : —

١ — وضع الثقة فى دولة بريطانيا العظمى التى مدت يد المساعدة لتخليص الوطن الطرابلسى البرقاوى من براثن الاستعمار الإيطالى الغاشم .

٢ — إعلان الإمارة السنوسية والثقة التامة بالأمير محمد إدريس السنوسى المهدى المبايع له بالإمارة على القطرين .

٣ — تعيين هيئة تمثل القطرين طرابلس وبرقة وتكوين مجلس شورى للأمير المشار إليه .

٤ — خوض غمار الحرب ضد إيطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية .

٥ — تعيين حكومة سنوسية تدير الشئون اللازمة فى الوقت الحاضر مؤقتاً .

٦ — تعيين هيئة تجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية .

٧ — التوسل لدى الحكومة البريطانية بواسطة الأمير المشار إليه بطلب المخصصات اللازمة للتجنيد ولإدارة الحكومة وتعيين ميزانية خاصة ونظام

مؤقت مستمد من الميثاق الوطنى حسب عوائد وتقاليد العرب .

٨ — تفويض سمو الأمير بمراجعة الدولة البريطانية لعقد الاتفاقات والمعاهدات السياسية والمالية والحربية التى توفى هـذه الغاية وتضمن للوطن حريته واستقلاله .

تلى هذا القرار المحتوى على ثمان مواد بعد كتابته ووقع عليه من قبلنا وعاهدنا الله على تنفيذه والعمل بموجبه تحت رعاية أميرنا المشار إليه .

تحريراً فى ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠»[١].

ولا حاجة بنا إلى الوقوف عند هذه القرارات فمعناها الصريح الواضح انحياز السنوسية إلى جانب بريطانيا دون قيد أو شرط ، فهى إعلان للثقة ببريطانيا دون مقابل وهى اعتماد تام على بريطانيا فى كل شىء ، وقد عرضت هذه القرارات على رجلين من كبار زعماء طرابلس هما السيد احمد السويحلى والطاهر المريض فامتنعا عن التوقيع عليها ، ونستطيع بذلك أن ندرك حق الطرابلسيين فى عدم التقيد بما جاء فى هذه « الشروط » بل فى إنكارها . وهذا هو الموقف الذى اتخذوه منذ ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ . وفى كتاب الدكتور فؤاد شكرى نص صريح على عدم تقيد بريطانيا بشىء ، إن كان الأمر يحتاج إلى نص ، قال « ثم انتدب سمو الأمير بعد ذلك خمسة من الزعماء الحاضرين لتقديم القرارات التى وصلوا إليهـــا إلى الجنرال ويلسون ، هم صالح باشا الأطيوش وعبد الجليل سيف النصر وعمر فائق شنيب وعبد الحميد العبار وسعيد الشلبى ، فقدم هؤلاء هذه القرارات إلى الجنرال كلايتون حتى يسلمها بدوره إلى الجنرال ويلسون ، بيد أنه لما كانت صعوبة المواصلات وقتذاك

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ٣٨١ — الكتاب الأبيض ص ٣١/٣٢ — وليس فى نهاية الوثيقة توقيعات .

يحول دون وصول جواب وزارة الخارجية البريطانية بسرعة فقد كان رأى الجنرال ويلسن المبادرة بتشكيل الجيش السنوسى . »[١]

ولا نعرف رداً لوزارة الخارجية البريطانية على هذه « القرارات » حتى بعد أن تيسرت سبل المواصلات .

* * *

هذا مبدأ الخلاف الذى لا يزال قائماً حتى اليوم، وقد حاول الطرابلسيون غير مرة الاتفاق مع السيد إدريس وعاونهم فى ذلك بعض أعيان برقه ، فاجتمعوا فى ١٩٤١/١/٣ وكتبوا إليه بما آل إليه أمر الوحدة من التصدع واقترحوا عليه العودة إلى اتفاق فيكتوريا وهذا نص ما كتبوه .

« حضرة صاحب السيادة الحبيب النسيب محمد إدريس المهدى السنوسى
حفظه الله ورعاه

يتشرف الموقعون على هذا بأن يعرضوا على سيادتكم الآتى : بما أن الحالة التى سيئول إليها مصير البلاد تستدعى التضافر والتفاهم بين سيادتكم وبين أعيان البلاد الطرابلسيين والبرقاويين المهاجرين بالقطر المصرى تتشرف بأن نلتمس من سيادتكم اجتماع المجلس الاستشارى التنفيذى المنصوص عنه فى المادة الثالثة من محضر اجتماع ١٩ / ١٠ / ١٩٣٩ وذلك نزولا على إرادة أعيان البلاد ، ولبحث المسائل الهامة التى يتطلبها الموقف فنرجو من سيادتكم تقرير تأليف هذه الهيئة بوجه السرعة حرصاً على مصالح البلاد وتطميناً لنفوسنا .

التوقيعات ـ الطرابلسيون : عوف سوف ، احمد الشتيوى ، الطاهر المريض ، محمد توفيق الغريانى .

---

(١) السنوسية دين ودولة ـ ٣٨٢

البرقاويون : صالح الأطيوش ، عبد الحميد العبار ، سعد الله النمر ، احمد مفتاح ، نصر عبدالسلام الكزه ، سعيد جربوع . »(١)

« وقد أرسل المجتمعون هذا الكتاب مع الشيخ عبد الحميد عقيلة الجزوى إلى السيد ادريس وسلمه إليه باليد وبعد قراءته أجاب مشافهة بقوله : أما البرقاويون فلهم الحق فى تشكيل هذه المجلس لأنهم قدموا المعاونة لبريطانيا ، وأما الطرابلسيون فلا حق لهم فى ذلك لأنهم لم يقدموا شيئاً ، ولا يمكن الاتفاق معهم إلا بعد التجنيد . »(١)

وحدثت بعد ذلك محاولات عدة للتوفيق قام بها الشيخ أبو بكر بدان والشيخ يس أبو الميرى من أعيان برقة وعبد الستار الباسل بك وعلى العبيدى باشا ومنصور بك قواره ولكنها كلها لم تؤد إلى اتفاق . (٢)

وإزاء ذلك رأى الطرابلسيون أن المصلحة تقضى بتأليف لجنة طرابلسية تعنى بشئون القضية ، فاجتمع أعيان المهاجرين فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ فى منزل الشيخ طاهر سبيطه والشيخ يوسف الجعرانى وانتخبوا أعضاء اللجنة فاختاروا : احمد بك السويحلى والطاهر المريض وعون سوف وسليمان الزوبى وطاهر سبيطة والطاهر الزاوى ومحمد العيساوى أبو خنجر ولخصت اللجنة الطرابلسية مطالب الطرابلسيين فيما يأتى :

أولا : الاستقلال التام

ثانيا : وحدة البلاد من حدود مصر إلى حدود تونس .

ثالثاً : الانضمام إلى جامعة الدول العربية

رابعاً : استنكار تدخل أى دولة أجنبية بما يعارض رغبات الشعب أو توجيهه وجهة معينة .(٣)

---

(١) الكتاب الأبيض ص ٣٤ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى الكتاب الأبيض ص ٣٥ — ٣٦ .

(٣) مذكرة فى القضية الطرابلسية ص ٧ .

(٣)

مضى السيد إدريس السنوسى فى تنفيذ السياسة التى ارتضاها فأنشأ أول مكتب للتجنيد فى يوم ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ بالقاهرة وعين لقيادة الجيش السنوسى العامة الكولونيل برومله ثم عين الكابتن أندرسون ضابط اتصال انجليزى واليوزباشى عمر فائق شينب ضابط اتصال عربى ، وخصص للخدمة فى الجيش السنوسى أربعة ضباط من الإنجليز ، وبدأ العمل فى تأليف الجيش السنوسى ، وكان مما طلبه الليبيون أن تكون الأوامر الصادرة إلى الضباط العرب باسم أمير البلاد السيد إدريس السنوسى فجرى الاتفاق على الصيغة الآتية :

« بناء على اختيار سعادة الكولونيل برملو قائد الجيش السنوسى البريطانى لما رآه فى حضرتكم من الأهلية والكفاءة - وطبقاً لموافقة الأمير السيد محمد إدريس المهدى السنوسى ، أنا القائد العام للجيوش البريطانية فى القطر المصرى أوجه رتبة . . . فى الجيش السنوسى البريطانى إلى حضرة . . . اعتباراً من تاريخ هذا الأمر الصادر فى . . .

الإمضاء : ويلسن القائد العام . »(١)

وأنشىء معسكر كبير بجهة أبى راوش - مركز امبابة - لتدريب المتطوعين وتألف جيش من ١٤ ألف من الجنود و ١٢٠ من الضباط الليبيين ، اشترك فى القتال بعد أن دخل الطليان الحرب ضد الحلفاء ، وبدأ المارشال غرازيانى حملته على مصر فى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٠ .

اشترك المقاتلون الليبيون فى جيش ويفل الذى بدأ زحفه فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ودخل بنغازى فى ٧ فبراير سنة ١٩٤١ كما اشتركوا مع قوات فرنسا الحرة الزاحفة من السودان الغربى والتى دخلت الكفرة فى ١٢ فبراير

---

(١) السنوسية دين ودولة — س ٣٨٢

والجغبوب فى ٢١ مارس سنة ١٩٤١ واشتركوا أيضاً مع قوات أوكنلك التى دخلت بنغازى فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٢ وواحات جخره وجالوا وأوجلة فى ٢٣ نوفمبر ثم تابعت الزحف فاحتلت ورفلة فى ١٦ يناير سنة ١٩٤٣ ومصراته وزليطن فى ١٩ يناير والخمس فى ٢٠ يناير وفى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٣ دخلت مدينة طرابلس . وكانت قوات فرنسا الحرة بقياد الجنرال لوكلير قد تهيأت للزحف من مراكزها فى فزان فاحتلت مزرق فى ٦ يناير سنة ١٩٤٣ وطهرت منطقة غدامس ومزدة حتى إذا حل يوم ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ كان القطر الطرابلسى كله قد تحرر من قوات المحور .

وليس من شك فى أن القوات الليبية قد أدت للحلفاء خدمات عظيمة ، فإن السيد إدريس لم يكتف بتشكيل الجيش السنوسى للزحف إلى جانب البريطانيين فى حملة ليبيا بل إن سموه سرعان ما صار يرسل الرسل إلى المدن والقرى ومواطن البادية ينشرون فى طول البلاد وعرضها أوامر السيد وفضلا عن ذلك فقد وقع سموه على النشرات التى صارت تلقيها الطائرات على الشعب الليبى ، واستصرخ الشعب لمناصرة بريطانيا من محطات الإذاعة وزود ضباط الاستعلامات البريطانيين الذين يعملون خلف خطوط الأعداء سراً بالرجال الأمناء والتوصيات للزعماء أهل الوطن لإخفائهم وإرشادهم وإمدادهم بالمساعدات والمؤن ، فهب الشعب الليبى على بكرة أبيه رجالا ونساء كل يعمل على قدر استطاعته خلف خطوط الأعداء فى إخفاء ضباط الاستعلامات وتموينهم وإنقاذ الجرحى وتمريضهم وإخفائهم وتهريب الأسرى من الضباط والجنود البريطانيين والطيارين الذين وقعوا فى قبضة الأعداء وإبلاغهم مأمنهم وإظهار عورات الأعداء بواسطة الإدلاء على محال قوتهم واستحكاماتهم وطيرانهم ووقودهم وتدمير أدوات حربهم ومؤنهم (١) » .

---

(١) السنوسية دين ودولة — ص ٣٨٤

وإذن فقد كان للقوات السنوسية أثرها المعنوى البعيد فى اجتذاب أهل البلاد إلى صفوف الحلفاء وحمايتهم ظهر الجيش البريطانى واعتباره حليفاً لهم وعونا على الطليان المستعمرين ، هذا إلى أن كثيراً من الليبيين الذين جندهم الطليان فى جيوشهم قد استجابوا إلى النداء الموجه إليهم بالتسليم وترك صفوف المحور فانحاز منهم إلى جانب الجيش البريطانى قرابة سبعة عشر ألفاً اشتركوا فى القتال ضد المحور . وكان الجيش السنوسى إلى جانب اشتراكه فى القتال ، قد اضطلع شطر منه كذلك بحراسة مهمات الجيش الثامن بالقطر المصرى ومخازن الذخيرة ومراكز المخابرات اللاسلكية والموانى والمطارات . ، (١) وقد قتل من الليبيين فى الحرب العالمية الثانية ألوف سقط بعضهم فى ميدان القتال وكان بعضهم الآخر محل انتقام قوات المحور من الألمان والطليان ، وذلك عدا ما أصاب البلاد من الخراب والدمار فى الممتلكات والأموال .

---

(٢) نفس المصدر ص — ٣٩٠

الفصل الثانى

الاحتلال البريطانى الفرنسى

(١)

ومنذ أجليت جنود إيطاليا وألمانيا عن طرابلس وبرقة احتلت القوات البريطانية البلاد وأقامت فيها إدارة عسكرية مؤقتة فى كل من برقة وطرابلس واحتلت القوات الفرنسية منطقة فزان وأقامت فيها إدارة عسكرية ثالثة .

وجاء الوقت الذى وقف فيه أهل البلاد وجهاً لوجه أمام حلفاء الأمس ، وقد زالت المحنة واستقرت لهم الأحوال فى شمال أفريقيا . وكان موقف السيد السنوسى خاصة يحتاج إلى التأمل ، فقد أخذ جانب بريطانيا منذ اللحظة الأولى فماذا كانت النتيجة ؟ كان كل ما فاز به السنوسيون تصريحاً أدلى به المستر أنتونى إيدن وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم يوم ٨ يناير سنة ١٩٤٢ قال فيه :

«إنى أصرح بأن السيد إدريس المهدى السنوسى اتصل بالهيئات البريطانية المسئولة بمصر فى خلال شهر من انهيار فرنسا فى وقت لم يكن فيه الموقف العسكرى فى أفريقيا ملائماً لنا على الإطلاق ، فتألف فيما بعد جيش سنوسى يضم أتباعه الذين قد تخلصوا من نير الظلم الإيطالى بين حين وآخر فى خلال العشرين سنة الماضية ، وقام هذا الجيش بمساعدات قيمة أثناء القيام بتلك العمليات الحربية الموفقة فى الصحراء الغربية فى شتاء ١٩٤٠ — ١٩٤١ وهو الآن يقوم أيضاً بنصيب قيم فى الحملة العسكرية الحالية . فانتهز هذه الفرصة

لأعبر عن التقدير التام الذى تحمله حكومة صاحب الجلالة البريطانية للنصيب الذى قام به ولا يزال يقوم به السيد إدريس السنوسى وأتباعه فى المجهود البريطانى الحربى . وإننا نرحب بتعاونهم مع قوات صاحب الجلالة البريطانية فى مهمة سحق العدو المشترك . وقد وطدت حكومة صاحب الجلالة البريطانية عزمها على أنه متى انتهت الحرب لن تسمح بوقوع السنوسيين فى برقة تحت النير الإيطالى مرة أخرى بأى حال من الأحوال(١) » .

وواضح أن هذ التصريح لايعنى إلا إدخال برقة فى منطقة النفوذ البريطانية وما كان للسنوسيين أن يهللوا له لأنه لا يعد بشىء ، ولكنه أصبح ورقة رابحة فى يد بريطانيا وتكأة يعتمد عليها فى الوقت المناسب كما حدث بعد استقرار القوات البريطانية فى برقة وتلويح بريطانيا بوعد السنوسية فى المحافل الدولية . وما ندرى هل غابت قيمة الوعود البريطانية للشعوب الضعيفة وهل نسى وعدهم بل معاهدتهم السرية مع الشريف حسين وتلويحهم له بتاج العرب بعد الحرب العالمية الأولى ؟

وقد أوضح السيد إدريس موقفه من بريطانيا إيضاحاً لا مزيد عليه فى الخطبة التى ألقاها فى بنغازى مساء يوم ٣٠ يولية سنة ١٩٤٤ قال :

إخوانى - ليس لى مأرب ولا غاية فى هذه الحياة الفانية إلا أن أرى أهل وطنى أعزاء متمتعين بحريتهم ضمن حلف دفاعى وتعاون مع بريطانيا مثل باقى الأمم العربية . هذه هى غايتى وهذا ما سعيت إليه . وهو الحق الطبيعى للشعب على ما أرى فقد ضحى من أجله بما يقارب نصف عدده من خيرة أبنائه البرره فيما يقارب ثلث قرن ، وهذا ماحدا بى للتعاون مع دولة بريطانيا العظمى فى صيف سنة ١٩٤٠ الوقت الذى قل فيه الأصدقاء الأوفياء فاخترت

---

(١) السنوسية دين ودولة — ص ٣٨٧ — ٣٧٨

لشعبي أن يكون أول صديق وفيّ ساعة الشدة لبريطانيا العظمى صديقة العرب الشغوفة بالحرية لنفسها ولغيرها ذات المبادىء الشريفة في تحرير الأمم الضعيفة.

إخواني . لم أتقدم إلى دولة بريطانيا وقتئذ بسوى ما قدمته لجنة التعاون الوطنية المتكونة من زعماء البلاد نيابة عن جميع سكان بلادهم في ٩ أغسطس سنة ١٩٤٠ من الأماني القومية والآمال الوطنية في تحرير البلاد واستقلالها فأيدتها كل التأييد . . .

إخواني : أن ماضيكم ساطع لامع ، فلا يتطرق إلى قلوبكم اليأس والوهن وإن الحلفاء أوفياء وإن الميثاق الأطلنطيق والنبل الانجليزي هما أكبر عون لنا بعد الله على تأمين حقوقكم المشروعة بعد الحرب . فلنرقب ذلك اليوم بكل حكمة وسكينة وثقة بأنفسنا . إن الدولة البريطانية مقدرة لمساعدتكم وتضحياتكم معها في هذه الحرب غير أن ظروفها الدولية وحالة الحرب التي لا تزال قائمة تحول دون إبداء رأيها في مصيركم الآن رغم إلحاحي ونصحي بسرعة إعلان رغبتها . لهذا ترونني أنظر إلى المستقبل بعين الأمل ، وأما ماترونه مخالفاً لتقاليدكم أو مضراً باقتصادياتكم من نقص في التجارة والزراعة والصناعة والمواصلات فهو ناشيء عن حالة الحرب القاسية وآمل أنه سيزول تدريجيا كما آمل أن يزول كل ما يشتكى منه » (١) .

وقد جاء في تقرير رئيس الإدارة السنوي لعام ١٩٤٥ أن الأمير «طلب الاستقلال والتحالف برّاً وجواً وبحراً مع أمة قوية ويفضل بريطانيا العظمى» وورد في تقرير لجنة التحقيق الرباعية أن الأمير « أخبر اللجنة أنه يفضل الاستقلال والتحالف مع بريطانيا العظمى » (٢) ، وقد احتج بهذا مندوب

---

(١) السنوسية دين ودولة — ص ٤٠١/٤٠٢ .

(٢) تقرير لجنة التحقيق الرباعية — ترجمة الإدارة السياسية للجامعة العربية ص ٧٠

بريطانيا فى الأمم المتحدة لترجيح فرض الوصاية البريطانية على برقة ، قال : ومادامت برقة تحتاج إلى مساعدة خارجيـــة فإن المملكة المتحدة يمكنها أن تقدمها والسبب الأساسى هو رغبة السكان أنفسهم الذين رحبوا — كلما طلب إليهم التفضيل — بالمملكة المتحدة التى ينظرون إليها على أنها حليفتهم » (١) .

وقد تعاون الأمير السنوسى منذ اللحظة الأولى مع الإدارة العسكرية فى برقة تعاوناً وثيقاً . جاء فى تقرير لجنة التحقيق الرباعية « وفى سنة ١٩٤٠ تم الاتفاق بين السيد إدريس والسلطات البريطانية فى مصر على إنشاء قوة إضافية تسمى «قوة العرب الليبيين » من بين الليبيين المقيمين بمصر بمساعدة الأمير ، وكان الأمير وبعض أعضاء أسرة السنوسى يتناولون مرتبات من الإدارة العسكرية البريطانية سنوياً بلغ مجموعها كماهو ظاهر فى الميزانية فى الفترة الواقعة بين ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٢ و٣٠ يونيه سنة ١٩٤٧ - ٦٦٫٦٣٧ جنيها إسترلينياً ، وقد زار الأمير برقة فى ثلاث مناسبات ثم رجع أخيراً ومعه معاونوه البريطانيون فى أواخر سنة ١٩٤٧ وقد وضعت الإدارة العسكرية البريطانية تحت تصرفه القصر الذى كان يقيم فيه الحكام الإيطاليون فى بنغازى .

وذكر رئيس الادارة فى تقرير لسنة ١٩٤٧ أن قرار الأمير بالبقاء نهائياً فى البلاد وتنفيذه لسياسة تعاون وثيق بين أهل برقة والإدارة قوت الروح المعنوية ووثقت الصلات ببريطانيا العظمى . ويقرر رئيس الإدارة الحالى أن الأمير شجع على العودة إلى بلاده وأسكن فى مكان ملائم وذلك للاستفادة من معرفته بشئون البلاد وتأثيره على الشعب ويستشيره رجال الادارة أحياناً فى الشئون المتصلة بالشعب والبلاد (٢) .

---

(١) ص ١٢ من Un. N. Official Records

(٢) تقرير لجنة التحقيق — ص ٧٠

(٢)

ماهى هذه الادارة العسكرية التى يتعاون معها الأمير والتى أنشأتها بريطانيا فى طرابس وبرقه وإقامتها فرنسا فى فزان ؟

تخضع برقة وطرابلس للقائد العام للقوات البرية فى الشرق الأوسط ويتولى الإدارة المدنية عنـــه فى كلا الاقليمين رئيس للادارة يشرف على شئونها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ومن جهة أخرى تستقل القوات العسكرية فى كلا الاقليمين بقيادتها التى يتولى الاشراف الأعلى عليها أيضاً القائد الأعلى للقوات البرية فى الشرق الأوسط عن طريق سلسلة قيادات أخرى (١) .

أما فزان فقد قسمت إلى ثلاثة أقسام : (١) غدامس (٢) فزان (تشمل مرزق وسبحه وبراك) (٣) منطقة غات . وفى يناير سنة ١٩٤٨ ألحقت غدامس بجنوب تونس وتقول السلطات الفرنسية إن ذلك قد جرى لضمان تسهيلات إدارية ، ويسيطر على الحكم الادارى والعسكرى حاكم محلى تحت السلطة المباشرة للحاكم العسكرى فى المناطق الجنوبية فى تونس ومركزه قابس . أما فزان فيحكمها حاكم يعينه وزير الداخلية الفرنسية بالاتفاق مع وزير الحربية الفرنسية ويجمع بين المسئولية الإدارية والعسكرية ويرجع إلى الحاكم العام للجزائر . وأما غات فيديرها حاكم الجزائر أيضاً وقد فصلت هـذه المنطقة عن فزان فى يناير سنة ١٩٤٣ عند الاحتلال وذلك لتسهيلات إدارية كما تقول السلطات الفرنسية أيضاً ولكى يتسنى اتحاد قبائل الجير الطوارقية (٢) .

على هذا النحو مضت القوات المحتلة على سياسة تجزئة البلاد والقضاء على وحدتها ، والحصول على مركز ممتاز فيها أو ضمها إلى مناطق نفوذها واستغلالها .

---

(١) نفس المصدر ــ ٧٢

(٢) نفس المصدر ــ ٩٣

لقد أقامت بريطانيا فى طرابلس وبرقة قواعد حربية أثناء الحرب وبقيت تحتفظ بها بعد انتهائها . جاء فى تقرير اللجنة الطرابلسية : — « واتخذ الانجليز من برقه وطرابلس مراكز حربيه هائلة بحرية وجوية ومرسى طبرق ومطارات برقه فى الدرجة الأولى من اهتمام الانجليز وفيها العمل قائم بدون انقطاع ، وتصرف عليها الأموال الطائلة للإنشاء والإصلاح ، ويأتون بمئات العمال من الخارج ولا يستوعبون العمال الموجودين فى برقة وطرابلس وهم فى أشد الحاجة إلى العمل حتى كثر المتعطلون واضطر بعضهم إلى مغادرة الوطن سعيا وراء عيشه ، وأصبحت منطقة طبرق ممنوعة من المدنيين . ولا يدفعون ثمنا لما يستولون عليه لإنشاء المطارات وإقامة المنشئات العسكرية مثل مدينة طبرق ومطار أم العدم وغيرهما وهم يرون أنفسهم ورثة الطليان فما كان يتصرف فيه الطليان بالأمس صاروا هم أهل التصرف فيه اليوم لا يدفعون له ثمنا بل ولا يحتاجون إلى استئذان أهله . » (١)

وقد سارت الإدارة العسكرية المؤقتة فى ذلك إلى حد عقد الاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية ومنحها قواعد حربية فى البلاد . جاء فى تقرير لجنة التحقيق : —

« خلال مدة تحقيق لجنة الدول الأربع فى المستعمرات الإيطالية السابقة أتمت حكومة المملكة المتحدة إتفاقا منفصلا مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء قاعدة جوية أمريكية فى الملاحة على أرض مستعمرة إيطالية سابقة تحت إدارة بريطانية مؤقتة وذلك على عكس ما جاء فى معاهدة السلم مع إيطاليا والتصريح المشترك لحكومات الاتحاد السوفيتى والمملكة

---

(١) تقرير بشأن القضية الطرابلسية سبتمبر ١٩٤٦ ص ٢٤/٢٥ .

المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا فيما يختص بالممتلكات الإقليمية فى أفريقيا . ولذلك لا يمكن أن يكون لهذا الاتفاق قوة قانونية »(١) .

وعملت السياسة الاستعمارية البريطانية على الفصل بين طرابلس وبرقة وتقريب العناصر التى لا تقاوم النفوذ البريطانى بل ترحب به وتعلن رغبتها فى محالفة بريطانيا ومنحها مركزا ممتازا فى البلاد ، وقد فرقت الإدارة العسكرية فى المعاملة بين القطرين فسياسة الإنجليز فى طرابلس غيرها فى برقة . « ففى برقة أباحوا التعامل بالعملة المصرية ورفعوا الرقابة عن المكاتبات وأباحوا تصدير التجارة واستيرادها إلى حد ما ، وأباحوا لأبنائهم السفر منها وإليها وتوسعوا فى توظيف أبنائها فى وظائف الحكومة وأدخلوا على التعليم تحسينات لا بأس بها وإن لم تكن كل ما يطلب ورفعت عنها الضرائب ، أما فى طرابلس فلا يوجد شىء من هذا وضربت عليها رقابة من جديد وهى فى حالة إرهاق فى كل ناحية من نواحى الحياة »(٢) .

وخطت الإدارة العسكرية البريطانية خطوات واسعة فى السيطرة الاقتصادية على البلاد وتمكين المصالح البريطانية فيها ، وربطها بحاجة الامبراطورية البريطانية إلى تأمين سلامتها فى الشرق الأوسط . وقد جاء فى بيان المستر أرنست بيفن بمؤتمر وزراء الخارجية قوله : « إن الإمبراطورية البريطانية تعد المصالح الاستراتيجية الخاصة بسلامة المواصلات مصالح حيوية فيجب عليها أن تؤمن نفسها من كل هجوم قد يأتيها من الصحراء الغربية »(٣) .

---

(١) تقرير لجنة التحقيق ص ١٤

(٢) تقرير بشأن القضية الطرابلسية ١٩٤٦ ص ٢٤ .

(٣) الأهرام ١٥ / ٥ / ١٩٤٦ .

وفى حين تحاول بريطانيا أن تفرض سيطرتها على البلاد بطريق غير مباشر هو إقامة حكومات ترتبط معها بمعاهدات أو اتفاقات ، فإن فرنسا قد قسمت المنطقة التى تحتلها من ليبيا وضمتها إلى إدارتها العسكرية فى تونس والجزائر كما ذكرنا ، وأخذت تعمل بكل الوسائل على إدماجها فى مستعمراتها إدماجا تاما .

* * *

(٣)

وتتضح هذه السياسة الاستعمارية البريطانية الفرنسية فى ليبيا بالوقوف عند تفصيل النواحى الإدارية والاقتصادية وغيرها فى المناطق الليبية المختلفة .

(ا) فمن الناحية الإدارية نجد الإدارة البريطانية فى طرابلس تعتمد إلى حد كبير على الموظفين الإيطاليين الفاشست ، وما زالت البلاد تحكم على نظام الإقطاعات فكل موظف فى ناحية حاكم بأمره يجبى ضرائبها ويعين موظفيها وينفذ فيها من الأحكام ماتقتضيه الأحكام العرفية التى يصدرها كيفما شاء ،(١) وقد أنشئت قوات للبوليس لها ضباط ومفتشون بريطانيون ونظمت هذه القوات على غرار قوات بوليس المستعمرات البريطانية(٢) . وتحكم البلاد بعدة قوانين أولها القانون البريطانى الذى هو مجموعة البيانات والتعليمات التى يصدرها رئيس الإدارة وذلك إلى جانب القوانين الإيطالية والشرعية الإسلامية وغيرها .

وفى برقة قسمت البلاد ثلاثة أقسام : بنغازى والجبل ودرنة . وفى كل

---

(١) تقرير بشأن القضية الطرابلسية — ص ٦ .

(٢) تقرير لجنة التحقيق — ص ١٧ .

قسم موظف بريطانى يقوم بشئون الإدارة يعاونه تسعة ضباط بريطانيون فضلا عن وجود ثلاثة معاونين آخرين يطلق عليهم اسم « نائب متصرف » وهم من الليبيين ، ومن دونهم آخرون منهم تسعة قائمقام قضاء و ١٧ مدير ناحية وكلهم من أهل البلاد . (منهم خمسة كانت لهم هذه المناصب فى الحكم الإيطالى) أما واحات الكفرة فيقوم على إداراتها ضباط لشئون مدنية . وفى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٨ تكون مجلس تنفيذى فى بنغازى عدد أعضائه سبعة بريطانيون وخمسة ليبيون يقومون كمستشارين لهيئة الإدارة .

وتحكم البلاد بعدة قوانين أولها القانون البريطانى الذى ينظمه رئيس الإدارة ، وإلى جانبه القانون الإيطالى الذى كان سائدا قبل الاحتلال إلا ماتعارض مع أوامر رئيس الإدارة . وينبغى أن نلاحظ أن القوانين الإيطالية هى على العموم أساس ما جاء بعدها . واستئناف أحكام المحاكم يكون لدى رئيس الإدارة وله الحق فى إعادة النظر فى أحكام الإعدام وغيرها وتعين الإدارة العسكرية القضاة ورؤساء المحاكم الشرعية . ويقوم بالمحافظة على الأمن فى البلاد « قوة دفاع برقة » ويشرف عليها ١٤ ضابطا بريطانيا و١٥ مفتشا بريطانيا(١) .

وفى فزان يباشر الحكام الفرنسيون أعمالهم عن طريق من يعينونهم من المشايخ والمديرين الذين يجمعون الضرائب ويفضون المشاحنات الصغيرة وقد حاولت الإدارة الفرنسية أن تضم إلى جانبها من يقبلون التعاون معها من رجال البلاد وتتخذهم أداة لفرض سيطرتها عليها . جاء فى تقرير لجنة التحقيق : « ولقد أعادت السلطات الفرنسية اللقب التركى القديم (متصرف) إلى أحمد بك سيف النصر كما كان لأجداده أيام الحكم التركى وهو يتمتع

---

(١) نفس المصدر ٧٢ / ٧٥

بنفوذ محلى كبير ، وكان قد ترك المنطقة أيام الاحتلال الإيطالى ورجع مع قوة الفرنسيين . وتبعا لتصريحاته فقد حارب الإيطاليين ٢١ سنة ثم ذهب إلى أفريقية الاستوائية الفرنسية حيث كانت تدفع له السلطات الفرنسية مالا ثم رجع مع الجنود الفرنسيين واستلم من السلطات العسكرية الفرنسية كل الممتلكات التى كان الإيطاليون قد صادروها منه ، وصرحت السلطات الادارية الفرنسية فى مذكرتها للجنة بأنه سيكون فى المستقبل الحاكم الأول للقطر»(١).

وكما ألحقت مناطق فزان إداريا بتونس والجزائر فقد جعل استئناف الأحكام والتحقيق فى الجرائم والتهم الجسيمة للمحكمة العسكرية فى قسطنطين بالجزائر وللمحكمة العسكرية فى الجزائر فيما يتصل بمنطقة الغات .

* * *

(ب) ومن الناحية الاقتصادية تسيطر الإدارات العسكرية المختلفة على مرافق البلاد الاقتصادية فى مناطقها الثلاث سيطرة تامة كما كانت تفعل إيطاليا من قبل .

فى طرابلس عجزت الإدارة العسكرية البريطانية عن مواجهة القحط عام ١٩٤٧ وقد جاء فى تقرير لجنة التحقيق : « أن نتائج قحط سنة ١٩٤٧ عمليا خسارة جميع الحصاد و ٦٠٪ من الماشية ومن الثابت أن الإدارة العسكرية البريطانية لم تتخذ الاحتياطات ولم تعر اهتماما لملحوظات خبرائها مع تجارب المزارعين الخبراء فى طرابلس . . . وبدلا من أن تحتفظ الإدارة بالمخزون من حبوب حصاد السنين الثلاث ٤٤و٤٥و٤٦ فإنها عمدت إلى تصدير الحبوب . . . ولم تعمل أى شىء للمحافظة على الماشية ونتيجة لهذا القحط

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — ص ٥٣ .

لم تتأثر الزراعة فقط بل إن جميع مرافق الحياة الاقتصادية قاست وتأثرت من القحط أكثر بكثير من الحرب التى كان لها تأثير ضئيل على طرابلس » (١) .

وفى برقة استولت الإدارة العسكرية على الأراضى التى اغتصبها الطليان وقامت بزراعة بعضها عن طريق قسم الزراعة التابع لها ، كما استولت على الآلات الزراعية الإيطالية المهجورة وباعتها إلى بلاد أخرى بالرغم من حاجة سكان البلاد إليها(٢) . وتسير الإدارة العسكرية على سياسة تصدير الفائض من المحصول إذا كان جيداً فتشترى الشعير بسعر محدد تعلن عنه وتصدره تحت إشراف مجلس الطعام الدولى للطوارئ ووزارة الطعام البريطانية (٣).

وتسيطر الإدارة العسكرية البريطانية على التجارة فالاستيراد والتصدير مقيدان برخص تمنح منها ، وتقوم الإدارة بالاستيراد وتوزيع بعض السلع الاستهلاكية العامة وتضيف الربح الناتج من ذلك إلى دخل الحكومة (٤) ، والمعاملات التجارية محصورة تقريباً فى منطقة الاسترلينى .

وقد أخضعت البلاد ماليا للدولتين المحتلتين ، ففى طرابلس استبدل فى سبتمبر سنة ١٩٤٣ بالنقد المتداول لاسيما العملة الإيطالية ذات الخمس الليرات ليرة عسكرية بريطانية أصبحت هى العملة الرسمية وهى مربوطة بالاسترلينى ومحدودة بطرابلس فقط . وأصبح بنك باركليز هو البنك المركزى ابتداء من ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣ وفى مارس سنة ١٩٤٧ سحبت جميع الأوراق النقدية من طرابلس وأصبح التعامل بالليرة العسكرية البريطانية وحدها . وقد جاء فى تقرير لجنة التحقيق « أن النقد المتداول فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ يبلغ

---

(١) نفس المصدر — ص ٢٣ .
(٢) نفس المصدر — ص ٧٧ .
(٣) ص ٨٥ .
(٤) تقرير لجنة التحقيق ٨٣ .

٠٠٠و٣٧٤و٨٤٧ ليرة عسكرية وهو يبين نقصا قدره ٣١٪ بالنسبة لعام ١٩٤٣ وهذا النقص فى التداول يعود إلى سحب القوات العسكرية وإلى النقص العام فى النشاط الاقتصادى وكذلك إلى اختلال الميزان التجارى ، (١) .

ويحتكر بنك باركليز النشاط المالى فى طرابلس وقد عقد فى مدة الاحتلال الإنجليزى ١٠٦ قرضاً زراعياً مقدما بالليرة العسكرية قيمتها ٣٨٧و٣٨٧و٣٣ بكفالة الإدارة العسكرية البريطانية التى غطت ٨٠٪ من القروض وهذه القروض الزراعية بفائدة ٥٪ . كما قام البنك بعدة قروض تجارية فائدتها ٦٪ (٢) . وقد استخدمت رءوس الأموال الأجنبية بعد الاحتلال إلى حد غير معلوم ولكن المعروف أن أعمال التجارة يباشرها فى طرابلس ٧ إنجليز ، وأمريكى واحد ، وإيطاليان . ولا توجد معلومات عن رءوس الأموال المستخدمة ولكن يبدو أن النشاط الاقتصادى ضئيل جداً(٣) .

وبرغم ازدياد الضرائب التى فرضتها الإدارة البريطانية على المزروعات والعقارات وأشجار الزيتون والنخيل والماشية كالإبل والبقر والخيل والحمير والغنم وغيرها ، وذلك حتى فى سنوات القحط على حين أن إيطاليا كانت تعفى السكان منها إذ ذاك ، فإن ميزانية طرابلس زادت فيها المصروفات على الواردات فى أغلب سنى الإدارة ، وقد قدمت بريطانيا حتى ٣٠ يونية سنة ١٩٤٧ مساعدة مالية تبلغ ٧١١و٧٤٧ جنيها استرلينياً .

وفى برقة أيضا كان التعامل بالليرة الإيطالية حتى عام ١٩٤٥ فسحبت هذه العملة واستبدلت بها العملة المصرية ، وتقرر فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ جعل

---

(١) نفس المصدر ٢٨ .
(٢) ص — ٢٨ .
(٣) ص — ٢٩ .

الجنيه المصرى هو العملة الرسمية . ويحصل عليها من البنك الأهلى المصرى بترخيص من الحكومة المصرية . وتصدر العملة عن طريق بنك باركليز فى بنغازى بإشراف الإدارة العسكرية . وتقدر العملة المتداولة فى عام ١٩٤٨ بنحو ١٫٣٠٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ، وقد يسرت هذه التدابير وسائل التعاون مع مصر وسمحت الإدارة العسكرية لبائعى الماشية وهى من أهم صادرات البلاد إلى مصر ، باستثمار ٥٠٪ من معاملتهم فى بضائع دون الرجوع إلى موافقة مراقبة النقد لصرف المال ، كما تسهل الإدارة الحصول على العملة الخارجية لدفع ثمن الواردات التى تعتبرها الإدارة العسكرية البريطانية أساسية وهذه التسهيلات التى أجرتها الإدارة فى برقة لا نجد ما يقابلها فى طرابلس .

ويحتكر بنك باركليز أيضاً النشاط المالى فى برقة وقد افتتح فى بنغازى عام ١٩٤٣ وقدم تسهيلات لمدة قصيرة الأجل ولكنه لا يقدم سلفيات للتجار والمزارعين ، على أن الإدارة قد سمحت لخمس شركات بريطانية باستثمار أموالها فى برقة ، وليس هناك معلومات عن مقدار رءوس الأموال هذه .

أما عن الضرائب فإن سياسة الإدارة البريطانية الضرائبية فى برقة تختلف عنها فى طرابلس . فقد تخلت الإدارة العسكرية عن الضرائب المباشرة كلها حتى مايو سنة ١٩٤٦ فأدخلت ضريبة الأرباح التجارية بنسبة ٣٪ . جاء فى تقرير لجنة التحقيق : «وتقرر بعد الاحتلال أن من الأصلح التخلى عن الضرائب المباشرة بوجه عام لمساعدة إنعاش البلاد من أضرار الحرب . » (١) أما مساهمة الشعب فى نفقات الإدارة « فقد أمكن الحصول عليها كلها عن طريق الضرائب غير المباشرة ماعدا أرباح التجارة التى أدخلت فى مايو سنة ١٩٤٦ » (١)

---

(١) تقرير لجنة التحقيق ص ٨٣

وقد بلغت المساعدات التى قدمتها الحكومة البريطانية لبرقة حتى ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٧ — ٦٩٨ر٧٥٠ر١ جنيها وهذا ما يوازى ٢٦ ٪ من مجموع المنصرف .

وفى فزان لا نجد للادارة الفرنسية العسكرية مشاركة فى النهوض بأحوال البلاد الزراعية ، وإن كنا نجد أن عدد الماشية قد قلّ كثيراً بسبب الاستهلاك العسكرى بين عامى ٤٥ و٤٧(١) . وقد سحبت الليرة الإيطالية من التداول وأحل محلها الفرنك الجزائرى منـــذ عام ١٩٤٣ وتقوم الإدارة الفرنسية بعمليات التسليف لمدة سنة للمزروعات والمأكولات ، وتسيطر على حركة التبادل التجارى وإن كان معظمها من الضروريات المتبادلة مع طرابلس ، وقد أدمجت مالية فزان فى مالية الجزائر وفصلت ميزانية أقسامها الثلاثة بعضها عن بعض ووكل لحاكم الجزائر وضعها بموافقة وزيرى المالية والداخلية الفرنسيين ، وقد سارت الإدارة الفرنسية فى الضرائب المباشرة وغير المباشرة سيرة الطليان .

* * *

(ج) ومن الناحية العمرانية والاجتماعية أبقت الإدارة العسكرية فى طرابلس ما بقى من مرافق البلاد على حاله منذ الاحتلال إلا ما يتصل بأغراضها العسكرية من إنشاء القواعد الحربية والطرق . ولم تحاول السلطة العسكرية إلغاء الفوارق فى الأجور بين العمال الوطنيين والإيطاليين وغيرهم من الأجانب ، وليس للطبقة العاملة منظمات على شىء من الأهمية تحمى مصالحها ، حتى نقابات العمال الايطالية فقد حلت بعد الاحتلال . ولا زال التفريق قائماً بين العمال الوطنيين

---

(١) نفس المصدر ص ٥٥

والأجانب فى الضمان الاجتماعى فللايطاليين نظام تأمين لمواجهة مخاطر المهن والعجز والبطالة والإصابة بمرض السل ولهم إعانة للمرض والزواج والولادة والوفاة ، أما العمال الوطنيون فإن الادارة البريطانية لا تجعل لهم إلا التأمين ضد حوادث العمل .

وما زال نصيب الوطنيين من التعليم فى عهد الإدارة البريطانية أقل بكثير من نصيب الأقليات الايطالية واليهودية فالتعليم العربى به ٨٧ مدرسة ابتدائية فيها ١١٫٥٤٠ يقابلها ١٧ روضة أطفال إيطالية ١١٧٤ تلميذاً و٧٤ مدرسة إبتدائية إيطالية بها ٨٩٩٩ تلميذاً و٣ يهودية بها ٢٠٣١ ، أما التعليم الثانوى العربى فغير كامل نتيجة ظروف الحرب ، على حين نجد هناك عشرة مدارس ثانوية وخاصة إيطالية بها ١٢٢٩١ طالباً ، وهذه المدارس الايطالية متصلة بوزارة المعارف الايطالية . وللبريطانيين مدرسة ابتدائية خاصة بها ٢٥٢ تلميذاً .

وفى برقة لايزال يعمل بنظام العمل الايطالى الذى يفرق فى المعاملة بين الوطنيين والأجانب ويستغل الأيدى العاملة العربية أبشع استغلال . وقد أخضعت السكك الحديدية لإشراف الجيش البريطانى فكان هو الذى يديرها حتى أغسطس سنة ١٩٤٦ وفى مارس ١٩٤٨ بدأ عملها جزئياً بواسطة الادارة العسكرية البريطانية ، وأنشئت مواصلات يومية مع لندن عن طريق مالطة والقاهرة . أما التعليم فقد وجدت جميع المدارس مغلقة عند الاحتلال والأبنية مهدمة — فى قول الادارة العسكرية — وقد فتحت فى عام ١٩٤٦ ست مدارس زيدت فى عام ١٩٤٨ إلى ٥١ مدرسة ابتدائية منها ٢٤ مدرسة ابتدائية عربية بها ٥٧٠٩ تلميذاً ومدرستان ثانويتان عربيتان بهما ٤٢ تلميذاً . وقد أدخلت اللغة الانجليزية فى برامج التعليم وانتدب للتدريس بهذه المدارس بعض المدرسين المصريين .

وفى فزان كان نظام السخرة موجوداً فى عهد الإدارة الإيطالية واستمر

مدة فى عهد الفرنسيين ، ويطبق الآن التشريع الجزائرى على عمال فزان وهم ثلاث طوائف: العمال الموظفون لدى السلطة الفرنسية، ٩٥٥ سائق، ١٨٩٠ عاملا زراعيا ومستواهم جميعاً لايزال شديد الانحطاط . وقد ركزت الادارة الفرنسية عنايتها فى إصلاح وشق طرق جديدة تربط فزان بالمناطق المستعمرة الفرنسية المجاورة . أما التعليم فقد أدخل فى فزان نظام التعليم فى المستعمرات الفرنسية وفرضت اللغة الفرنسية فى المدارس ولا زالت حالته متأخرة . (١)

(د) ومن ناحية الحريات العامة ، فإن الإدارة العسكرية فى مناطق ليبيا الثلاث لم تكد تخفف من الضغط الذى كان مفروضاً أيام الطليان، على الحريات الفردية والعامة فلا زالت هذه الحريات خاضعة لرقابة صارمة لا تسمح لأبناء البلاد بالتعبير عن آرائهم أو التجمع فى منظمات تعمل لخير بلادهم إلا ما رضيت عنه السلطات العسكرية القائمة .

فى طرابلس لا توجد غير صحيفة واحدة تنشر عن طريق مكتب الاستعلامات البريطانى وهو قسم من وزارة الخارجية البريطانية هى جريدة « طرابلس الغرب » وقد كان محررها ممن عملوا فى جريدة « العدل » أيام الطليان كما كان مذيعاً فى محطة روما . ولا زالت الاجتماعات العامة مشروطة بتبليغ السلطات قبل عقدها بثلاثة أيام كما كان الحال أيام الطليان ، وللبوليس الحق فى منع أو تأجيل أو فض أى اجتماع أو مظاهرة ، وفى وقت قدوم لجنة التحقيق الرباعية الدولية أعلنت السلطات البريطانية تحريم القيام بأية مظاهرة (١) ولا زالت للبوليس سلطات واسعة فله حق القبض والتفتيش دون أمر قضائى .

وفى برقة كذلك جريدة واحدة هى « برقة الجديدة » يصدرها أيضاً قلم الاستعلامات البريطانى ثلاث مرات فى الأسبوع كما أن هناك ثلاث مجلات أسبوعية هى « الفجر » و « الاستقلال » و « الوطن » وقد كانت المجلة الأخيرة

---

(١) تقرير لجنة التحقيق ص ـ ٦٠/٦١ .

لسان حال جمعية عمر المختار . وتوزع هذه الصحف فى نطاق ضيق لا يعدو الألفين أو ثلاثة الآلاف نسخة . وحرية الاجتماع مشروطة بالحصول على ترخيص من الإدارة البريطانية وتحظر الإدارة على « البدو » المرور فى تلال العرب والحقول الزراعية وطرق إلا بإذن (١) .

أما فزان فليس بها صحافة وما يصلها من الصحف العربية من القاهرة وبنغازى وطرابلس وتونس قليل التداول جداً ، ولا توجد فى فزان أحزاب سياسية أو هيئات ثقافية أو اجتماعية وتقول الإدارة الفرنسية أنها لا تمانع فى إنشاء مثل هذه الهيئات ولكنها فى عين الوقت رفضت إجابة الحزب الوطنى الطرابلسى إلى فتح فرع له فى فزان عام ١٩٤٦ . وقد ذكر مندوب هيئة تحرير ليبيا أمام اللجنة السياسية بهيئة الأمم أن هيئة التحرير احتجت على الإدارة الفرنسية بتاريخ ٧ أبريل سنة ١٩٤٩ بناء على شكاوى الفزانيين التى تتلخص فى ثلاث نقط : ١ — اغلاق الحدود ٢ — النفى المؤقت لكبار الفزانيين الذين يقاومون الإدارة ٣ — الارهاب والضغط لإخضاع الناس (٢) .

لاشك أن هذه الإدارات العسكرية المؤقتة فى مناطق ليبيا كان ينبغى أن تنتهى بانتهاء الحرب كنص القانون الدولى ، فهى تخلق فى البلاد وضعا شاذاً منذ عام ١٩٤٣ ، وهى فى وضعها الحالى قد عملت على إضعاف الروابط التى تربط بين أجزاء ليبيا المختلفة، وكان لها أثرها السيىء فى الحياة الاقتصادية للبلاد ، فضلا عن اتجاهاتها الاستعمارية فى تمكين النفوذ الأجنبى وبث الشقاق بين جماعات السكان وموالاة العناصر المهادنة وإبعاد العناصر الوطنية الصالحة ، وذلك كله

---

(١) تقرير لجنة التحقيق ص
(٢) وثائق هيئة الأمم ص١٣٣/١٣٤

بالإضافة إلى ما تنوء به البلاد من تكاليف الإدارة البريطانية والفرنسية فى مرتبات الموظفين الباهظة وغيرها .

وقد حرصت بريطانيا وفرنسا على استمرار الإدارة العسكرية سنوات حتى تمهل لرجالها الفرصة فى تمكين أقدامهم ، وقد طلب إلى مندوب بريطانيا فى هيئة الأمم أن يبين السبب فى حرص بريطانيا على البقاء فى برقة مع اضطرارها إلى تقديم المساعدات المالية فقال المستر ماكنيل : إن بقاء بريطانيا يرجع إلى سببين : (أولا) إن الحرب جعلت لها إدارة هذه المناطق وما كان لها أن تتنازل عنها بعد الحرب . (ثانياً) من الناحية القانونية يستند الاحتلال إلى معاهدة الصلح الإيطالية(١) . وقال مندوب فرنسا فى دورة سبتمبر سنة ١٩٤٩ بهيئة الأمم ، ولفرنسا شأن فى هذا الموضوع (المستعمرات الإيطالية السابقة) لأنها تجاور طرابلس وفزان ويهمنا بطبيعة الحال ألا يقع اضطراب على أبواب بلادنا »(٢) .

ويظهر حرص بريطانيا على استمرار الإدارة العسكرية فى ليبيا إلى أقصى حد مستطاع من تصريح نقله روتر عن مستر شنويل وزير الحربية البريطانية قال : « صرح الوزير بأن الحكومة البريطانية لا تنوى سحب قواتها التى ترابط فى طرابلس وكان ذلك ردا على سؤال صحفى قال فيه : هل قرار هيئة الأمم منح ليبيا الاستقلال عام ١٩٥٢ يعنى سحب القوات البريطانية من طرابلس . وسئل الوزير هل تنوى بريطانيا الاحتفاظ بقواعد لها فى طرابلس . فأجاب لا يزال هناك وقت طويل قبل حلول عام ١٩٥٢ »(٣) و(٤) .

---

(١) وثائق هيئة الأمم ص ١٦٠ (٢) الأهرام ١٩٤٩/١١/٢٢ .

(٣) الأهرام فى ١٩٤٩/١١/٢٤ . (٤) تراجع أحكام القانون الدولى فى الاحتلال الحربى وآثاره ولائحة لاهاى سنة ١٩٠٧ — القانون الدولى العام ، للدكتور على صادق أبى هيف ط ١٩٤٨ ص ٥٤٦/٥٥١ . Fauchille, Traité de Droit international—Paris u 22-Vol 4,No. 1156 Seq.

الفصل الثالث

قضية ليبيا فى الميدان الدولى

(١)

قضية ليبيا فى الميدان الدولى هى قضية مئات الملايين من البشر الذين لايتمتعون بالحرية والاستقلال وإنما يخضعون للدول الاستعمارية مباشرة أو عن طريق غير مباشر . ومنذ أنشئت المنظمات الدولية اضطرت الدول الاستعمارية إلى التحايل باسم الحضارة والمدنية والمصالح المختلفة على تبرير بقائها فى البلاد المستعمرة أو التابعة وكان ستارها فى ميثاق عصبة الأمم نظام الانتداب الذى تضمنته المادة الثانية والعشرون من ميثاق العصبة ولم تنص إلا على «المعاملة العادلة للسكان الوطنيين» . وقد عاصرنا هذا الانتداب فوجدناه غير محدود بقيد زمنى أو مانع دون تعلغل نفوذ الدولة المنتدبة أو العمل على ضم الاقليم إليها ، ولا زالت آثار الانتداب باقية فى جهات من أفريقيا والشرق الأوسط وغيرهما .

وقد جعل الفصل الحادى عشر من ميثاق الأمم المتحدة عن الأقاليم التى لاتتمتع بالحكم الذاتى ولكنه خطا خطوات أوسع من ميثاق العصبة فى سبيل (١) جعل مصالح سكان هذه الأقاليم هى العليا . (٢) الوعد بتطورها السياسى نحو الحكم الذاتى ورعاية أمانيها السياسية وتنمية تنظيمها السياسى هذا إلى ماينص عليه الفصل التاسع من الميثاق الخاص بالتعاون الاجتماعى والاقتصادى وفيه اتجاه إلى الأخذ بيد هذه الأقاليم . على أننا من جهة أخرى

لانجد فى ميثاق الأمم المتحدة نصا على الوسيلة التى بها تحقيق هذه الآمال والوقوف دون مطامع الدول الاستعمارية، فإن السند الوحيد فى ذلك هو الرأى العالمى الحر. وقد كانت النصوص التى تضمنها الميثاق نتيجة جهاد شاق من الدول الصغرى لأن مشروع الميثاق الذى وضعته الدول الكبرى فى دمبارتون أوكس سنة ١٩٤٤ لم يتضمن إشارة إلى الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، وإنما أضيف ذلك فى مؤتمر سان فرانسيسكون عام ١٩٤٥ (فصول ١١و١٢و١٣ مواد ٧٣ إلى ٩١ من الميثاق) ونص على إنشاء مجلس الوصاية ليتولى شئون البلاد غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، على أنه ينبغى أن نلاحظ أن الميثاق ينص على أن يشرف مجلس الوصاية على جميع الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى ، فى حين أنه لايشرف فعلا إلا على عدة مناطق خاضعة للوصاية ، وليس للمجلس حق وليست عليه مسئولية ما ازاء مناطق المستعمرات على العموم(١) .

ومن جهة أخرى نجد الشعوب المستعمرة أو الخاضعة للنفوذ الأجنبى تلتقى عند حق تقرير المصير ، ولا يعنى ذلك مجرد الحكم الذاتى أو المحافظة على التراث الدينى والتقاليد وترك السلطة السياسية فى يد دولة حاكمة مستعمرة بل ان حق تقرير المصير هو حق الشعوب المغلوبة فى البـــلاد التابعة والمستعمرات فى الانفصال عن الدولة المستعمرة ، أى أن يكون لها وجودها السياسى المستقل . وبهذا لايعود حق تقرير المصير وسيلة لخداع الشعوب يستخدمها مطايا النفوذ الاستعمارى بل يصبح وسيلة لكشف المؤامرات الاستعمارية وطريقة لبث الروح العالية فى نفوس الشعب .

وكما كانت ممتلكات الدولة العثمانية المقهورة فى الحرب العالمية الأولى

---

(١) Boyd, Andrew: The Unites Nations Organization Handbook, London, 1946. pp. 83-97.

موضع تنافس وتناحر انتهى بابتداع نظام الانتداب البريطانى والفرنسى على العراق وسوريا وفلسطين ، فإن هزيمة إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية أثارت مشكلة مستعمراتها السابقة ، وظهر فى طى هذه المشكلة تصارع أطماع الدول الاستعمارية فى البحث عن مناطق النفوذ والنقط الاستراتيجية والقواعد الحربية، كما بدأ فيها من جهة أخرى كفاح الدول المحبة للسلام من أجل تحرير شعوب هذه المستعمرات وضمان السلام العالمى .

(٢)

عرضت قضية ليبيا — أول الأمر — على مجلس وزراء خارجية الدول العظمى المنعقد بلندن فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، ثم بباريس سنة ١٩٤٦ . وتعارضت آراء الدول الأربع فيما يتصل بليبيا وكانت القضية موضع مساومات بدأت باقتراح أمريكا وضع المستعمرات الإيطالية السابقة فى أفريقيا تحت الوصاية الدولية على أن يعهد إلى إيطاليا بهذه الوصاية ، ثم تبدل موقف الوفد الأمريكى فجأة فأصبح يقضى بانتداب لجنة مراقبة دولية لإدارة هذه المستعمرات عن طريق حاكم عام يعينه مجلس وصاية الدول المتحدة ويعاونه ممثلون لبريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة وإيطاليا ، وممثلون للسكان الوطنيين والأجانب على أن تحدد المدة التى تتمتع فيها البلدان باستقلالها تحديدا حاسما (١)

وأغلب الظن أن هذا التغير الفجائى كان نتيجة لطلب الاتحاد السوفيتى الوصاية على طرابلس ، وقد ذكر مستر بيرنز وزير خارجية أمريكا فى خطابه عن المؤتمر قوله : ومما يذكر هنا أن السوفييت كانوا قد طالبوا فى بداية الأمر بالوصاية على طرابلس قائلين أنهم يريدون الحصول على قاعدة فى البحر

---

(١) الأهرام : الوكالة الفرنسية فى ١٧و١٨و١٩ / ٩ / ١٩٤٥ .

الأبيض المتوسط لسفنهم التجارية(١). ولما كانت أمريكا لا تعد من دول البحر الأبيض ولا يهمها من أمره — إذ ذاك — إلا فتح الأبواب التجارية الأمريكية وتأمين مصالح أمريكا البترولية فى المملكة السعودية ودول الشرق الأوسط ، فقد كان همها الأول أن تبعد الاتحاد السوفييتى عن الميدان وتتركه لإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وهى من دول المعسكر الغربى فيما بعد .

أما فرنسا فقد طلبت تعديل الحدود بين ليبيا وتونس ورأت أن ترد المستعمرات السابقة إلى وصاية إيطاليا حرصا منها على توازن القوى الدولية فى منطقة البحر الأبيض ، وإبقاء على نفوذها فى تونس والجزائر ، وكان معنى تعديل الحدود ضم أجزاء من ليبيا وخاصة فزان التى تحتلها القوات الفرنسية .

وقد تقدمت فرنسا إلى مؤتمر وزراء الخارجية بالمطالب الآتية : —

١ — استرجاع الأراضى الواقعة بين غدامس وغات وبين غات وتمو وهى التى تنازلت عنها فرنسا لإيطاليا فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩١٩ .

٢ — استرجاع الأراضى الواقعة شمال بتستى وأنيدى وهى التى تنازلت عنها فرنسا لإيطاليا كذلك فى ٧ يناير سنة ١٩٣٥ .

٣ — إلحاق غدامس وغات بحكومة الجزائر بدعوى أنهما مركزان عسكريان .

٤ — إلحاق فزان بحكومة الجزائر بدعوى أن فزان نقطة التقاء أفريقيا الفرنسية الشمالية بمستعمرة تشاد الفرنسية وباعتبار أن الفرنسيين افتتحوها عنوة بقيادة الجنرال لوكلير .

٥ — تعديل حدود ليبيا — تشاد بالاستيلاء على منطقة السارة والمنطقة العشبية التى تليها لإدخال جميع المواقع شمال بتستى ضمن الحدود الفرنسية .

---

(١) الأهرام : ١٧ / ٧ / ١٩٤٦ .

٦ — إعطاء فرنسا السيطرة على منطقة الساحل الطرابلسى الغربية حتى مدينة خمس لإيجاد منفذ لمستعمرات فرنسا فى أفريقيا الوسطى على البحر الأبيض المتوسط (١) .

ووقفت بريطانيا منذ البداية موقفا غامضا ، فقد صرحت بأنها لا تريد ضم أراضى جديدة ، ولكنها فى الوقت نفسه أكدت أنها لم تحتل هذه البلاد لفائدة دول أخرى ، ثم ظهرت رغبتها فى أن تحتل مركزاً خاصاً فى برقة واعتمدت فى ذلك على الوعد الذى قطعته للسنوسى . وكانت الصحف البريطانية صريحة كل الصراحة فى بيان موقف بريطانيا فقد نشرت جريدة التيمس مقالا عن المستعمرات الإيطالية قالت فيه : إن إقامة حكومة وطنية فى برقه على عرار شرق الأردن هى الحق الواضح البين الذى يرضى عنه كل أحد غير المصريين الذين يطمعون فى توسيع إدارتهم الأقليمية ومسئولياتهم السياسية (٢) وقالت فى اليوم التالى : وقد مكثت هذه البلاد (برقة) تحت الإدارة العسكرية البريطانية منذ طردت القوات الألمانية والايطالية نهائيا منها فى عام ١٩٤٢ ، ويلوح أن جميع الأسباب تقضى باطالة أمد الترتيب الحالى وتنظيمه وبذلك تبقى بريطانيا مسئولة عن إدارتها وعن المحافظة على القانون والنظام إلى أن تؤلف فيها دولة مستقلة . وفى هذه الأحوال ستكون بريطانيا ملزمة بالعمل لرقى البلاد الاقتصادى ويكون لبرقة مكانها الصحيح فى وضع المشروعات التى يراد بها الرخاء المشترك لجميع شعوب الشرق الأوسط .

وانتقلت التيمس إلى الحديث عن طرابلس فقالت : إنه لم تتعين دولة خاصة لإدارتها ويلوح أن روسيا لن تتمسك بمطالبها التى لمح بهـــا المسيو

(١) الأهرام ١٧ / ٢ / ١٩٤٩ .
(٢) الأهرام — رويتر ١٩٤٥/٩/٢١
(٣) الأهرام — رويتر ١٩٤٥/٩/٢٢

مولوتوف فإنها تكاد لا تصلح لإيجاد حـــل مرض لمشكلة طرابلس ، أما الاقتراح الآخر وهو أن يترك لإيطاليا إدارة طرابلس تحت إشراف خاص من مجلس يؤلف هناك وتمثل فيه الأمم المتحدة ، فإنه قد يستحق البحث إذا استطاعت إيطاليا إنشاء حكومة إيطالية ذات مقدرة إدارية من ناحية وحائزة لثقة الشعب الإيطالى من ناحية أخرى . وربما أن الوقت لم يحن بعد لإصدار قرار نهائى فى هذا الموضوع[١] .

وقد أرسلت إيطاليا وفداً برئاسة السنيور دى جاسبيرى إلى مؤتمر وزراء الخارجية يمثل وجهة النظر المتحدة التى اتفقت عليها أحزاب اليمين والوسط فى إيطاليا . وهو برنامج يرمى إلى محاولة الاحتفاظ بجميع أراضى إيطاليا إذا أمكن مع محاولة إيضاح التضحيات التى بذلتها إيطاليا إلى جانب الأمم المتحدة وقد صرح السنيور دى جاسبيرى فى خطبة له بأن المستعمرات التى حصلت عليها إيطاليا قبل الحكم الفاشستى بمساعدة بريطانيا أو برضاها كليبيا وأريتريا والصومال يجب أن تظل لإيطاليا للمحافظة على التوازن الدولى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولإعطاء إيطاليا منفذا للهجرة[٢] .

وكانت سياسة أحزاب اليمين والوسط تجد مقاومة شديدة من أحزاب اليسار فى إيطاليا وقد نشرت جريدة أونيتا Unita الإيطالية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ التصريح التالى للسنيور بالميروتولياتى سكرتير الحزب الشيوعى الإيطالى قال : إن فتوحات الإمبراطورية الاستعمارية كبدت الشعب الإيطالى خلال ستين عاما مغامرات شاقة وحملته قسطاً كبيراً من الدخل الوطنى كما أنها كبدت الايطاليين فقد حريتهم مرتين . ونحن كإيطاليين صميمين نفكر وننظر من الناحية الوطنية بصفتنا شيوعيين لا نجيز الاستعمار إطلاقا ، وذلك

---

(١) المصرى — رويتر ١٩٤٥/٩/٢٢

(٢) الوكالة الفرنسية — الأهرام — ١٩٤٥/٩/١٧

نتيجة للتجارب التى أسفر عنها الاستيلاء على مستعمرات فى عالم لم يكن فيه ثمة مستعمرات يسهل الاستيلاء عليها ، ولم يكن من المصلحة الاستيلاء عليها، الأمر الذى سبب لنا كوارث ومشاكل فى الماضى . ومن المحقق أنه فى حالة بقاء هذه المستعمرات فى أيدينا عشرات السنين المقبلة لاتزال أمامنا مهمة إنعاش إيطاليا اقتصادياً ـ وهى مهمة شاقة ـ فإن هذه المستعمرات لن تعطينا أية مساعدة جدية . وإنى أعلم أن هذه الآراء تلقى معارضة من أولئك الذين يتكلمون عن نجاح بعض التجارب الاستعمارية التى قامت بها الحكومات الإيطالية فى أفريقيا ، أو يقولون باعتبار المستعمرات الإيطالية فى أفريقيا أو يقولون باعتبار المستعمرات الإيطالية منفذا للهجرة . وعلى الأولين يكون جوابى أنه إذا كانت هذه التجارب ـ فى الواقع ـ حقيقة ثابتة وليست مجرد دعاية وطنية متطرفة تخفى تحتها تدابير ومساومات مالية على حساب الغير على الطريقة الفاشية ـــ فالأفضل أن نقوم بهذه التجارب فى بلادنا حتى نصلح قسما من أراضينا ، وأما عن الآخرين فأنا أجيب بأن مشكلة المهاجرة عندنا لن تجد حلالها فى أراضى كالأراضى التى تحتوى على المستعمرات الإيطالية وأن إيطاليا الديموقراطية تستطيع اليوم أن تكسب كل شىء ولا تخسر شيئا إذا هى أصبحت فى طليعة العاملين على تحرير الشعوب المستعمرة(١) .

وبين هذه التيارات المتعارضة لم ينته مجلس وزراء الخارجية إلى حل لمسألة المستعمرات الإيطالية السابقة حتى عقد دورته التالية فى باريس فى ٢٥ إبريل سنة ١٩٤٦ . وفى هذه الدورة أيضاً استمرت المساومات بين الدول الكبرى وبدأت بتعديل المسيو مولوتوف الاقتراح السوفيتى بطلب الوصاية على طرابلس إلى إخضاع برقة وطرابلس لإشراف هيئة الأمم على أن يكون الحاكم فى طرابلس روسيا وفى برقة بريطانيا أو أمريكيا ويعاون هذين الحاكمين

---

(١) حقائق الكفاح الوطنى فى ليبيا ص ٤٢ ـ ٤٣

لجنة استشارية دولية تضم اثنين من ممثلى الشعب وفى حالة طرابلس يكون للحاكم السوفييتى نائب إيطالى .

وكما كان الاقتراح السوفييتى سببا فى تغيير موقف الوفد الأمريكى فى لندن فقد أبدى مستر بيفن على أثر هذا الاقتراح المعدل اقتراحا بريطانيا يقضى بإعلان استقلال ليبيا بجزئيها طرابلس وبرقة وضمهما فى دولة واحدة فوراً وشفع الوزير البريطانى اقتراحه بقوله «إن هذه المستعمرات تقع على شريان الحياة للمتلكات البريطانية ومواصلاتها» وقال : إن تحرير جميع هذه المستعمرات قد تم على أيدى القوات البريطانية وقوات الأمبراطورية التى كانت تقاتل بمفردها فى هذا الميدان وإن بريطانيا وعدت العرب بما فيهم الزعيم السنوسى بعدم إعادة هذه المستعمرات إلى إيطاليا . وقال الوزير البريطانى فى استناده إلى وعد السنوسى، إن بريطانيا تعتبر نفسها مقيدة بالتزامات الشرف فى هذه الوعود . (١) ويكفى فى بيان مرمى الاقتراح البريطانى أن نذكر تعليق جريدة كومبا الفرنسية عليه : أن استقلال طرابلس له مفعول السحر فى تسوية المشاكل الحيوية للامبراطورية البريطانية فى شئون البحر الأبيض المتوسط فإن هذا الاستقلال يعنى فى نظر بريطانيا استرداد نفوذها كله فى الوقت الذى يعلن فيه المارشال سمطس أن الأمبراطورية لا تستطيع الموافقة على جلاء البريطانيين عن مصر ، ثم إن طرابلس هى بالفعل تحت السيطرة الانجليزية (٢) .

وقد رد الوزير السوفييتى على المناورة البريطانية بأن دولته تتخلى عن اقتراحها وتقبل الوصاية الإيطالية على ليبيا، فأيدت بريطانيا وصاية إيطاليا على

---

(١) الأهرام — ١ / ٥ / ١٩٤٦
(٢) الأهرام — ٢ / ٥ / ١٩٤٦

طرابلس بشرط أن تكون لها الوصاية على برقه . وأيدت بريطانيا أيضاً مطالب فرنسا فى طرابلس . على أن هذه الاقتراحات لم تنل موافقة أعضاء المؤتمر فتقدم مستر بيفن بمشروعى قرارين : الأول ؛ فى صيغة مادة تنصها معاهدة الصلح مع إيطاليا ، والثانى ؛ فى صيغة قرار يوقعه الوزراء الأربعة .

جاء فى المادة المقترحة : ١ — تنزل إيطاليا عن جميع حقوقها فى ممتلكاتها الأفريقية . ٢ — إلى أن يصدر قرار نهائى فى شأن هذه الممتلكات تبقى خاضعة لنظام الحكم الحالى . ٣ — ستتخذ الدول العظمى الأربع قراراً نهائياً فى هذا الشأن خلال سنة من التاريخ الذى يبدأ فيه تنفيذ المعاهدة .

وجاء فى القرار المقترح : ١ — اتفق وزراء الخارجية على أن يقرروا مصير الممتلكات الإيطالية فى أفريقيا خلال سنة من التاريخ الذى يبدأ فيه تنفيذ المعاهدة المبرمة معها ٢ — تقرر الدول العظمى الأربع مصير هذه الممتلكات وفقا لأحد الأنظمة الآتية أو لبعضها متدامجة وعلى أن يشمل النظام المقرر جميع الممتلكات أو يقتصر على جانب منها حسبما تمليه رغائب الأهالى وما تدلى به الحكومات صاحبة الشأن من وجهات النظر : (ا) الاستقلال (ب) الانضمام إلى أحد البلدان المجاورة (ج) الوصاية وتتولاها هيئة الأمم المتحدة أو إيطاليا أو إحدى الدول المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة ٣ — إذا لم تتفق الدول الأربع على حل عرضت المسألة على الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لتوصى بما تراه ، وتتعهد الدول الأربع أن تقبل توصيلات الجمعية العمومية وتنفذها مع مراعاة الوعود التى بذلتها الحكومة البريطانية للسنوسيين أبان الحرب . ٤ — سيوالى مندوبو وزراء الخارجية البحث فى مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة ويخولون الحق فى إيفاد لجان تحقيق إليها تجتمع المعلومات التى يبنون عليها توصياتهم لوزراء الخارجية فى شأن الحل النهائى للمسألة .[1]

---

(١) الأهرام — ٥ / ٧ / ١٩٤٦

وقد وافق وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى على المادة والقرار المقترحين .

(٣)

وفى أغسطس سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر الصلح بباريس لأعداد معاهدة الصلح مع إيطاليا . وقد تولى الوفد المصرى فى المؤتمر برياسة واصف غالى باشا الدفاع عن حق ليبيا فى الاستقلال ، فقال بعد أن أشار إلى مطالب مصر فى التعويضات من إيطاليا ومطالبها فى تعديل الحدود عند الجغبوب والسلوم : كانت الصلات جد وثيقة بين مصر وليبيا فى مختلف العهود فاشتركتا فى السراء والضراء ولم يطرأ أى تبديل على حالة أهلها بعد انفصالهما ، فبينهما ماتعلمون من وحدة الجنس واللغة والدين والتقاليد . فمن الطبيعى أن نتطوع للاعراب عن مطالب ليبيا . لقد كان لها أبطالها وشهداؤها فى قتالها مع الدولة التى احتلتها سنة ١٩١١ فمن الطبيعى أن تعود إليها حريتها التامة ، وإذا احتاجت إلى مرشدين أو مستشارين فى عهدها الأول بالاستقلال فإن إخوتها من الأمم العربية لتبادر إلى إسدائها العون . ولا شك فى أن الدول الحليفة والمشتركة سيدفعها الوفاء للعدل وهو المثل الأعلى الذى حاربت من أجله إلى الحرص على الاعتراف بليبيا دولة مستقلة ذات سيادة بعد تحريرها بقوة السلاح . وريثما يتم لها هذا الإستقلال يمكن إسناد إدارتها إلى عضو من جامعة الدول العربية بتفويض من مؤتمركم أما التحدث عن قوة الإشراف الإيطالى عليها فمعناه إغفال الحوادث التى وقعت فى السنوات الست الأخيرة ، وتحدى المنطق السليم فأى سلطة ، بل أى مهابة قد تكون للموظفين الايطاليين إزاء الوطنيين ؟ كيف يعود الغازى بعد أن ظل مهزوما لاتقوم له قائمة . بل كيف يعود بحماية هازميه أو برقابتهم عليه؟ ألا يكون من شأن عودته إيقاظ الضغائن وإشعال الفتن وبعث الشك

فى النصر ، أهذا ما تريدون ؟ (١) .

وقد أيد الوفد الهندى استقلال ليبيا وأضاف قوله : وقد سبق لنا أن ذكرنا فى معرض الحديث عن المستعمرات الإيطالية السابقة أن إتخاذ أى قرار بشأنها ينبغى أن يكون مطلقاً لرغبات وأمانى الشعوب التى تقطنها إذ من حق تلك الشعوب — شأنها فى ذلك شأن الشعوب الأخرى — أن تحدد بنفسها مصايرها ويجب على دول الحلفاء أن تطبق فى أقرب وقت مستطاع تطبيقا عاما مبادئ ميثاق الأطلنطى التى تنص أن من حق الشعوب أن تختار نظم الحكم التى تؤثرها (٢) .

وخطب مستر بيفن فقال باسم بريطانيا إننا نعتقد أن ثمة رغبة حقيقية عند عرب لوبيا فى الحكم الذاتى وأنه ينبغى التوفيق بصورة مابين هذه الرغبة وبين الحقيقة التى لاشك فيها وهى انه لا يزال فى شمال طرابلس عدة آلاف من المستعمرين الإيطاليين . وأما فيما يتعلق ببرقة فإننا نحب أن نذكر مرة أخرى أننا قد تعهدنا علنا فى الماضى بأن لا يخضع السنوسيون مرة أخرى للحكم الإيطالى (٣) .

وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ عقدت معاهدة الصلح مع إيطاليا ، وتتعلق المادة ٣٣ والملحق ١١ بمستعمرات إيطاليا الأفريقية ، وتنص المادة على أن إيطاليا تتنازل عن جميع حقوقها فى تلك المستعمرات ، وحتى يتم البت نهائيا فى مصير هذه المستعمرات تستمر الادارة الحالية قائمة فيها . والملحق ١١ أربع فقرات :

١ — أن الدول الأربع ستشترك فى البت نهائيا فى مصير الممتلكات الإيطالية فى غضون السنة الأولى التالية لبدء تنفيذ المعاهدة .

---

(١) الاهرام ١٩٤٦/٨/٢٣

(٢) الاهرام ٢٣/ ٨/ ١٩٤٦

(٣) الاهرام ١٩٤٦/١٠/٩

٢ — البت فى مصير تلك المستعمرات يجب أن يتم وفقاً لرغبات السكان ومصالحهم ووفقاً لمصالح السلام والأمن العالميين مع عدم تجاهل رغبات الحكومات الأخرى ذات المصلحة .

٣ — إذا لم تستطع الدول الأربع الاتفاق على مصير إحدى تلك المستعمرات فى غضون العام الأول من تنفيذ المعاهدة الإيطالية يحال الأمر إلى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة لتقديم توصياتها . وتتعهد الدول الأربع بقبول تلك التوصيات واتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذها .

٤ — النص على دعوة وكلاء خارجية الدول الأربع لدراسة المسألة وتقديم توصياتهم إلى مجلس وزراء الخارجية » . وقد طلب إلى الوكلاء إرسال لجان تحقيق إلى المستعمرات الإيطالية السابقة .

وواضح أن نصوص معاهدة الصلح هى عين ما اتفق عليه وزراء خارجية الدول الأربع ، وأهم ما يلاحظ عليها إسقاط حق إيطاليا فى مستعمراتها ، وحرص بريطانيا وفرنسا على الإبقاء على الإدارة العسكرية وإفساح المجال أمامها لتمكين نفوذها ، ومحاولة تأجيل القضية إلى أبعد أمد مستطاع .

(٤)

واجتمع مندوبو وزراء الخارجية الأربع فى لندن يوم ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٧ تنفيذاً لمعاهدة الصلح مع إيطاليا ، وكانت خطة عملهم ذات مراحل ثلاث :

الأولى : تكليف لجنة الدول الأربع الكبرى بحث أحوال المستعمرات من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

الثانية : المشاورات فى المستعمرات وفى لندن ومع الحكومات الأخرى كإيطاليا والحبشة ومصر والهيئات الأخرى كالجامعة العربية لعرض وجهات نظرها وطلباتها المتعلقة بالمستعمرات . والمرحلة الأخيرة إعداد

ملخص لكل ذلك وكتابة تقرير عنه ووضع قرار متفق عليه إن أمكن ، يقدم إلى مجلس وزراء الخارجية .

وقد عارضت الحكومة الأمريكية فى أول الأمر فى إرسال لجنة التحقيق إلى ليبيا لفحص الأحوال فيها لأن ذلك يتيح للاتحاد السوفيتى فرصة التدخل فى مشكلة تحرص أمريكا وبريطانيا على إبقائها فى أيديهما[١]. على أن مؤتمر الوكلاء انتهى بأن عين لجنة التحقيق وحدد مدة عملها بستة أشهر إلى سبعة ابتداء من يوم مغادرتها لندن ، وأصدر إليها تعليماته وتقضى بجمع البيانات والمعلومات عن المستعمرات الإيطالية السابقة ، ويجب أن تشمل بحث الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورغبات ومصالح سكانها . وجعل للجنة الحق فى الاستعانة بجميع الهيئات الإدارية والموظفين الرسميين والهيئات الأخرى والسكان ، وخول لها حق الاستعانة بجميع المصادر التى تجدها ، وأوجب أن تفضى كل هيئات السكان بوجهات نظرها وأن تزور اللجنة الأماكن التى يسهل فيها الوقوف على آراء السكان ، كما جعل للجنة أن تبحث مسائل أخرى لتحديد الحدود بين البلاد . وطلب إلى اللجنة ألا تشتمل تقاريرها على تصريحات بشأن تقرير المصير النهائى للمستعمرات السابقة فتلك مسألة تناط مسئوليتها بوكلاء الخارجية ثم بمجلس وزراء الخارجية (٢) .

عينت لجنة التحقيق فى العشرين من أكتوبر سنة ١٩٤٧ ووصلت إلى ليبيا فى ٦ مارس سنة ١٩٤٨ وبقيت هناك حتى ٢٠ مايو سنة ١٩٤٨ تجرى تحقيقاتها فى كل من مناطق ليبيا الثلاث على حدة ، فمكثت فى طرابلس أربعين يوما وفى فزان عشرة أيام وكان المقرر ستة عشر يوما ، وفى برقة خمسة وعشرين يوما .

---

(١) المصرى — ١٩٤٧/١٠/٦

(٢) المصرى — ١٦ / ١٠ / ١٩٤٧

ووضعت اللجنة تقريراً مفصلاً عن تحرياتها ودراساتها للأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وينقسم التقرير إلى خمسة أجزاء ، الأول مقدمة والثانى عن طرابلس والثالث عن فزان والرابع عن برقة والخامس استنتاجات عامة عن ليبيا . ويشتمل كل جزء على ستة أقسام : الأول مقدمة والثانى عن السكان والتكوين الاجتماعى والأحزاب والصحافة والنظام الإدارى والقضائى والقانون والثالث عن الأرض والموارد الطبيعية والمالية والتجارية والصناعة والنقل والنظام الاقتصادى والرابع عن العمل والتعليم والصحة العامة والحياة الأدبية والمادية والخامس عن رغبات السكان والسادس عن نتائج عامة .

وجاء فى المقدمة التى وضعتها الإدارة السياسية بالجامعة العربية عند ترجمتها التقرير ما نصه : « واستقت اللجنة معلوماتها من الإدارة العسكرية المحتلة للبلاد ، ومن الأفراد والجماعات حتى الايطالية وغير الايطالية حيثما وجدت فى مكان زارته اللجنة — ومن تلك الأفراد والجماعات من كان على اتصال بالإدارة العسكرية المحتلة للبلاد ، وفى طريق رجوعهم مر رؤساء الوفود بروما حيث أمضوا ثلاثة أيام استمتعوا خلالها لأقوال ممثلى الإيطاليين — الجمعيات والأفراد — الذين سبق أن أقاموا فى المستعمرات الإيطالية السابقة . ولا يمكن القول بأن الإحصاءات والبيانات التى اعتمدت عليها اللجنة كاملة أو متفقة فى كل الأحيان أو حتى صحيحة ، ولم يكن لدى اللجنة من الوقت ما يمكنها من أن تتحقق من دقتها وخصوصا وقد كان معظمها من أو تحت إشراف الإدرات العسكرية المختلفة التى تحتل البلاد . وقد ذكرت اللجنة فيما يتعلق بفزان حيث توجد إدارة فرنسية أن المعلومات التى قدمتها تلك الادارة كانت غير وافية وغير تامة (١) » .

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — الترجمة العربية — ص ٢

وتنعكس فى التقرير الخلافات القائمة بين الدول الكبرى، وكثيرا ما يتعذر على المندوبين الاتفاق على عبارة أو فكرة ، وأوضح مظهر لهذا الخلاف القسم الخاص برغبات السكان فقد وضعت له اللجنة نصين : الأول إنجليزى والثانى روسى ، وكذلك الحال فى الاستنتاجات العامة فى خاتمة التقرير .

وهذه الاستنتاجات العامة هى خلاصة توصيات اللجنة ، وقد جاء فى النص الفرنسى الأمريكى الإنجليزى ما يلى : — تدير ثلاث إدرات عسكرية محتلة — الآن — مستعمرة ليبيا السابقة ، وتفترق المناطق الثلاث الواحدة عن الأخرى بصحراء واسعة الأطراف ، وهناك مكانان رئيسيان للمنتجات الزراعية هما الجبل الأخضر فى برقة وجبل نفوسة والواحات الساحلية فى طرابلس . ولكل منهما أرض للمرعى متاخمة ولكنها تخف تدريجيا نحو الجنوب إلى أن تختفى ويتخللها بعض الواحات .

ومعظم السكان فى برقة قوم رحل وفى بقية ليبيا فان أكثرية السكان متمدنون ونصف رحل . ومعظم السكان مسلمون فى كل البقاع . وخارج المدن ينقسم السكان إلى قبائل وشبه قبائل . ونفوذ الشيوخ عظيم فى برقة ولكن فى طرابلس ضعف هذا النفوذ وتهدم النظام القبلى التقليدى . وكل القطر فقير فى المواد الطبيعية ويعتمد على مساعدات مالية من الخارج ، وليس هناك أى جزء من ليبيا يمكن القول عنه إنه يكفى نفسه اقتصاديا . ويعتمد كل قسم من هذه الأقسام إلى حد ما على مساعدات أجنبية فى الإدرات الفنية والاقتصادية والإدارية .

والتكوين السياسى والاجتماعى الذى لا خلاف فيه يكاد يكون موجودا فى برقة ، وهو أساس جيد لتكوين الحكم الذاتى . أما سكان فزان فهم قليلو العدد ومواردها الطبيعية فقيرة لا تمكن هذه المنطقة من أن تستقل .

وأكثرية الليبيين غير متعلمين ودرجتهم من العقلية السياسية ليست عالية ، ولا يوجد قسم فيهم مستعد للحكم الذاتى .

فى طرابلس يودُّ معظم السكان الاستقلال حالا ، والرغبة فى الوحدة والعضوية بجامعة الدول العربية مرغوب فيها وأن لم يؤكدوا ذلك بشىء ، وهم يعارضون فى رجوع الإدارة الإيطالية ويعارضون فى أية سيطرة أجنبية ، وكثيرون منهم عبروا عن هذا . أما العلاقات الفردية بين العرب فهى جيدة .

فى فزان : يكتفى السكان بالإدارة الحاضرة ولم يفكروا كثيراً فى تغيير النظام وان كان الكثيرون يريدون حكومة إسلامية ، ولا يوجد أى شعور ضد الإيطاليين .

فى برقة : أكثرية السكان يريدون الاستقلال تحت إمرة السيد محمد إدريس السنوسى بينما الباقون يتبعون المصير الذى يزيده هو لهم . ولا يوجد شعور كبير من السكان نحو الوحدة ، وهم يوافقون فى بعض الأحيان على الوحدة ولكن تحت شروطهم هم فقط . وهم يعارضون بشدة فى رجوع الإيطاليين .(١)

وجاء فى نص المندوب الروسى ما يلى : —

تبلغ مساحة ليبيا حوالى مليون كم مربع وعدد سكانها ١٫١٥٠٫٠٠٠ نسمة الآن ، وقبل الحرب العالمية الثانية كانت ليبيا تعتبر وحدة جغرافيا وعنصريا واقتصاديا ولغويا ودينيا وثقافيا ، وكذلك بالنسبة لطريقة حياة السكان .

والأراضى المنتجة فى ليبيا واقعة على الساحل ووراءها صحراء ، وأكثرية السكان من العرب ، وعلاقاتهم الاقتصادية مع العالم الخارجى مستمرة عن طريق

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — ص ٩٤ .

البحر . واللغة الأولى هى اللغة العربية والدين المنتشر هو الإسلام ، ومعظم السكان غير متعلمين ، وهم يحافظون على حياة الرحل ونصف الرحل ، وبسبب التقسيم المصطنع لهذه المنطقة الموحدة فإن الاختلافات المحلية قد كثرت فى مدة بعد الحرب ، ومن الممكن إهمالها أمام وحدتها الاجتماعية والطبيعية لأن عوامل بعد الحرب الاختلافية والمتصلة بالمصالح الأجنبية تعتبر عوارض للتقدم الاقتصادى والاجتماعى الطبيعى لليبيا ، ويتوازن هذا كثيراً بالعوامل المتصلة بالمصالح الوطنية للشعب الليبى نفسه ، ويؤكد هذه الحقيقة أن أكثرية الليبيين الذين سئلوا أمام اللجنة عبروا بوضوح عن رغبتهم فى وحدة بلادهم . »(١)

وبمقارنة النصين نرى أن وحدة ليبيا حقيقة مقررة عند المندوب الروسى بينما ينكرها مندوبو انجلترا وفرنسا وأمريكا ، ونرى النص الروسى يشير إلى الأثر السيىء الذى خلفته الإدارات العسكرية فى تمزيق اقتصاد البلاد وتمكين المصالح الأجنبية وبث الخلافات بين الأهلين على حين لا يشير مندوبو دول الغرب إلى شىء من ذلك بل نراهم يؤكدون تأخر البلاد وحاجتها للمساعدات الأجنبية ، وفى الوقت الذى يقررون فيه أن طرابلس قد تطورت عن النظام القبلى الذى لا زالت برقة خاضعة له فإنهم يرون برقة جديرة بالحكم الذاتى ولا كذلك طرابلس ، وإذا قلنا إن هذا صدى لأطماع بريطانيا فى برقة فإن أطماع فرنسا صريحة فيما تضمنه التقرير عن فزان .

(٥)

وفى ١٣/٩/١٩٤٨ اجتمع مندوبو وزراء الخارجية فى باريس ، فكان اجتماعهم قبل يومين من نهاية السنة المحددة فى معاهدة الصلح مع إيطاليا لتقرير مصير مستعمراتها السابقة وكانت الملابسات كلها تدل على عجز وزراء الخارجية

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — الترجمة العربية ص ٩٥ .

عن حل القضية وإحالتها إلى هيئة الأمم . وفى هذا الاجتماع هاجم المسيو فشنسكى المندوب السوفييتى الدول الثلاث وقال إنها تعمل على تقسيم المستعمرات الإيطالية فيما بينها ، فبريطانيا تريد وضع برقة تحت وصايتها بينما تطمع فرنسا فى استقطاع إقليم فزان من جنوب ليبيا وضمه إلى الأراضى الخاضعة لنفوذها ثم اتهم أمريكا بأنها أخلت بشروط معاهدة الصلح الإيطالية بأن أقامت مطار هويلس على سواحل طرابلس فى منطقة الملاحة . واقترح الاتحاد السوفييتى أن توضع المستعمرات الايطالية السابقة بالحدود التى كانت لها حتى سنة ١٩٣٤ تحت وصاية ايطاليا وأن يكون القرار النهائى الذى يتخذ فى شأن المستعمرات شاملا لها كلها لا عن جزء منها دون الأخرى (١) .

وقد ردَّ مندوب أمريكا بأن معاهدة الصلح الإيطالية لم تنص على أنه لايجوز إقامة مطارات فى المستعمرات الإيطالية وأن المطار الأمريكى المقام فى الملاحة سيظل قائما إلى أن يبت فى مصير طرابلس . ودافع مندوب أمريكا عن سياسة بريطانيا فى برقة فقال إن أهالى برقه لا يرغبون فى عودة إيطاليا إلى حكمهم وإنهم يؤثرون الإدارة البريطانية فموقف بريطانيا لا ينطوى على أية رغبة استعمارية لأنه قائم على رغبات الأهالى أنفسهم من ناحية ورغبات الدول التى يهمها مباشرة مصير المستعمرات الإيطالية مثل مصر التى تجاورها برقة وأثيوبيا التى تجاورها إريتريا (٢) .

ورد مسيو كوف دى مورفيل رئيس الوفد الفرنسى بأنه يسره أن يذكر الرفيق فشينسكى بأن المسيو بيدو اقترح فى اجتماع وزراء الخارجية الذى عقد فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٥ وضع المستعمرات الإيطالية تحت وصاية إيطاليا (٣) .

(١و٢و٣) الاهرام — ١٥/٩/١٩٤٨

ويتضح من هذه المناقشات أن تبدل الأوضاع السياسية منذ نهاية الحرب قد جعل الدول الكبرى تتبادل أطرافا مختلفة فى حل المشاكل الدولية . وأخص ما يلاحظ فى هذه الفترة تبدل الموقف من إيطاليا ، فقد أصبحت إيطاليا نقطة من نقط الصراع المتجمع بين الشرق والغرب إذ قد أسفرت انتخابات سنة ١٩٤٦ عن فوز الديموقراطيين المسيحيين بتأييد الدول الغربية وكان الحزب الشيوعى أقوى أحزاب المعارضة ، وأخذت إيطاليا تتلقى عوناً كبيراً من أمريكا ، وأشركت فى مشروع مارشال ، وحدث بينها وبين فرنسا اتفاق اقتصادى جمركى ؛ ورغب الاتحاد السوفييتى من جهة أخرى أن يقوى مركز اليساريين الايطاليين ، ومن هنا تبدل موقفه من اعادة المستعمرات إلى ايطاليا لكسب الرأى العام ، وإن كان موقف الشيوعيين من الاستعمار والمستعمرات معروفا كما نقلناه عن السنيور تولياتى . وقد ردت أمريكا وانجلترا وفرنسا على موقف الاتحاد السوفييتى هذا بأن طالبت بإرجاع تريستا إلى إيطاليا .

وقد استمر مندوب الاتحاد السوفييتى فى محاولة الانتهاء إلى حل للمسألة فعاد فى الاجتماع الثانى يقترح وضع المستعمرات الإيطالية تحت الوصاية الدولية ، فاعترضت فرنسا وأمريكا وإنجلترا على ذلك ، فاقترح أن يعين مجلس الوصاية الدولة أو الدول التى توضع المستعمرات تحت وصايتها على أن يؤلف مجلس استشارى من سبع دول من الأمم المتحدة لمساعدة الدولة أو الدول الوصية على المستعمرات . وكان آخر اقتراح للمندوب السوفييتى أن تمنح ليبيا الاستقلال بعد عشر سنوات وإلى أن يحين ذلك الوقت توضع تحت الوصاية الدولية ويؤلف مجلس استشارى من سبعة أشخاص يختارون من ممثلى انجلترا وروسيا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا وأحد أبناء البلاد وأحد السكان الأوروبيين .

على أن مندوبى وزراء الخارجية الآخرين رفضوا هذه الاقتراحات جميعاً

ولم يتقدموا بغيرها ، وإنما كان واضحاً أن خطة مندوبى انجلترا وفرنسا وأمريكا هى ألا تحل هذه القضية فى مجلس وزراء الخارجية الذى تصدر عنه القرارات بالإجماع ، وإنما تحال إلى هيئة الأمم المتحدة حيث تكون للدول الغربية أغلبية يمكن بها إقصاء الاتحاد السوفيتى عن الاشتراك فى أمر هذه المستعمرات . وعلى هذا النحو أخفق مجلس وزراء الخارجية فى إيجاد حل لمشكلة ليبيا وأحيلت القضية على الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

(٦)

جاء فى تقرير السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة عن إحالة مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة إلى هيئة الأمم المتحدة ما يلى : «فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ تقدمت حكومات الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا إلى السكرتير العام بطلب إحالة مصير المستعمرات الإيطالية السابقة إلى الجمعية العامة تنفيذا للمادة ٢٣ وبند ٣ من الملحق ١١ من معاهدة الصلح مع إيطاليا . وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٨ أدرجت الجمعية العامة المسألة فى جدول الأعمال وأحالتها إلى اللجنة الأولى لفحصها وتقديم تقرير عنها إلى الجمعية . ولما لم يكن لدى اللجنة وقت لدراسة الموضوع فى القسم الأول من الدورة الثالثة العادية المعقودة فى باريس رأت اللجنة دراسة المسألة فى ليك سكسس فى ١٦ إبريل سنة ١٩٤٩ فى بداية القسم الثانى من الدورة الثالثة العادية[1] .»

والواقع أن مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة كانت النقطة الرابعة فى جدول أعمال اللجنة السياسية فى باريس وتليها مسألة استقلال كوريا .

---

(1) Ropport Annuel du Secrctaire General - juillet 1948 - 30 juin 1949 p. 36.

ولكن حدث أن تقدم الوفد الأمريكى بطلب تقديم مسألة كوريا وتأجيل مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة ، وعارض ذلك الاتحاد السوفيتى والوفود العربية . وقد وافقت الأغلبية على التأجيل ، وغير خاف أن السياسة الإنجليزية الفرنسية الأمريكية كانت ترمى إلى إطالة أمد البحث فى هذا الموضوع لأن فى ذلك — كما ذكرنا — إتاحة الفرصة لتمكين أقدامها فى ليبيا التى تحتلها قواتها وتديرها إدارات عسكرية تابعة لإنجلترا وفرنسا . وكان الاتحاد السوفيتى والدول العربية ترى الحيلولة دون ذلك وسرعة البت فى مصير البلاد الليبية بتأييد وحدتها واستقلالها . وقد صرح رئيس وفد مصر بقوله : «إننا مهتمون أشد الاهتمام بمشكلة المستعمرات الإيطالية السابقة التى طرحت على بساط البحث والنقاش فى الجمعية العامة ، ونحن نريد لليبيا الوحدة والاستقلال ، ومن الخير كل الخير أن تظفر ليبيا باستقلالها فى الحال . ولا نرى ما يدعو إلى تأجيل البت فى هـذه المشكلة . إن جارتنا ليبيا تريد الظفر باستقلالها فى أقرب وقت مستطاع ولهذا اقترعنا ضد إرجاء بحث هذه المسألة[1] » .

(٧)

وكانت القضية الليبية أول نقطة فى جدول أعمال اللجنة السياسية فى أبريل سنة ١٩٤٩ بليك سكسس .

وقد سبق اجتماع اللجنة السياسية مشاورات بين الدول الغربية لتسوية مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة خارج نطاق هيئة الأمم المتحدة ، وكانت السياسة البريطانية هى التى وجهت آراء الدول فى هذه الفترة من القضية .

---

(١) الاهرام ١٢/١٢/١٩٤٨ .

بدأت المشاورات باجتماع بين الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا ومسيو شومان وزير خارجية فرنسا بمدينة كان فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٨ ثم اجتماع شومان وبيفن بباريس فى يناير سنة ١٩٤٩ وكانت إيطاليا قد رسمت سياستها لمساومة حلفاء الغرب على الانضمام إلى الكتلة الغربية التى أخذت تتكون فى مقابل معاضده إيطاليا فى استرجاع مستعمراتها السابقة ، وقد صرح السنيور دى جاسبيرى فى مجلس النواب الإيطالى بقوله : «لقد أبلغت إيطاليا الدول الكبرى أنها تقدر كل التقدير المسائل الاستراتيجية التى تشغل بالها فى الظروف الحالية ، ولكن إيطاليا تعتقد أن هذه المسائل الاستراتيجية لا تتعارض مطلقا مع رغبة الايطاليين فى العودة إلى أفريقيا (١).

وأخذت فرنسا جانب إيطاليا تنفيذا لسياستها التقليدية التى يمليها التنافس الاستعمارى بينها وبين بريطانيا ، ومالت أمريكا إلى تأييد بريطانيا إبعادا لروسيا عن الميدان لأن فى إيطاليا حزبا شيوعيا قويا يهدد المصالح الأمريكية فى إيطاليا ، وإذا امتد نفوذه إلى المستعمرات أيد الشعوب فى كفاحها التحريرى وأفسد خطط أمريكا الاستراتيجية . وكانت الخطة البريطانية تقضى بأن بريطانيا تستند إلى حق الفتح ولن تتخلى عنه إلا إذا وافقها حلفاؤها على التوزيع الذى تريده ، وهو فرض الوصاية البريطانية على برقة والوقوف موقف التريث من طرابلس .

ودارت المناقشات فى اللجنة السياسية حول نقط ثلاث :

(ا) مبدأ استقلال ليبيا . (ب) وحدة ليبيا بمناطقها الثلاث .

(ح) وصاية الأمم المتحدة وتنظيمها . وقد ارتبطت النقطتان الأوليان بنوع وصاية الأمم المتحدة فانقسمت الآراء بين تأييد وصاية دولة واحدة

---

(١) الأهرام ١٩٤٨/٩/٢٩ .

وبين أن تكون الوصاية للأمم المتحدة كلها مباشرة . فكان معنى وصاية الدولة الواحدة إغفال الاستقلال والوحدة وربط ليبيا بعجلة الاستعمار وكانت وصاية الأمم المتحدة المباشرة خطوة فى سبيل تحرير ليبيا . وهكذا أخذت بريطانيا وفرنسا وأمريكا والدول المشايعة لها كدول أمريكا اللاتينية ودول الكومنولث بالمبدأ الأول . ورأت الوفود العربية والآسيوية الأخذ بمبدأ وصاية الأمم المتحدة .

ويمكن أن نلم باتجاه وصاية الدولة الواحدة إذا استعرضنا أهم ما أدلى به مندوب أمريكا وفرنسا وبريطانيا .

قال مندوب الولايات المتحدة الأمريكية (مستر دلز Dulles) إن أهالى ليبيا قطعوا شوطا بعيدا فى طريق الحكم الذاتى ويجب أن تصر الهيئة على أن يمنحوا الاستقلال التام فى أقرب فرصة ، وبالنظر إلى أهمية المنطقة فى الاتزان الاستراتيجى فى البحر المتوسط والشرق الأدنى ينبغى أن توضع ليبيا تحت الوصاية ، ويجب أن تهتم الهيئة بمبدأ تقدم الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتى مع النظر إلى استقلالها القريب . ودون أن يقرر المندوب هل تكون الوصاية على ليبيا كلها أم على جزء منها رأى أنه ينبغى دعوة بريطانيا إلى قبول ادارة برقه [1] .

وقال مندوب فرنسا : إن ليبيا وهى تتألف من طرابلس وفزان وبرقة التى هى أقاليم فقيرة يسكنها قوم رحل ـ عاجزة الآن عن إعالة نفسها أو حكم ذاتها . وأن فرنسا منذ سبتمبر سنة ١٩٤٥ قد أعلنت دائما أن ايطاليا أنسب الدول التى تحمل مسئولية الوصاية . وقد انتقد الاستعمار الايطالى ولكن الجمهورية الإيطالية الجديدة تعرف كيف تعمل بروح الديموقراطية والتقدم

---

(1) United Nations Official Reeords, First Committce 3 Session Part 1, 1949 1p 6 7

ثم إن الأمم المتحدة يكون لها حق الإشراف والمراقبة على مساعدة تلك الشعوب (١) .

وقال مندوب بريطانيا : دلت تقارير لجنة التحقيق على أن مشاكل هذه الأقاليم امراً مشتركا وآراءها ومراحل تقدمها تختلف اختلافا تاما ، وعلى ذلك يجب أن تعالج كل منها على حدة أما الحل الشامل الجامع لها فمحال . أن بين هذه الأقاليم واحدا ، فهى كلها بالقياس إلى المستوى الحديث غير أهل للاستقلال وان أبدت كلها بدرجات متفاوتة رغبتها فيه ، بل ان أكثرها تقدما لا يمكن منحها الحكم الذاتى مباشرة بالنظر إلى تقاليدها وتجربتها وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية وموظفى الإدارة الذين يمكن توفرهم . وهكذا برغم أن ليبيا الموحدة هدف مشروع فإن البلاد قد قسمت إلى ثلاث إدارات وانفصلت أجزاؤها المسكونة بمساحات شاسعة من الصحارى . وإذا كانت فرنسا تتقدم أو تقبل بعض الواجبات فى فزان ، فإن الوفد البريطانى سوف يؤيد ذلك . وقد اقترح الوفد الأمريكى أن توضع برقة تحت وصاية الأمم المتحدة وتوكل إدارتها إلى بريطانيا فإذا قررت الجمعية العامة ذلك فإن المملكة المتحدة ستحاول جاهدة أن تنهض بأعباء هذا الانتداب . وقد وعدت حكومة المملكة المتحدة فى عام ١٩٤٣ أن لا يخضع السنوسيون الذين يسكنون برقة للحكم الإيطالى بحال . وما دامت برقة تحتاج إلى مساعدة خارجية فان المملكة المتحدة يمكنها أن تقدمها والسبب الأساسى لذلك هو رغبة السكان الذين رحبوا - كلما طلب إليهم التفضيل - بالمملكة المتحدة التى ينظرون اليها على أنها حليفتهم . وقد ذكر ذلك فى تقرير لجنة التحقيق عن برقة . إن المملكة المتحدة لم تشأ أن تسبق قرار الأمم المتحدة فتزيد من اشتراك السكان فى السلطة أو الحكم الذاتى ، ومع ذلك

---

(١) المصدر السابق ص ٨ و ٩

فقد مهدت لذلك . وإذا منحت بريطانيا الوصاية على برقة منح السكان مباشرة نصيبا من الإدارة ، ثم إن الأمير السيد إدريس السنوسى - الحائز على ولاء السكان - لا يلبث أن يصبح رأسا للدولة ويكون مسئولا عن الإدارة الداخلية ما دام ذلك لا يتعارض مع الواجب الموكول إلى المملكة المتحدة .

أما عن طرابلس فإن أهلها ليسوا كأهل برقة من حيث التجانس ، وليس فى وسع المملكة المتحدة إلا أن تذكر نقطتين : (١) أنها لا ترغب فى الاحتفاظ بسلطاتها الإدارية . (ب) ينبغى الاسراع باتخاذ قرار فى مصلحة السكان . وقد سئلت المملكة المتحدة عن وجهة نظرها فى إمكان استمرارها فى إدارة ذلك الإقليم على أن يكون ذلك لسنوات قليلة ، على أن المملكة المتحدة أو غيرها من الدول لا تستطيع إدارة طرابلس حتى لمدة قصيرة فى ظل النظام المحدود الحالى . فإن الاصلاحات التقدمية ضرورية فى الإدارة والتعليم والصحة العامة . وإذا بقيت المملكة المتحدة فى طرابلس وبرقة فان هذه الاصلاحات يجب توحيدها فى الإقليمين وأخيرا يمكن تعديل الحدود الإدارية بينهما[1] .

أما اتجاه الدول العربية والآسيوية ودول شرقى أوربا إلى استقلال ليبيا ووحدتها ووصاية الأمم المتحدة فيمكن أن نلم به إذا استعرضنا أهم ما أدلى به مندوبو مصر والهند والاتحاد السوفييتى :

قال مندوب مصر (أحمد خشبة باشا) : إن مصر تربطها بالمستعمرات الإيطالية السابقة روابط الجوار والصداقة ، وقد قدمت الحكومة المصرية إلى مجلس وزراء الخارجية عدة مذكرات ، وطلبت الاعتراف قبل كل شىء بوحدة ليبيا وإعلان هذه الوحدة . إذ لم يكن من السائغ فى الوقت الذى تبذل فيه الجهود لزيادة التعاون بين الأمم أن تفرض تجزئة صناعية على أمة كانت

---

(١) المصدر السابق ١١و١٢.

على مدى القرون موحدة وإذا أقرت مثل هذه التجزئة كان ذلك متناقضا مع العوامل الجنسية والتاريخية . وعلى ذلك فالوفد المصرى لن يؤيد حلاً لايقر الوحدة . ولاتكون الأمم المتحدة جارية على مصالح سكان تلك البلاد إلا إذا احترمت وحدتها ، ثم إن الوفد المصرى يرى أن تمنح ليبيا الاستقلال طبقا للبند الثالث من ميثاق الأطلنطى . وقد طلب سكان برقة وطرابلس وفزان الاستقلال ، وقد كانت ليبيا قبل الاحتلال الايطالى ولاية عثمانية تتمتع بالحكم الذاتى وكان لها نواب فى مجلس المبعوثان . وقد قاوم الليبيون الاستعمار الإيطالى حتى قيام الحرب العالمية الثانية كما اشتركوا فى هذه الحرب إلى جانب الحلفاء .

وقال: ومع ذلك فإن رأت الجمعية العامة على خلاف ما يقضى ما سبق بيانه ـ أن تضع ليبيا تحت الوصاية ، فإن الوفد المصرى يلح فى قبول المبادىء الثلاثة التالية التى هى أساسية فى ضمان رفاهية الشعب الليبى : (ا) يجب المحافظة على وحدة ليبيا . (ب) تكون مدة الوصاية أقصر ما يمكن . (ح) يجب إشراك دولة عربية فى الإدارة . وهذه النقطة الأخيرة تستند إلى الصلة الوثيقة بين ليبيا وبين باقى العالم العربى وهى ضمان بالسير بليبيا فى طريق الاستقلال[1] .

وقال مندوب الهند (Setalvad) : ينبغى أن تستهدى الأمم المتحدة بروح العدالة وتقصر عنايتها على رفاهية السكان ، وينبغى ألا يوحى تصرفها بأن الأقاليم تجزأ لاعتبارات استراتيجية أو للسماح لبعض البلاد بترحيل زيادة السكان فيها عبر البحار . ثم إن البلاد المتجانسة لاينبغى أن تقسم إلى الأبد وتلك نتيجة تكون إذا عهد بادارتها إلى سلطات مختلفة . إن تقرير

---

(١) المصدر السابق ص ٧٦ و٧٨ جلسة ١٩ أبريل سنة ١٩٤٩ .

لجنة التحقيق يدل على أن المستعمرات السابقة لم تنضج بعد ، وإذن فينبغى تطبيق البند ٨١ من الميثاق ، ولكن أتكون الوصاية لدولة واحدة أم للهيئة كلها : إن الوفد الهندى عبر عن تفضيله لوصاية هيئة الأمم المباشرة فإنه حين عهد بإدارة إقليم إلى دولة واحدة كانت هذه الدولة تستخدم موارده على نحو يشجع مصالح رعاياها ، وهذه المصالح كانت تستخدم نفوذها لإطالة سيطرة السلطة الحاكمة التى تتجه إلى ضم الإقليم إلى الدولة المحتلة وخاصة إذا كانت من الدول الاستعمارية . إن الوفد الهندى يرى أن تطبيق الوصاية ممكن ويقترح التدابير العملية الآتية : —

١ — تقرر الجمعية قبول مبدأ وصاية الأمم المتحدة المباشرة ، وتعمل اللجنة الرابعة على إعداد الإدارة إلى الأمم المتحدة .

٢ — تعد اللجنة الرابعة خطة تقضى بأن :

(ا) يعين مجلس الوصاية بموافقة الجمعية العامة حاكما لكل إقليم من المستعمرات السابقة لايكون من رعايا إحدى الدول الخمس الدائمة فى مجلس الأمن أو الوصاية .

(ب) توجد طائفة من الموظفين تشغل الوظائف التى لا يوجد بين الوطنيين من يشغلها ويعد هذه الطائفة هيئة دولية بمعاونة الدول الأعضاء ويحتفظ ببعض الموظفين الموجودين حاليا وتقوم الهيئة الدولية بإقرار النظام الإدارى وشروط الخدمة .

(ح) تبقى الإدارة الحالية حتى تتمكن هيئة الأمم من الحلول محلها فى أقرب وقت .

(ء) تنشأ قوة بوليس للدفاع المحلى وإقامة القانون والنظام مؤلفة من الوطنيين ورعايا الدول الأعضاء .

(ه) تقدم الإدارة القائمة كل معاونة .

(و) يكون للمجالس الاستشارية التى تؤلف من السكان مسئوليات متزايدة فى التشريع والتنفيذ .

(ز) يشرف مجلس الوصاية إشرافا دقيقا على إدارة المناطق ، وخاصة بإرسال لجان دورية حتى يطمئن إلى أن الادارة تنفذ رغبات المجلس .

(ح) يجرى استفتاء فى مدة تتراوح بين عشر سنين إلى عشرين سنة وتعرض نتيجته على الجمعية العامة بتوصية مجلس الوصاية ويقرر الاستفتاء ما إذا كان كل اقليم يفضل الاستقلال أو الاندماج مع إقليم مجاور (١) .

وقال مندوب الاتحاد السوفييتى (Gromyko) : إن الدول القائمة بالإدارة توجه اهتمامها إلى تحويل المستعمرات الإيطالية السابقة إلى قواعد حربية لقوات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . إن المملكة المتحدة تستعمل المقاطعتين الشماليتين من ليبيا قواعد لجيوشها التى أجليت من فلسطين ، وقد أقامت الولايات المتحدة قاعدة جوية فى الملاحة تحمى خطوط تموين تركيا واليونان ، وفى الجنوب يستعمل الفرنسيون فزان كما لو كانت الولايات المقامة من ممتلكاتهم . وإن الدول الثلاث تسعى إلى الإبقاء على سيطرتها على المستعمرات السابقة بأى ثمن حتى يمكن استعمالها قواعد استراتيجية لكل عمل حربى ممكن ضد الاتحاد السوفييتى والجمهوريات الشعبية . وإن الاتحاد السوفييتى يقترح وضع المستعمرات السابقة تحت الوصاية الدولية على أن يعين مجلس الوصاية لكل إقليم مديرا مسئولا ويؤلف مجلس الاستشارى من سبعة أعضاء منهم ممثل عن بريطانيا وروسيا وفرنسا والولايات المتحدة وفى حالة ليبيا يضم مندوبان عن الأهالى العرب والأوربيين . وهذه المقترحات قريبة مما قدمته الولايات المتحدة لمجلس وزراء الخارجية فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥ وأيدتها فرنسا . وقال المندوب إن اقتراح الاتحاد السوفييتى يهدف إلى تيسير تقدم المناطق الثلاث نحو الاستقلال وتطبيقه يقضى على القهر والشقاء

---

(١) المصدر السابق جلسة ١٨ ابريل سنة ١٩٤٩ ص ٦٤ و ٦٨ .

اللذين كانت تتميز بهما النظم الاستعمارية فى تلك المناطق ويساير الرغبة التى أبدتها الأغلبية الساحقة من السكان . وقد حدد الاتحاد السوفيتى مدة الوصاية على ليبيا بعشر سنوات ثم جعلها خمس سنوات عند تعديل الاقتراح بعد ذلك(١) .

وكانت الحكومة الإيطالية قد طلبت من اللجنة السياسية أن تدلى برأيها وأيد المندوب الأمريكى الطلب ثم أقرت اللجنة التماس مندوب الباكستان فى أن تسمع أيضا آراء ممثلى سكان المستعمرات السابقة . وبعد خلاف فى تنظيم إجراءات الدعوة أقرت اللجنة تأليف لجنة فرعية تدرس وثائق الوفود المتقدمة وتوصى بسماع من ترى أن يتقدم إلى اللجنة السياسية .

وتكلم الكونت سفورزا وزير خارجية إيطاليا باسم حكومته فقال إن مسألة المستعمرات السابقة تتصل بأمر من أعقد الأمور فى التاريخ المعاصر وهو يقظة الشعوب الآسيوية والأفريقية ، وذكر كفاح إيطاليا فى سبيل الديموقراطية والقومية ، وقال إن الجمهورية الايطالية لا ينبغى أن تسأل عن أعمال الفاشية ، فرجالها يرغبون فى تحقيق استقلال الشعوب الأفريقية . وأن المساعدات التى تقدم إلى هذه المناطق فنية وإقتصادية ، وإيطاليا مستعدة للقيام بتطبيق برامج التقدم التى تنفذها المملكة المتحدة فى السنوات الأخيرة وترسمها أمريكا فى النقطة الرابعة من برنامج ترومان ، وأن إيطاليا المؤلفة من الفلاحين وصغار الحرفيين خالية من التعصب الجنسى فهى جديرة بتقديم هذه المساعدة وهى تنوى المساهمة فى التقدم الفنى على قدر استطاعتها كما أنها ستعد الأقاليم للاستقلال (٢) .

---

(١) المصدر السابق — جلسة ١٩ ابريل سنة ١٩٤٩ ص ١٧ — ٢٤ ، ٢٦٢ .
(٢) جلسة ١١ ابريل ١٩٤٩ ص ٣٠ من الصدر السابق .

ودعى عن عرب ليبيا وفود المؤتمر الوطنى البرقاوى وهيئة تحرير ليبيا كما دعى ممثل الجالية اليهودية فى طرابلس ودعى من الطليان رابطة المهاجرين القومية ورابطة المحاربين القدماء .

تكلم مندوب المؤتمر الوطنى البرقاوى (السيد عمر شنيب) فقال إن برقة لم تكن مستعمرة وقت الاحتلال الإيطالى ، وإنما كانت ولاية عثمانية لها نوابها فى مجلس المبعوثان ، وتتصل اتصالا مباشرا بمركز الخلافة . وقارن بين حالة برقة أيام الترك وبين ما أنزله بها الطليان من وحشية ، وذكر كيف اشترك البرقاويون فى تحرير بلادهم وقدموا معاونات للحلفاء أشاد بها المستر إيدن فى مجلس العموم البريطانى فى يوم ٨ يناير . وقال إن البرقاويين طمحوا بعد ذلك فى أن يشتركوا مع دول الحلفاء فى إقرار السلام والامن الدوليين لا أن يوضعوا تحت الإدارة العسكرية البريطانية لست سنوات طوال . وقال إن محافظة البرقاويين على النظام دلالة على نضجهم السياسى الذى سلمت به تركيا سنة ١٩١٢ . وطلب فى النهاية منح برقة الاستقلال وعدم إرجاع الإدارة الايطالية إلى أى جزء من ليبيا . وقال إنه يرحب بوحدة ليبيا بشرط أن تكون تحت إمارة السيد إدريس السنوسى . وحين سئل هل يعلم أن بريطانيا اقترحت وصايتها على برقة ، قال أنه لم يعلم بذلك ولا يظن أن بريطانيا الصديقة تضمر استعمار برقة (١) .

ثم دعى ممثل هيئة تحرير ليبيا (الدكتور محمد فؤاد شكرى) فطالب بالاستقلال والوحدة وقال إن لبيبا كافحت الحكم الايطالى أكثر من ثلاثين عاما وقد حاول الطليان تقسيمها لتقوية قبضتهم عليها ، ولكنهم حين حققوا غرضهم عادوا إلى توحيدها ، فإقامة نظم منفصلة فى ليبيا يناقض رغبات السكان

---

(١) المصدر السابق — جلسة ٢٦ ابريل ١٩٤٩ — ص ١٣٠ ؛ ١٣٣

وقال إن أكثر الحجج أقيمت على تقرير لجنة التحقيق ولكنها أهملت رأى الأقلية الذى عبر عنه المندوب السوفيتى ، وهو مطابق لرغبة الشعب الليبى فى الوحدة والاستقلال، بل إن وحدة ليبيا المشروعة قد أقرها مندوبا الولايات المتحدة وبريطانيا . وبعد أن هاجم المندوب الاستعمار الإيطالى نقد الحجج التى قدمها المندوب الإيطالى وقال إن الاستعمار الايطالى فى ليبيا كان عبئا على البلاد قام على مصادرة أراضى الأهلين ووضع العوائق فى سبيل تقدم البلاد وإن ليبيا لا تعتبر منفذا لهجرة الطليان ، وختم حديثه بقوله :

« إن الليبيين فى محاولتهم تحرير أنفسهم اعترفوا فى عام ١٩٢٢ بإمارة السيد إدريس السنوسى على ليبيا كلها ، وجددوا الاعتراف فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ بعد انتهاء الحكم الايطالى وجددوه ثالثة فى أغسطس سنة ١٩٤٨ وهو يعلن الآن هذا الاعتراف مرة أخرى أمام اللجنة السياسية » وفى إجابة سؤال لمندوب الفلبيين قال إن ليبيا تريد حكومة ديموقراطية تحت حكم الأمير . وعن آخر لمندوب بولندا قال : إنه لا يعرف أن هناك قواعد حربية مملوكة لأجانب ولكنه يعتقد أن الإدارة البريطانية تنازلت عن قاعدة الملاحة للولايات المتحدة (١) .

وذكر مندوب الجالية اليهودية فى طرابلس (Perlzweig) أن يهود طرابلس يبلغون ٣٠ ألفاً وأنهم عاشوا أجيالا فى وفاق مع العرب وطالب بحماية هذه الأقلية تحت أية إدارة تقرها الهيئة (٢) .

وأيد مندوب رابطة المهاجرين القومية (Ciccoluugo) أن الطليان لم يستغلوا بل حسنوا وزادوا قيمة الأراضى التى حلوا فيها ، وقال إن التقدم الذى حازته المستعمرات السابقة كان نتيجة الجهود الفردية والاستثمار الفردى لا الحكومى

---

(١) جلسة ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٩ — ١٣٤ — ١٤٠

(٢) المصدر السابق . جلسة ٣ مايو ١٩٤٩ ص ١٤٣ — ١٤٧

وطلب باسم المهاجرين أن توضع ليبيا تحت وصاية ايطاليا ، وقال أن الوصاية الإيطالية فى مصلحة السكان لأن اقتصاد البلاد متصل بالاقتصاد الايطالى بدليل البطالة التى تفشت بعد انسحاب ايطاليا (١) .

وادعى مندوب رابطة المحاربين القدماء فى ليبيا (Gellabi) أنه يمثل أغلبية السكان على حين يمثل المتكلمون قبله الأقليات وخاصة مندوب هيئة تحرير ليبيا (كذا) وقال إن شعب ليبيا يريد الاستقلال ، وإذا قررت الهيئة فرض الوصاية فالرابطة ترحب بوصاية إيطاليا . وأنكر سوء الإدارة الإيطالية وزعم أنها كانت تتوخى دائما مصلحة السكان (٢) .

واستمرت المناقشة فى اللجنة السياسية حتى ٦ مايو ١٩٤٩ وقدمت خمسة اقتراحات من الهند وبريطانيا وأستراليا وأمريكا اللاتينية والاتحاد السوفيتى فطلب المندوب الأمريكى تأليف لجنة فرعية من اللجنة السياسية تتألف من ١٥ عضوا لدراسة هذه المقترحات وتنسيقها ، وقد قبل الاقتراح الأمريكى بأغلبية ٣٣ صوتا وامتناع ٣٠ وحدد للجنة الفرعية أن تقدم تقريرها يوم ١١ مايو عام ١٩٤٩ . وقد ظهر أن هذه اللجنة الفرعية إنما قصد بها تحويل الاتجاه العام الذى ظهر فى اللجنة السياسية نحو وصاية هيئة الأمم المباشرة كما وضح فيها أثر المشاورات التى جرت خارج الأمم المتحدة ، وانتهت بالاتفاق المعروف باتفاق بيفن ـ سفورزا . وقد تقدمت بريطانيا بمشروع قرار مبنى على هذا الاتفاق ينص على النقط الآتية :

(١) استقلال ليبيا بعد عشرة أعوام إذا قررت ذلك الجمعية العامة .

(٢) وضع برقة تحت وصاية بريطانيا وفزان تحت وصاية فرنسا ، أما طرابلس فتوضع تحت وصاية إيطاليا فى عام ١٩٥١ ، وفى خلال العامين

---

(١) ، (٢) المصدر السابق ـ جلسة ٣ مايو ١٩٤٩ ص ١٤٣ — ١٤٧ .

القادمين تتولى بريطانيا ادارة شئون طرابلس مستعينة بمجلس استشارى تشترك فيه خمسة دول .

(٣) تتخذ الدول الثلاث القائمة بالوصاية التدابير الكفيلة بصون وحدة ليبيا .

وقد اعترضت على مشروع القرار فى اللجنة الفرعية الهند والعراق ومصر والاتحاد السوفييتى وبولندا وأيدته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وشيلى والبرازيل والأرجنتين واتحاد جنوب أفريقيا والمكسيك وامتنعت عن التصويت أثيوبيا والدانمرك .

وحين عرض مشروع القرار على اللجنة السياسية تعاونت الدول المعارضة له على تأييد أقتراح لمندوب بولندا يقضى بأن يستشار ممثلو السكان فى المستعمرات السابقة فى القرار الذى قدمته اللجنة الفرعية وكان لهذا الأقتراح فائدة كبيرة فى إضعاف مشروع قرار اللجنة الفرعية لأنه أظهر أنه لا يتفق مع رغبة السكان ومما يذكر أن وفد المؤتمر البرقاوى كان قد أرسل برقية احتجاج حين علم بمشروع القرار ولذلك طلب اليه مغادرة الولايات المتحدة ، ولم يبق من المندوبين العرب غير مندوب هيئة تحرير ليبيا فدعى إلى الإدلاء برأيه أمام اللجنة السياسية .

وقد أعلن المندوب (السيد العنيزى) أن مشروع القرار مناقض لمبادىء الأمم المتحدة ومهدد للسلام فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وقال أن المملكة المتحدة تؤيدها أقلية تريد أن تقسم ليبيا تنفيذاً لأغراض إستعمارية . إن الليبيين — وخاصة الطرابلسيين — عازمون على التوسل بكل وسيلة لمقاومة هذه المحاولة لاستعبادهم . وقال أن مشروع القرار قد أثار سخط الشعب الليبى فقامت مظاهرات الإحتجاج فى طرابلس وأعلن أن البلاد

عازمة على العصيان المدنى إذا لم تعدل بريطانيا عن موقفها [١] .

وقد عارضت الدول العربية والأسيوية ودول شرق أوربا مشروع القرار لأنه خروج عن ميثاق الهيئة ومحاولة إستعمارية لتبديد وحدة ليبيا والقضاء على إستقلالها ، وتقدم الوفد العراقى بمشروع قرار يقضى بمنح ليبيا الموحدة إستقلالها فوراً .

إقترح أولا على مشروع القرار العراقى فرفضته اللجنة بأغلبية ٢٢ صوتا على ٢٠ صوتا وإمتناع ٨ أصوات وقد أيدته الكتلة العربية والأسيوية ودول شرق أوروبا وعارضته أمريكا وفرنسا وإنجلترا ودول أمريكا اللاتينية والكومنولث . وكان الرفض كذلك مصير مشروع القرار السوفيتى والهندى .

ثم اشتد الجدل حول مشروع قرار اللجنة الفرعية وقدمت له تعديلات شتى وانتهى الأمر بأن وافقت اللجنة السياسية على مشروع القرار بأغلبية ٣٤ صوتا على ١٦ وإمتناع ٧ وكانت الدول المعارضة هى اليمن ويوغوسلافيا وبرما ورسيا البيضاء وتشكوسلوفاكيا ومصر والهند ولبنان والباكستان والفلبين وبولندا والدولة العربية السعودية وسوريا وأوكرانيا والإتحاد السوفيتى . وقد تم ذلك فى جلسة ١٧ مايو سنة ١٩٤٩ وأحيل قرار اللجنة إلى الجمعية العامة فعرض عليها فى اليوم نفسه .

كانت الدورة الثالثة للجمعية العامة قد أشرفت على نهايتها ، وحين عرض قرار اللجنة السياسية وقفت منه الدول موقفها فى اللجنة ، فأيدته أميركا وأنجلترا وعارضته الدول العربية والأسيوية ودول شرق أوروبا .

قال مندوب أميركا (Austin) أن القرار لم يصل إلى حد الكمال ولكنه يعد ليبيا للوحدة والاستقلال ، وسيكون ذلك بعد عشرة أعوام إذا رأت الجمعية ذلك وسيكون للمجلس الإستشارى أثره فى معاونة الإدارة البريطانية

---

(١) المصدر السابق جلسة ١٢ مايو ١٩٤٩ — ص ٣٣٣ / ٣٣٤

المؤقتة على التقدم بالبلاد من النواحى المختلفة .

ودافع مندوب بريطانيا (Cadogan) عن موقف بريطانيا فقال أن القرار لم يأت بجديد وأن اتفاق بيفن — سفورزا لاغبار عليه وأنه لم يخرج عن إتجاه الرأى العام الدولى فى فرض الوصاية . وأما طرابلس فليس لأهلها أن يخشوا ايطاليا الآن فأنها تستطيع أن تساعدهم كثيراً .

وهاجم مندوب مصر (محمود فوزى بك) قرار اللجنة فقال أن القرار الذى تقره الجمعية العامة يجب أن يحقق رغبات السكان ونصوص الميثاق ويحفظ للأمم المتحدة هيبتها ، والقرار المقترح لايحقق شيئا من ذلك فقد تظاهر أهالى ليبيا ضد مشروع القرار وعبروا بما لايقبل الشك عن رغبتهم فى الإستقلال والوحدة . وإرجاع طرابلس إلى ايطاليا طعنة لأهلها فانهم لم ينسوا بعد نير الحكم الإيطالى ومظالمه وطغيانه لافى أيام الفاشية وحدها بل قبلها أيضا . أن قرار اللجنة من وحى لندن لاليك سكسس .

وحمل مندوب الأتحاد السوفيتى (Malik) على مشروع القرار لأنه إتفاق تم بين كواليس الأمم المتحدة وقال أنه فى الواقع تقسيم للمستعمرات السابقة وفقاً للأطماع الأنجلو أمريكية مما يعيد إلى الأذهان الطريقة الوحشية التى كانت تغزى بها المستعمرات فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وفى هذا التقسيم يكون لبريطانيا نصيب الأسد . وقال أنه من الواضح أن أميريكا وبريطانيا تضعان لهذه المستعمرات خططا يقصد من ورائها أن تلعب دورا هاما فى السياسة الأنجلو أمريكية فى أفريقية . (١)

وعندما أخذت الأصوات على مشروع قرار اللجنة السياسية فى مساء ١٧ مايو سنة ١٩٤٩ لم تنل الفقرتان الخاصتان بطرابلس والصومال ثلثى الأصوات ، وكانت نتيجة الإقتراع على المشروع جملة هى : ١٤ صوتا تأييد ،

---

(1) Bulletin des Nations Unies : juin 1949

٣٧ صوتا معارضة ، و ٧ أصوات إمتناع ، وكان من بين الدول المؤيدة الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا واليونان ، وكانت المعارضة للدول العربية والآسيوية ودول شرق أوروبا ودول أمريكا اللاتينية وفرنسا أيضا .

وكان إخفاق هذا المشروع فى الجمعية العامة خطوة صالحة فى سبيل الوصول إلى حل عادل للقضية ، ولعل من عوامل إخفاقه الإختلاف الذى ظهر فى تأييد الولايات المتحدة وبريطانيا له على حين عارضته فرنسا ، ثم أن أمريكا لم تكن قد حددت موقفها بوضوح وإنما أخذت جانب بريطانيا واكتفت بدور ثانوى ، وهذا يفسر لنا معارضة دول أميركا اللاتينية مع تأييد الولايات المتحدة له ، ولو أن أمريكا بذلت جهدا لفرض نتيجة معينة لنجحت كما حدث فى قبول اسرائيل بالأمم المتحدة فى نفس الدورة . وينبغى أيضا ألا نغفل عاملين آخرين أولهما جهود الوفود العربية فى الاتصال بدول أمريكا اللاتينية على أساس تبادل المصالح ، ثم المعارضة القوية التى أظهرها الشعب الليبى ووصلت أنباؤها إلى ليك سكسس فكان لها أثر بعيد .

وقبل أن تختم الدورة الثالثة حاولت بعض الوفود التقدم بأقتراحات فى آخر لحظة كان منها الاقتراح العراقى بأن تمنح ليبيا الأستقلال فوراً مادامت البلاد قد وصلت إلى مرحله من التقدم تؤهلها لأن تصبح دولة ذات سيادة وإقتراح الباكستان بأن تؤلف الجمعية العامة لجنة من سبعة أعضاء يعينهم رئيس الهيئة تدرس لمسألة وتعد تقريراً عنها للجمعية العامة فى الدورة الرابعة ويكون للجنة حق الأتصال بالإدارات القائمة والسكان والحكومات والأفراد الذين ترى ضرورة الأتصال بهم ، وتقدم للسكرتير العام فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٩ على الأكثر تقريرها والمقترحات التى تراها . وتقدمت بعض وفود أمريكا اللاتينية بأقتراح ينص على :

١ — منح ليبيا الأستقلال فى مدى عشرة أعوام من قبول الإقتراح ،

إذ أقرت الجمعية العامة ذلك وفى هذه الفترة توضع ليبيا تحت الوصاية الدولية تحقيقا لوحدتها وإستقلالها .

٢ — تدعى حكومات مصر والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا والمملكة المتحدة لدراسة شروط الوصاية وتقدم للجمعية العامة فى الدورة الرابعة إقتراحها فى هذا الشأن .

وقد رفضت هذه الإقتراحات جميعا ، وتقدم الوفد البولندى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٤٩ بمشروع قرار وافقت عليه الجمعية العامة بأغلبية ٥١ صوتا ضد لاشىء ونصه : تقرر الجمعية العامة إحالة كل دراسة مستقبلة لمسألة المستعمرات الإيطالية السابقة إلى الدورة الرابعة .

(٨)

عقدت الدورة الرابعة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة فى ليك سكسس فى سبتمبر ١٩٤٩ وكانت مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة هى النقطة التاسعة عشرة فى جدول الأعمال . وبذلك تكون قد مضت خمسة أشهر على نظر الجمعية العامة لهذه المسألة للمرة الأولى . وفى خلال هذه الفترة عقد ميثاق الأطلسى الشمالى فكان أساس تقسيم العالم إلى معسكرين : المعسكر الغربى وعلى رأسه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وقد إنضمت اليه دولة إيطاليا أيضاً . والمعسكر الشرقى من الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشعبية . وكان هذا الميثاق توكيداً للدور الذى تلعبه أمريكا فى التوجيه السياسى والاقتصادى فى العالم ، وكانت مسأله ليبيا من أولى المسائل التى أملت السياسة الأمريكية حلها فأقرته الجمعية العامة لهيئة الأمم . وكانت السياسة الامريكية تجاه ليبيا تقوم على النقط الآتية : إبعاد الإتحاد السوفيتى عن ليبيا والبحر الأبيض بأى ثمن وحماية القواعد الحربية الأستراتيجية الغربية من أمريكية وبريطانية وفرنسية

فى طرابلس وبرقة وفزان ، وإجتذاب أهالى البلاد ودول الشرق الأوسط إلى المعسكر الغربى بالتسليم بمبدأ إستقلال البلاد بعد النفور الذى أحدثه تأييد أمريكا لاسرائيل . وقد وضع الخطة الأمريكية فى ليبيا قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية وتم الاتفاق عليها فى وشنطن بعد مفاوضات سرية من جميع الدول التى يعنيها الأمر ، قبل إبتداء دورة الجمعية العامة (١) . وصرح وزير الخارجية الأمريكية مستر دين أتشيسون يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٩ بقوله : وفيما يتعلق بمصير المستعمرات الايطالية السابقة تؤيد الولايات المتحدة الخطة الرامية إلى منح ليبيا الاستقلال خلال فترة يتراوح طولها بين ثلاثة أعوام وأربعة على أكثر تقدير . (٢)

وقد وجدت وجهة النظر الأمريكية هذه معارضة من بريطانيا وفرنسا فلبريطانيا سياسة استعمارية تقليدية تقوم على سد الفراغ الذى أحدثه خروجها من فلسطين وقلق مركزها فى مصر ، وقد بادرت بفرض سياسة الأمر الواقع فاعترفت بحكومة الأمير السنوسى الداخلية فى برقة بعد فشل مشروع بيفن - سفورزا ، وأبرمت معه إتفاقا فى لندن وخولته إعلان دستور برقة قبل انعقاد الدورة الرابعة بأيام ، ومضت فى طريقها لهدم الوحدة الليبية وإقتطاع برقة وضمها إلى منطقة نفوذها وإنشاء دولة فيها على نسق شرق الأردن .

ولفرنسا أيضا سياستها الاستعمارية التقليدية فهى تحتل منطقة فزان وتتخذ منها قاعدة جوية تربطها بأفريقيا الاستوائية ومدغشقر ، وهى قد فقدت كثيرا من نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط بعد انسحاب قواتها من سوريا ولبنان فى صيف ١٩٤٦ تحت ضغط بريطانيا ، وهى تخشى على مناطق إحتلالها

---

(١) نورا بيلوف مراسلة جريدة سكوتسمان — الاهرام ٢٥ / ٩ / ١٩٤٩ .
(٢) الاهرام ٢٢ / ٩ / ١٩٤٩

فى شمال أفريقيا فى مراكش والجزائر وتونس أن تجاورها بريطانيا فى طرابلس بالوصاية أو يمتد إليها نفوذ الجامعة العربية فيوقظ الشعوب العربية الخاضعة لها ويحركها نحو الاستقلال ، ولذلك أيدت فرنسا منذ البداية وصاية إيطاليا على مستعمراتها السابقة وأصرت على موقفها هذا لا تتزحزح عنه ، وقد قبلت الحل الأمريكى مضطرة كما سنرى .

وأما إيطاليا فقد فقدت الأمل فى استعادة مستعمراتها السابقة فى أفريقيا بعد رفض مشروع بيفن سفورزا ولم تؤد اتصالاتها ببريطانيا وأمريكا ومساومتها على الانضمام إلى الحلف الغربى إلى التسليم بمطالبها ، فاكتفت آخر الأمر بالتنازل عن الوصاية على ليبيا وقبول الوصاية على الصومال .

أما الاتحاد السوفيتى فقد وضع سياسته منذ بداية الدورة على قاعدتين : إعلان إستقلال ليبيا الموحدة فورا ، وإبعاد السيطرة الغربية عن البلاد بسحب القوات العسكرية وتصفية القواعد الحربيه . وقد تقدم الاتحاد السوفيتى باقتراحه يوم ٣٠ سبتمبر أى فى اليوم الأول لبحث المسألة فى اللجنة السياسية فأحرج المعسكر الغربى أمام الرأى العام العالمى ، وأثر فى توجيه المناقشة إلى التسليم بمبدأ الاستقلال .

وقد وقفت الكتلة العربية والآسيوية بين المعسكرين تدافع عن استقلال ليبيا ووحدتها ورأت أن التنافس بين المعسكرين قد انتهى إلى إقرار مبدأ الاستقلال والوحدة فأيدت الاقتراح السوفيتى وهو اقتراح الأقلية فى الجمعية العامة ، وقبلت الاقتراح الأمريكى وهو اقتراح الأغلبية وكذلك قبلته دول أمريكا اللاتينية بعد أن نزلت إيطاليا على حكمه .

* * *

أحالت الجمعية العامة فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٩ بحث مسألة المستعمرات

الايطالية السابقة على اللجنة السياسية لفحصها وإعداد تقرير عنها ، وبدأت اللجنة السياسية ذلك فى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٩ واستمرت المناقشة العامة للمسألة حتى ١١ أكتوبر ١٩٤٩ فأدلت الدول المختلفة بآرائها فى المسألة .

وكان مندوب المملكة المتحدة (Mc Neil) أول من طلب الكلمة فقال : إن الظروف الحالية تجعل نظام الوصاية على هذه الأقاليم يبدو غير عملى ، ولم يكن لبريطانيا أن تستمر فى منع برقة من حقها الذى لا جدال فيه للتمتع بأقصى ما يمكن من الحكم الذاتى بما يتفق مع الالتزامات الدولية وحقوق الجمعية العامة ومعاهدة الصلح الايطالية ؛ لذلك جعلت بريطانيا فى شهر سبتمبر الحالى لأمير برقة سلطة تامة فى الأمور الداخلية فى حدود الالتزامات السابقة ودون التعرض لوحدة ليبيا . وقد أصدر الأمير بمشاورة بريطانيا وشعبه دستورا تتألف بمقتضاه حكومة فى برقة وكان ذلك تلبية لرغبة الشعب ، ومثل هذه التدابير لابد منها بل هى مشروعة تماما فى طرابلس إذا عجزت الجمعية العامة عن الاتفاق على حل .

ترى بريطانيا أن نظام الوصاية على ليبيا — وإن كان تقدمها يسيرا — نظام غير عملى أو مقبول ، وأنه بعد هذا الانتظار الطويل يجب أن تمنح البلاد الاستقلال فى أقرب فرصة . وترى بريطانيا أن هذا الاستقلال يمكن بعد ثلاث سنوات إلى خمس وإن سنتين تكفيان للاعداد وسنة للتنفيذ ، وإذا أقرت الجمعية العامة مبدأ الاستقلال فإن بريطانيا تعمل على تنفيذه وقد بدأت بريطانيا فعلا فى صبغ الادارة بصبغة ليبية .

أما عن وحدة ليبيا فإن البلاد منذ التحرير أقيمت فيها إدارات ثلاث ولم يكن ذلك اصطناعا بل هو يرتكز على أن المناطق الثلاث تفصلها صحراوات واسعة . ومع ذلك فالوفد البريطانى يرى أن الوحدة بين طرابلس وبرقة تطور تاريخى لابد منه ، وهى تثير مشاكل طبيعية وعملية تقتضى التريث قبل

البت فيها لأنها تفرض على السكان نظاما سياسيا لا يوافقهم ولا يعبر عن رغباتهم ، والخير أن تترك هـــذه الوحدة ليقررها السكان أنفسهم حيث يستكملون تطورهم فى مناطقهم الخاصة .

وتدرك بريطانيا مصالح إيطاليا فى طرابلس وإيطاليا الديمقراطية الحديثة خليقة بأن تقدم لها العون الاقتصادى والفنى ويجب مراعاة ذلك فى قرار الجمعية العامة. أما عن فزان فان بريطانيا تعترف بالمصالح الخاصة التى لفرنسا فى هذه المقاطعة وهى تبقى رأيها حتى تبدى فرنسا وجهة نظرها (١) .

وقال مندوب الولايات المتحدة الأمريكية (Jessup) يرى وفد الولايات المتحدة فيما يتصل بليبيا إنشاء دولة مستقلة موحدة فى المستقبل القريب ، وقد ظهر فى الجمعية العامة فى الدورة الثالثة الاتفاق على استقلال ليبيا ، وعلى أنها أكثر المستعمرات الايطالية السابقة تقدما . وقد أنشأ أهل برقة إدارتهم الداخلية تحت سلطة الأمير السنوسى وأشار سكان طرابلس إلى رغبتهم فى أن يكون اشتراكهم فى حكومة منطقتهم أوثق . وقد صرح وزير الخارجية الأمريكية مستر دين أتشيسون (Acheson) فى ٢١ سبتمبر ١٩٤٩ الماضى بأن الجمعية العامة يجب أن تضع فى خلال هـذه الدورة خطة لانشاء ليبيا مستقلة موحدة فى مدى ثلاث سنوات أو أربع ، وطبيعة الحكومة يجب أن يعينها أهالى ليبيا لا أن تفرضها عليهم سلطة أجنبية وإن كانت الأمم المتحدة نفسها .

ويمكن أن تكون الدولة الجديدة على نظام فدرالى أو موحد أو غير ذلك مما يرضى رغبات السكان ، وقد ترى الجمعية العامة أن يجتمع مندوبون عن طرابلس وبرقة وفزان قبل عام من الموعد المحدد للاستقلال للتشاور فى نوع

---

(١) Premiere Commision, Luatriéme Session, 30 Sept. 1949

الرابطة التى تربطهم . ويجب أن تتعاون الادارات البريطانية والفرنسية الحالية فى إنشاء الأجهزة الحكومية وتهيئة ليبيا للاستقلال بتطبيق التدابير التى تراها الجمعية العامة ، ويجب أن تقدم كل عام تقريراً إلى السكرتير العام لإحاطة أعضاء الهيئة بما قامت به .

ومن المرغوب فيه أن يكون هناك مجلس استشارى يقوم بمشاورة الادارتين البريطانية والفرنسية ويدلى برأيه فيما يتصل بتأليف الحكومة فى ليبيا الموحدة وإنشاء مرافق عامة مشتركة ونقد موحد ، وتعديل الحدود وهذا المجلس بطبيعة الحال لا يتدخل فى إدارة المناطق (٢)

وقال مندوب فرنسا (Couve de Murville) أن هناك فوارق عدة قائمة بين مناطق ليبيا أو مقاطعاتها الثلاث . ومن الخطأ أن يقال أن لطرابلس وبرقة تاريخا مشتركا ، لأن كلمة ليبيا لا ترجع إلا إلى عام ١٩٣٤ حين قررت الحكومة الايطالية أن تجعل من هذين الاقليمين مستعمرة واحدة . ومن الخطأ أيضا الاعتقاد بوجـــود روابط اقتصادية ومشابه سياسة بين المقاطعتين ، وقد كان القرار الذى قبلته اللجنة السياسية فى الدورة الماضية يرمى إلى دعوة السلطات القائمة بالادارة فى أجزاء ليبيا على التشاور فيما بينها لتقوية الروابط الاقتصادية وغير مما يوجد بين هذه الأقاليم . وهذه الطريقة معقولة وهى تشير إلى الرغبة فى احترام رغبات السكان المحليين .

أن حل المسألة الليبية على اساس الأستقلال يتطلب إنشاء حكومات منفصلة فى مناطق ليبيا المختلفة تمنح الأستقلال فى أقرب فرصة على أنه من المحال تحديد الموعد الذى يتحقق فيه هذا الاستقلال ومتى ما سارت هذه الحكومات سيرا طبيعيا فلها أن تنشىء نظاما يربط بينها إذا أرادت ، وفى

---

(١) Ibid 30 Sept. 1949 p.88-9

فترة الانتقال تستمر السلطات المحتلة فى الادارة وبطبيعة الحال يكون للامم المتحدة الحق فى الاشراف على أن التطور السياسى للبلاد يجرى على ماتقضى به توصياتها، وتشارك فرنسا المملكة المتحدة فى أن لطرابلس موقفا خاصا تجاه إيطاليا وهو الموقف الذى يرجع فى ناحية منه إلى أن هناك عددا كبيرا من الطليان فى طرابلس والى الروابط الاقتصادية التى تربط البلدين (١) .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتى (Arutiunian) أن مصلحة السكان والرغبة فى الوصول إلى حل سلمى يقتضيان سرعة البت فى المسألة . وقد حاول الاتحاد السوفيتى خلال أربعة أعوام الوصول إلى حل يرضى مصلحة السكان والسلام العالمى . ولكن بريطانيا والولايات المتحدة عاقتا كل حل إرضاء لنزعاتهما الأنانية العدوانية ، وقد حاولتا مع فرنسا فى الدورة السابقة تقسيم ليبيا بقصد الاحتفاظ بقواعد حربية واستراتيجية تكون موائب للاعتداء على الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشعبية ، كما حاولت وضع حل للمسألة خارج الأمم المتحدة بمشروع بيفن — سفورزا الذى أثار سخط السكان لأنه محاولة لتجزئة البلاد . وأن إقامة حكومة برقة خروج على ميثاق الأمم المتحدة ومعاهدة الصلح . لقد سارت بريطانيا على ذلك منذ تنازلت فى يناير سنة ١٩٤٣ عن قاعدة الملاحة لأمريكا ، وأعادت تنظيم الإدارة العسكرية فى فبراير سنة ١٩٤٣ تمهيداً لاستمرار هذه الأدارة ، وأخيراً أعلنت فى يونية ١٩٤٩ عن إقامة حكومة مزعومة فى برقة والأعتراف بالأمير السنوسى رئيساً لها . وليس ذلك غريباً فإن الأمير والعائلة السنوسية كانوا منذ سنوات يتناولون الأموال من الحكومة البريطانية وقد أثارت هذه المحاولة البريطانية لاقتطاع برقة سخط الشعب الليبى فقامت المظاهرات فى بنغازى فى ٢ يونية ١٩٤٩ واحتجت عليها هيئة تحرير ليبيا والأمين العام للجامعة العربية . والاتحاد السوفيتى يرى أن أقامه هذا النظام فى برقة يخفى وراءه نير الأستعمار البريطانى وعلى الجمعية

(١) Bulletin des Nations Unies, 15 Oct. 1949 p. 407

العامة أن تفضح هذه المحاولات التى تهدر هيبتها وتضعها أمام الأمر الواقع بقبول التقسيم الأنجلو أمريكى أو تأجيل البت فى المسألة .

ويرى الأتحاد السوفيتى أن التوصيات العامة التى اشتمل عليها تقرير لجنة التحقيق تنص على رغبة الليبيين فى الوحدة وأن التقسيمات الموجودة بين مناطقها الثلاث اصطناعية تعوق التقدم وأن المخالفين للوحدة لهم مصالح مشتركة مع الدول الأجنبية وهم أقلية .

لذلك يرى الاتحاد السوفيتى أن تمنح ليبيا الوحدة والاستقلال فوراً مع سحب القوات الأجنبية وتصفية القواعد الحربية (١).

وقال مندوب سوريا (فايز الخورى) . لقد فرقت الدول الاستعمارية فى ليبيا لتسود وذلك ما حدث خاصة فى فزان فقد عملت فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية على الاستيلاء عليها . ومع ذلك فان وحدة ليبيا ترجع إلى قرون بعيدة . وإذا كان هذا موقف فرنسا من فزان التى احتلتها منذ ثمانى سنوات فماذا سيكون قولها حيث يجىء دور تونس والجزائر ومراكش ، أن فرنسا بحمايتها مصالح الايطاليين تكون ملكية أكثر من الملك . أن الوفد السورى يرى من واجب كل عربى أن يؤيد المشروع العادل الحر الذى تقدم به الاتحاد السوفيتى (٢) .

وقال مندوب مصر (كامل عبد الرحيم) . أن وحدة ليبيا لا إنفصام لها وتجزئتها الحالية إلى ثلاث مقاطعات ليست عملية أو عادلة وهى مخالفة لتاريخ ليبيا ، فقد كانت دائما موحدة تجمع بينها وحدة الدين والجنس والاقتصاد . وتلك هى رغبة الأغلبية الساحقة . أن الوفد المصرى يطلب لليبيا الوحدة

---

(١) ص ٨ / ١٢ جلسة ١٣ أكتوبر ١٩٤٩

(٢) ص ١٠/ ١١ ج ١٤ أكتوبر ١٩٤٩

والاستقلال فوراً . وذلك أمر لاغنى عنه لاستقرار الأمن فى البحر المتوسط وينبغى للقرار الذى تتخذه الهيئة عن ليبيا أن : (١) يضمن الاستقلال فوراً لليبيا الموحدة مع فترة انتقال قصيرة ما أمكن تجرى فيها انتخابات حرة لهيئة تأسيسية فى ليبيا الموحدة . (٢) يجرى نقل السلطة من الادارتين المحتلتين دون إعاقة للوحدة بين المناطق الثلاث فى نهاية فترة الانتقال . (٣) تتألف لجنة خاصة تعينها الجمعية العامة من عضوين عن الادارتين وثلاث دول منها دولة عربية ، وتشرف هذه اللجنة على : (ا) الانتخابات العامة للجمعية التأسيسية . (ب) نقل السلطات الى الليبيين . وتقدم اللجنة تقريراً عن أعمالها(١)

وكانت اللجنة السياسية قد قررت فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ تأليف لجنة فرعية لدراسة الطلبات التى قدمتها المنظمات والأحزاب فى المستعمرات الايطالية السابقة لتدلى بآرائها أمام اللجنة السياسية كما قررت دعوة مندوب الحكومة الايطالية ليدلى بوجهة نظر حكومته .

تكلم مندوب الحكومة الايطالية الكونت كارلو سفورزا (Sforza) فقال : إن الحكومة الايطالية ترى أن تنشأ فى ليبيا دولة موحدة تستطيع المحافظة على التراث التاريخى المشترك لأقاليمها . وينبغى ملاحظة الخصائص المختلفة لمناطق ليبيا وتفاوت نضجها السياسى . ومن الأفضل إنشاء مجلس فدرالى لحماية مصالحها المشتركة . ويرتبط جزآن من الاراضى الليبية ببريطانيا وفرنسا نتيجة الحرب ، ويجب أن تنهض هاتان الدولتان فى فترة الانتقال بارشاد هذين الاقليمين فى طريق الاستقلال . ويكون ذلك فى نطاق الوحدة الفدرالية فى ليبيا . أما طرابلس فنستطيع أن تقرر مصيرها بحرية فتجرى

---

(١) ص ١٣ / ١٥ A / C. I/SR 281

فيها إنتخابات لجمعية تأسيسية فى مدى ستة أشهر وتقوم هذه الجمعية مباشرة بوضع الدستور لحكومة طرابلسية وبذلك تنتهى الإدارة البريطانية .

وفى فترة الأنتقال تؤلف لجنة مراقبة تشترك فيها إيطاليا وحين تتألف الحكومة يمكن لإيطاليا أن تعقد معها معاهدة على قدم المساواة وتبرم إتفاقا يصون مصالح الأقلية الإيطالية وإذا رؤى أن تمتد فترة الانتقال فأن مهام لجنة المراقبة لاتقتصر على ملاحظة العمليات الانتخابية بل يجب أن تسمح بالتعاون فى كافة الميادين . (١)

ودعى عن عرب ليبيا مندوبا المؤتمر الوطنى الطرابلسى والمؤتمر الوطنى البرقاوى ، وقد تكلم مندوب المؤتمر الوطنى الطرابلسى (السيد بشير السعداوى) فطلب وحدة ليبيا واستقلالها وقال أن ليبيا بذلك تكون عاملا من عوامل الاستقرار فى الشرق الأدنى ، والحكومة التى تنشأ فى البلاد تكون حكومة ديمقراطية تضمن الحرية الفردية والحقوق المشروعة للسكان جميعا . وقال أن الأستقلال والوحدة هى الرغبة الاجماعية للسكان .

وقال مندوب المؤتمر البرقاوى (عمر شنيب) أنه يطلب الاستقلال التام الناجز لبرقه ، بعد أن اعترفت بريطانيا بأمارة السنوسى وجعلت له الإدارة الداخلية ، وقد نضجت برقة سياسياً ولا يعوق طلب الإستقلال حاجة البلاد إلى المعونة الخارجية فإن هذه المعونة لم تمنع الدول المشتركة فى مشروع مارشال من الإستقلال . وقال أن برقة ترحب بالوحدة مع طرابلس تحت التاج السنوسى أما إذا رفض الطرابلسيون هذا الشرط فإنه يقصر مطالبه على برقة وحدها(٢) .

---

(١) Bulletin des nations unies, 15o ct. 1949 p. 412

(٢) جلسة ٦ أكتوبر ص ١٧ — ٢٠

وقد استمرت المناقشة العامة فى اللجنة السياسية حتى ١١ أكتوبر ١٩٤٩، وقدمت مشروعات مختلفة . ففى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٩ قدم الاتحاد السوفييتى اقتراحاً ينص على منح ليبيا الموحدة الاستقلال فوراً ، وسحب جميع القوات الحربية والموظفين العسكريين الأجانب من أراضى ليبيا فى مدى ثلاثة أشهر وتصفية القواعد الحربية(١) .

وفى ٣ أكتوبر ١٩٤٩ تقدم العراق بمشروع يقضى بأن تعلن الأمم المتحدة تأليف حكومة موحدة ذات سيادة فى ليبيـــا . وعلى الدولة القائمة بالإدارة أن تتخذ التدابير المباشرة لنقل السيادة وكل سلطات الدولة فى أقرب فرصة إلى الحكومة الليبية الشرعية(٢) .

وفى ٤ أكتوبر ٩٤٩ تقدمت الهند بمشروع عن ليبيا من النقط الآتية(٣):

١ — تكون مناطق ليبيا موحدة مستقلة تضع لها جمعية تأسيسية عن ممثلى السكان دستوراً توافق عليه لجنة تعينها الجمعية العامة .

٢ — تتألف لجنة الأمم المتحدة من ثلاثة أعضاء على الأقل وخمسة على الأكثر تختارهم الجمعية العامة من بين الخبراء .

٣ — تدرس اللجنة الأحوال المحلية وتضع الأسس العملية لتكوين جمعية تأسيسية تمثل السكان تمثيلا حقيقيا .

٤ — بعد أن تضع الجمعية الدستورية تعرضه على اللجنة .

٥ — بعد موافقة اللجنة يعرض الدستور على السكرتير العام الذى يحيله على الدول القائمة بالإدارة . (بريطانيا وفرنسا)

---

(١) A/C 1.487

(٢) A/C. 1. 489

(٣) A/C. 1.491

٦ — تعمل الدول القائمة بالإدارة على تنفيذ الدستور .

٧ — التدابير السابقة تتم بعد سنتين من تأليف اللجنة .

وفى ١٠ أكتوبر تقدم وفد الولايات المتحدة بالمشروع التالى :

(ا) فيما يتصل بليبيا التى تجمع الآن الشروط الضرورية لتكوين حكومة مستقلة .

١ — ستصبح ليبيا مستقلة بعد ثلاث سنوات من قبول هذا القرار و فى المدة التى تسبق الاستقلال :

(ا) تستمر الدول التى تدير الآن برقة وطرابلس وفزان فى إدارتها بحيث تعمل على تحقيق استقلالها وتتعاون فيما بينها لذلك .

(ب) تتعاون السلطات الإدارية على إنشاء إدارات حكومية ، وتعد قبل موعد الاستقلال بسنة على الأقل التدابير التى تسمح لممثلى برقة وطرابلس وفزان بالاجتماع والتشاور لتقرير شكل الحكومة التى يرغبون فى إقامتها عند الاستقلال .

(حـ) تقدم الإدارات الحالية تقريراً سنويا إلى السكرتير العام عما اتخذته بشأن الفقرتين (ا و ب) من هذا القرار ، ويحيط السكرتير العام أعضاء الأمم المتحدة علماً بذلك .

(د) يتألف مجلس استشارى من ممثلى مصر والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا والمملكة المتحدة واثنين من ممثلى السكان المحليين واحد عن برقة والثانى عن طرابلس ، ويشاور المجلس الإدارات عن الوسائل التى يمكن بها مساعدة السكان على تأليف حكومة ليبيا المستقلة وغير ذلك من المسائل مثل المرافق المشتركة . ويكون مركز المجلس خارج ليبيا فى مكان يعين بالاتفاق مع السكرتير العام ، وله أن يزور البلاد ويحصل بمعاونة السلطات الإدارية على المعلومات التى يراها لازمة لأداء واجباته . ويقوم

المجلس تقريراً سنويا للسكرتير العام الذى يبلغه للأمم المتحدة[١] .

وقد أضاف الوفد الأمريكى فقرة أخرى إلى مشروعه تقضى بأن تقبل ليبيا المستقلة عضواً فى الأمم المتحدة طبقا لنص المادة الرابعة من الميثاق . وأدخل الوفد الباكستانى تعديلات على المشروع خاصة بزيادة أعضاء المجلس الاستشارى فيدخله ممثل عن فزان وآخر عن الباكستان .

وقد رأت اللجنة السياسية بناء على اقتراح من الأرجنتين تكوين لجنة فرعية من ٢١ عضواً بينهم مندوبون عن الدول الكبرى ومصر والعراق والهند والباكستان لتنسيق المقترحات وعقدت اللجنة الفرعية ٢٩ جلسة من ١١ أكتوبر إلى أول نوفمبر وانتهت فيما يتصل بليبيا إلى النقاط الآتية :

١ — تتألف فى ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة فى موعد أقصاه أول يناير ١٩٥٢ .

٢ — يضع ممثلو برقة وطرابلس وفزان المجتمعون فى مجلس وطنى دستوراً صالحا لليبيا .

٣ — تعين الأمم المتحدة مندوبا عنها لمساعدة سكان ليبيا على وضع الدستور وتأليف حكومة مستقلة ويؤلف إلى جانب المندوب مجلس استشارى يعاونه ويشاوره .

٤ — يتكون المجلس الإستشارى من ممثلين عن مصر والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا والباكستان وبريطانيا وممثل عن كل من مناطق ليبيا الثلاث والأقليات .

٥ — تعمل السلطات الإدارية القائمة فوراً على وضع التدابير الضرورية لنقل السلطات إلى حكومة مستقلة شرعية وتقوم إدارة المناطق بتيسير تحقيق

---

(١) O.C. 1. 471

وحدة ليبيا واستقلالها وتتعاون فى إنشاء الإدارات الحكومية وتبادر إلى ذلك .

٦ — تقبل ليبيا بعد أن تتكون فيها حكومة مستقلة فى الأمم المتحدة .

ورفضت اللجنة الفرعية اقتراح الاتحاد السوفيتى بإعلان إستقلال ليبيا الموحدة على الفور وذلك بأغلبية ثمانية أصوات ضد ستة أصوات وكانت الدول المؤيدة هى مصر وأثيوبيا والعراق وروسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا .

وواضح أن المشروع الذى وافقت عليه الأغلبية يرتكز إلى المشروع الأمريكى ، وقد عارض الوفد البريطانى فى تأليف مجلس استشارى إلى جانب المندوب ، والتزمت بريطانيا هذه المعارضة فى اللجنة السياسية أيضاً وفى الجمعية العامة ولكنها فى الوقت نفسه لم ترفض المشروع وكذلك الحال فى فرنسا فقد امتنعت عن إقرار وحدة ليبيا والتزمت هذا الموقف إلى النهاية أيضا .

وأحيل مشروع قرار اللجنة الفرعية إلى اللجنة السياسية فى أول نوفمبر وعرض للمناقشة فى ١٢ نوفمبر فوافقت عليه بأغلبية ٤٩ صوتا ضد واحد وامتناع ٧ ، وأحيل مشروع القرار إلى الجمعية العامة فأقرته يوم ٣١ نوفمبر ١٩٤٩ بأغلبية ٤٩ صوتا ضد لا شىء وامتناع ٩ فى الجزء الخاص بليبيا . ووافقت على قرار المستعمرات الإيطالية السابقة جملة بأغلبية ٤٨ صوتا ضد واحد وامتناع ٩ .

ووافقت الجمعية العامة كذلك على مشروع قرار يقضى بأن تعين لجنة من رئيس الجمعية العامة ورئيس اللجنة السياسية الخاصة مندوب الأمم المتحدة أو ترشح ثلاثة إن لم تتفق على واحد . وقد وافقت اللجنة على القرار بأغلبية ٤٨ صوتا ضد واحد وامتناع ٣ .

وينبغى لنا قبل أن نورد نص القرار أن نستعرض طرفا من الآراء والملاحظات التى أبداها بعض المندوبين عنه فى الجمعية العامة : —

قال مندوب بريطانيا (Mc Neil) إن العالم كله يسعده أن يستقبل ليبيا بين الأمم المتحدة فى عام ١٩٥٣ ، ولكن تعيين مندوب عن الأمم المتحدة ومجلس استشارى تجربة جريئة يخشى منها على توازن السلطات كما أن مانوصى به ينافى الواقعية والحكمة ولكن الأمر على أية حال تجربة وستعاون بريطانيا على تطبيق القرارات الخاصة بليبيا وغيرها .

وقال مندوب فرنسا (Couve de Murville) إن فرنسا ترى أن التوصيات الخاصة بليبيا والصومال غير واقعية لأنها غير مستمدة من البيانات التى بين أيدينا ، ومرجعها تقرير لجنة التحقيق الرباعية فإن المندوبين اتفقوا على أنه ليس بين المستعمرات الإيطاليا السابقة ما هو أهل للاستقلال . فهى مناطق فقيرة لا تكفى نفسها ، بدائية فى وعيها السياسى .

والتوصيات الحاضرة تناقض هذه البيانات وتنافى النتائج التى وصلت إليها الجمعية العامة فى مايو الماضى وكانت لهذا أغلبية إن لم تصل إلى أغلبية الثلثين فقد كانت قريبة منها . ومع ذلك فإن أكثر الوفود قد تحمل هذه المسئولية الكبيرة فى نوع من المثالية الحماسية التى لايسعنا إلا تقديرها . على أن الوفد الفرنسى من جانبه ، مضطر إلى الإحتفاظ برأيه والامتناع عن التصويت . وليس ذلك موقفا سلبيا بل إن واجبه يقتضيه أن يعبر بصراحة عن رأيه فى القرارات المقترحة وهو يرى أن الظروف التى تمر بها هذه التجربة ليست خير الظروف ولا أكثرها حكمة . على أن فرنسا لن تمتنع عن تقديم مساعدتها من حيث هى دولة قائمة بالإدارة ومن حيث هى عضو فى المجلس الإستشارى .

وقال مندوب الاتحاد السوفيتى (Arutiunian) إن مصير المستعمرات الإيطالية السابقة جزء من مشكلة الاستعمار عامة ، والعالم الآن فى أزمة نتيجة يقظة شعوب المستعمرات لمطالبتها بالحرية الوطنية . فهى لا تريد أن تعيش

الآن كما كانت تعيش فى الماضى ولاتستطيع الدول الاستعمارية أن تحكمها كما كانت تفعل . وقد أخذ مركز فرنسا وبريطانيا وغيرهما يضع فى مستعمراتها بينما أخذ مركز الولايات المتحدة الأمريكية يقوى فى هذه المستعمرات . وهى تحاول أن تطرد تلك الدول من ممتلكاتها وتسيطر عليها سياسيا واقتصاديا . ومع ذلك فإن الدول الاستعمارية تقف صفا واحداً فى كفاحها ضد شعوب المستعمرات ، وقد حاولت أن تقرر مشروع بيفن - سفورزا فلما فشل قدمت فى هذه الدورة صيغة معدلة وبذلت مساعيها متجاهلة الشعوب ذات المصلحة فأنكرت مطالبها وضحت بمصالحها الحيوية .

إن الدول الإستعمارية ترغب فى الاحتفاظ بقواعدها الاستراتيجية فى ليبيا وإقامة نظم صورية والإبقاء على تقسيم البلاد . وتأليف المجلس الاستشارى بصورته الحالية كفيل بتنفيذ مصالح الدول الاستعمارية فالأغلبية فيه من ممثليها . وستعمل مع الإدارات المحتلة على تجزئة البلاد والاستمرار فى حكمها (١) .

وهذا نص قرار الجمعية العامة عن ليبيا :-

« طبقا للفقرة الثالثة من الملحق ١١ من معاهدة الصلح مع إيطاليا عام ١٩٤٧ التى وافقت الدول المختصة فيها على قبول توصيات الجمعية العمومية بخصوص التصرف فى المستعمرات الإيطالية السابقة واتخاذ التدابير اللائقة لسريان مفعولها .

وبعد الأطلاع على ما جاء فى تقرير لجنة التحقيق الرباعية وبعد سماع أقوال ممثلى الهيئة التى تمثل الأقسام الهامة للآراء فى الأقاليم المقصودة ، وبعد الأخذ بعين الاعتبار برغبات ورفاهية سكان الأقاليم ومصالح الأمن والسلام

---

(١) Bulletin des Nations Unies, Dec. 1949.

ووجهات نظر الحكومات المختصة والنصوص الخاصة بهذا الموضوع فى الميثاق توصى الجمعية العمومية للأمم المتحدة بما يلى :

(١) فيما يختص بليبيا :

١ — أن ليبيا التى تشمل برقة وطرابلس وفزان ستكون دولة مستقلة وذات سيادة .

٢ — يسرى مفعول هذا الاستقلال فى أقرب فرصة ممكنة ، وعلى أى حال لا يتجاوز أول يناير سنة ١٩٥٢ .

٣ — أن يقرر دستور ليبيا بما فيه نوع الحكومة بواسطة ممثلى السكان فى برقه وطرابلس وفزان الذين يجتمعون ويتشاورون فى شكل جمعية وطنية .

٤ — لأجل مساعدة أهالى ليبيا فى وضع دستور وتأسيس حكومة مستقلة سيكون فى ليبيا مندوب من قبل الأمم المتحدة تعينه الجمعية العمومية وله مجلس يساعده ويرشده .

٥ — يقدم مندوب هيئة الأمم المتحدة بالتشاور مع المجلس تقريراً سنويا وأى تقارير أخرى يرى أهميتها إلى السكرتير العام : ويضاف إلى هذه التقارير أية مذكرة أو وثيقة يرى مندوب الأمم المتحدة أو عضو من أعضاء المجلس رفعها إلى هيئة الأمم المتحدة .

٦ — سيكون المجلس من عشرة أعضاء وهم :

(ا) ممثل واحد تعينه حكومة كل من البلاد الآتية : مصر ـ فرنسا ـ إيطاليا ـ الباكستان ـ المملكة المتحدة ـ الولايات المتحدة الأمريكية .

(ب) ممثل واحد من كل من الأقسام الثلاثة فى ليبيا وممثل واحد عن الأقليات فى ليبيا .

٧ — يعين مندوب الأمم المتحدة المذكورين فى الفقرة السادسة (ب) بعد التشاور مع السلطات الإدارية وممثلى الحكومات المذكورة فى الفقرة السادسة (ا) والشخصيات البارزة وممثلى الأحزاب السياسية والهيئات فى المناطق المحتلة.

٨ — يستشير المندوب أثناء تأدية وظائفه أعضاء مجلسه ويسترشد بهم وله أن يستنير بآراء مختلف الأعضاء بالنسبة للمناطق أو الموضوعات المختلفة.

٩ — لمندوب الأمم المتحدة أن يقدم إلى الجمعية العمومية وللمجلس الإقتصادى والإجتماعى وللسكرتير العام اقتراحات عن التدابير التى ترى الأمم المتحدة أن تتخذها أثناء فترة الانتقال بخصوص المسائل الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا.

١٠ — تقوم الدول القائمة بالإدارة بالتعاون مع المندوب بما يلى :

(ا) تشرع حالا فى اتخاذ الخطوات اللازمة لنقل الحكم إلى حكومة دستورية مستقلة.

(ب) أن تقوم بإدارة البلاد بغرض المساعدة فى إقامة وحدة ليبيا واستقلالها والتعاون فى تكوين الإدارات الحكومية وتنسيق جهودها لهذه الغاية.

(ج) تقديم تقرير سنوى إلى الجمعية العمومية عن الخطوات التى اتخذت بشأن تنفيذ هذه التوصيات.

١١ — تقبل ليبيا بمجرد تكوينها كدولة مستقلة عضوا فى الأمم المتحدة طبقا للمادة الرابعة من الميثاق. (١)

* * *

وينبغى فى ختام عرضنا لتطور القضية الليبية فى الميدان الدولى أن ننوه بمجهودات الجامعة العربية فى تأييد القضية. والحق أن قضية ليبيا من المسائل القليلة التى وفقت فيها الجامعة بما لها من إمكانيات محدودة وما يوضع فى

---

(١) ترجمة الإدارة السياسية بالجامعة العربية — وثيقة رقم ٣ لعام ١٩٤٩.

طريقها من الشوك ، وقد نص الملحق الثانى من ميثاق الجامعة على مايأتى :
« نظراً لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها ولجانها شئونا يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ، ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة عند النظر فى اشتراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق (مادة ٤) بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد حد مستطاع وفيما عدا ذلك ألا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وأمانيها وآمالها وأن يعمل بعد ذلك على إصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ماتهيئه الوسائل السياسية من أسباب . » (١)

ومن الإنصاف لأمين الجامعة عبد الرحمن عزام باشا أن نذكر أن صلته القديمة بليبيا التى سبقت الإشارة إليها كانت ذات أثر بعيد فى توجيه سياسة الجامعة العربية فى القضية . وقد بدأ اهتمام الجامعة العربية بقضية ليبيا منذ عرضت على مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى عام ١٩٤٥ . وقد وجهت الجامعة إلى المجلس مذكرة أيد فيها الأمين العام وحدة ليبيا بحدودها المعروفة ومنافاة طبيعة البلاد للتجزئة وكفاح الليبيين للعدوان الفاشى ، وذكر عن أمانى أهالى ليبيا قوله : « وتلخص هذه الأمانى كما عهدتها بنفسى فى الرغبة فى بقاء بلادهم موحدة وفى أن تترك لهم الحرية فى إدارة شئونهم بأنفسهم وأن تصبح ليبيا عضواً فى جامعة الدول العربية » . (٢) وقال إن هذه الأمانى يمكن التأكد منها باستفتاء شعبى تحت إشراف الأمم المتحدة وإنه إذا دعت الحال إلى فترة انتقال فينبغى أن توكل الوصاية إلى دولة عربية أو إلى الجامعة العربية كلها . (٣)

---

(١) المسألة الليبية . ص ٨ / ٩
(٢) نفس المصدر ص ١٠ .
(٣) ص ١٠ / ١١ .

وعندما عقد مؤتمر الصلح مع إيطاليا تقدمت الجامعة العربية فى ١٨ أبريل سنة ١٩٤٦ بمذكرة أخرى تقوم على الأسس السالفة (١) ثم عقد مؤتمر أنشاص من رؤساء دول الجامعة فجاء فى بيانهم التاريخى الفقرة التالية عن ليبيا: «ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة وفزان ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحهم أن تهيء الأسباب لهذا الاستقلال وأن تتعهد بادىء الأمر بالرعاية اللازمة ظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء الجامعة العربية». (٢)

ولما اتجهت نية الدول الكبرى إلى إرسال لجنة تحقيق لدراسة أحوال ليبيا حاولت الجامعة العربية أن تشترك فى لجنة التحقيق ولكن أمريكا وانجلترا حالتا دون ذلك (٣) وأصدر مجلس الجامعة فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٧ قرارا جاء فيه : —

«لما كان حق ليبيا فى وحدتها واستقلالها هو حق طبيعى ثابت بحكم التاريخ وبما أهدرت من دماء غزيرة فى سبيل الذود عن وحدتها واستقلالها، وبمناسبة قرب البت فى مصير المستعمرات الإيطالية فإن المجلس إذ يرقب المسألة الليبية بقلق زائد يؤكد مرة أخرى ماقرره من وحدة البلاد الليبية (برقة وطرابلس وفزان) وأن إستقلالها هو الهدف الأول الذى يجب أن تنشده البلاد العربية وتسعى اليه بكافة الوسائل الفعالة الممكنة .

---

(١) ص ١٥ / ١٨ .
(٢) المسأله الليبية ص ١٨ .
(٣) نفس المصدر ص ٢٦ .

ويرى المجلس أن كل تسويف فى تحقيق هذه الأهداف العادلة أو حرمان لليبيا من استقلالها بتجزئتها أو وضعها تحت وصاية أجنبية هو عمل يتنافى قطعا مع العدالة والحق .

لهذه الأسباب يوصى المجلس الحكومات العربية باتخاذ العدة من الآن لعون استقلال ليبيا ووحدتها وتقديم مذكرات إلى الدول الأربع الممثلة فى لجنة التحقيق والقيام بسعى دبلوماسى لدى هذه الدول للاشتراك فى المفاوضات الجارية فى المسألة الليبية دفاعا عن وجهة النظر العربية ، لما لها من علاقات قوية بليبيا قائمة على أواصر القربى والجوار والثقافة واللغة والتاريخ ووحدة المصالح» .(١)

وقامت الجامعة العربية فى ١٧ أكتوبر ١٩٤٧ بتوجيه مذكرة إلى الدول الأربع الكبرى أوضحت فيها أن ليبيا بلاد عربية تجمع بينها عوامل مشتركة من اللغة والدين والعادات والثقافة والاقتصاد . فمطلبها الأول وحدة البلاد بأقسامها الثلاث . وأن ليبيا كان لها منذ أيام العثمانيين استقلال ذاتى وأن أهلها قاوموا الغزو الإيطالى على وحشيته وجاهدوا فى مهاجرهم من أجل حريتهم وبادروا إلى معاونة الحلفاء فالمطلب الثانى لهم هو التمسك بالحرية والاستقلال . وقد عادت سيادتهم اليهم بعد تنازل العثمانيين عنها فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ والطليان بمقتضى معاهدة الصلح فى ١٠ فبراير ١٩٤٧ (٢)

على أن محاولات الجامعة لم تجد إزاء المطامع الاستعمارية ، يقول الأمين العام فى تقريره إلى مجلس الجامعة فى مارس سنة ١٩٥٠ : «منذ سنة ١٩٤٧ اتضح للأمانة العامة أن مساعيها مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا غير مجدية وأن الدولتين مصممتان على الاحتفاظ بما فى أيديهما من أراضى ليبيا عن طريق الوصاية أو على أى شكل آخر من الأشكال والأوضاع التى يلجأ اليها المسيطرون لإقامة

---

(١) نفس المصدر ص ٢٦ . (٢) نفس المصدر ص ٢٧ — ٣٢

نظم شبيهة بالاستقلال فى ظاهرها وهى أداة الاستعمار المقنع (١)، ولم يكن الخطر يأتى من المؤامرات التى تحوكها الدول الاستعمارية وحدها. والاتفاقات التى تعقدها لتقسيم البلاد وفرض سيطرتها عليها كما رأينا فى مشروع بيفن — سفورزا وإنما ازدوج الخطر بانقسام الرأى بين أهل البلاد أنفسهم وسيطرة روح الهزيمة على فريق منهم. جاء فى التقرير السالف: «ومما يؤسف له أنه فى الأيام الحرجة فى سنتى ٤٧ و ٤٨ و ١٩٤٩ كانت البلبلة فى الرأى العام شديدة والإيمان بالنصر ضعيفا فخطر للكثيرين تسويات زهيدة يقصد بها إنقاذ مايمكن إنقاذه ووصل الأمر إلى انصراف بعض القادة والزعماء الليبيين إلى الاكتفاء بإبعاد إيطاليا بأية وسيلة ولو حلت بريطانيا فى كل البلاد وصية بأى شكل من الأشكال، وتورّط بعضهم فى التفاهم على أنواع من الحكم لاتخرج عن الحماية الأجنبية فى صورها المتعددة فى بعض أجزاء البلاد العربية الخاضعة للنفوذ الأجنبى.» (٢)

وبعد فشل مشروع بيفن — سفورزا وجدت الجامعة العربية أن إيطاليا هى أضعف نقطة فى جبهة الدول الغربية وأن إخفاق المشروع يعطفها إلى التفاهم مع العرب على أساس تبادل المصالح، فحدث تقارب من الجانبين، وجرت مباحثات بين الأمين العام ووزير إيطاليا المفوض فى مصر انتهت فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٩ إلى اقتراح يعمل العرب والطليان على تأييده فى هيئة الأمم المتحدة بالنسبة لليبيا ونصه :—

الجمعية العامة : (١) توصى بأن طرابلس يجب أن تهيأ لها الظروف لتكون بأسرع مايمكن دولة مستقلة، وتحقيقاً لذلك يجب إجراء انتخابات فى مدة ستة أشهر لجمعية وطنية لتختار نوع الحكومة التى تمثل البلاد، وتشرف على

---

(١) المسألة الليبية ص ٣٧.

(٢) نفس المصدر ص ٣٩.

انتخاب الجمعية الوطنية لجنة دولية مكونة من ممثلى الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا ومصر ومن مندوبين يمثلان سكان طرابلس وتضع هذه اللجنة النظم التشريعية التى تسير عليها الانتخابات . وفى أثناء فترة الإنتقال لحين إنشاء حكومة وطنية يعهد مؤقتاً بإدارة البلاد لسلطات الاحتلال .

(٢) تدعو حكومة إيطاليا وحكومة طرابلس لعقد معاهدة بينهما لتدعيم العلاقات وتصفية المصالح المشتركة الخاصة برعاياهم المقيمين فى أراضيها .(١)

وكان هذا الاتفاق مناورة ناجحة فى إحباط المؤامرات الاستعمارية التى ترمى إلى السيطرة على ليبيا وتوصلا إلى الحل الكامل بالاستقلال والوحدة ، على نحو ما أقرته الجمعية العامة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ .

وقد قامت الجامعة العربية إلى جانب هذه المساعى الدولية بالتقريب بين أهالى البلاد ، وتوجيه نشاطهم السياسى وبذل المشورة والنصح وتحديد الأهداف الوطنية ، فعاونت على إنشاء هيئة تحرير ليبيا لتجمع حولها الرأى العام وقدمت لها المساعدة الأدبية والمادية ، وحين نزل القحط بليبيا فى أواخر عام ١٩٤٧ وأوائل العام التالى عملت الجامعة العربية على تقديم المساعدات من الحبوب والمؤن والأموال ، لتقوية الروح المعنوية فى البلاد ، كما رعت الطلبة الليبيين بمصر ممن انقطعت عنهم الموارد وأعانت المهاجرين الذين تركوا بلادهم فراراً من الطغيان الإيطالى على العودة إلى البلاد لاستئناف الجهاد .(٢)

والحق أن الجامعة العربية قد بذلت فى قضية ليبيا مجهودا طيبا وناصرت الشعب الليبى ليظفر بوحدته واستقلاله وتركت ماعدا ذلك كنوع الحكم وشكله لأهل البلاد يقررونه وفق رغباتهم وبما تمليه مصالحهم . وهذه الخطة جديرة أن تنال تأييد الوطنيين المخلصين فتتكاتف الجهود لتنفيذ قرار هيئة الأمم نصا وروحا ، وتقوية الروابط بالشعوب العربية وتوثيق الصلة بالجامعة العربية فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ البلاد .

---

(١) نفس المصدر ص ٤٩ . (٢) المسألة الليبية — ص ٣٥ / ٣٦ .

الفصل الرابع

تجدد الكفاح الوطنى فى طرابلس

كان الاحتلال البريطانى الفرنسى لمناطق ليبيا نتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية ، ولكن نتائج هذه الحرب الأخرى أبعد أثرا من احتلال موقوت، فقداتسمت الحرب العالمية الثانية بسمة تحريرية للشعوب المستعمرة والتابعة وكانت حربا مبدئية بين الشعوب المحبة للسلام وبين دعاة العنصرية والسيطرة العالمية .

لقد قاس الليبيون طويلا قهرا الفاشية ، وانضموا منذ اليوم الأول إلى معسكر الديمقراطية وعقدوا الآمال على ما أعلنه الحلفاء من احترام حقوق الشعوب المهضومة ، والتخلى عن سياسة التوسع الاستعمارى ، وكان أول ما أعلن من ذلك ميثاق الأطلنطى فى ١٤ أغسطس ١٩٤١ بين فرانكلين روزفلت وونستون تشرشل، وقد جاء فى المادة الأولى : أن بلادهما لاتسعى إلى توسع إقليمى أوغيره، وفى المادة الثانية : أن بلادهما لا ترغب فى حدوث تغييرات إقليمية لا تتفق مع رغبات الشعوب ذات الشأن المعلنة فى حرية ، وفى المادة الثانية: أن بلادهما تحترم حق الشعوب جميعا فى اختيار نوع الحكومة التى يرغبون العيش فى ظلها ، وتريد أن ترى حقوق السيادة والحكم الذاتى وقد أعيدت إلى أولئك الذين سلبت منهم قهرا[1] .

وكان آخر ماأعلنه الحلفاء لضمان السلام ميثاق الأمم المتحدة الذى عقد

---

(١) Andrew Boyel : The United Nations Organisation Hand-book, London 1946.

فى سان فرانسكو فى ٢٦ يونيه ١٩٤٥ ، وهو أبعد خطوة خطتها الإنسانية فى سبيل ضمان السلام العالمى والنهوض بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى للبشر وكفالة حقوق الإنسان والقضاء على فوارق الدين والجنس واللون والعمل على الوصول بالشعوب المختلفة إلى مراتب الحرية والاستقلال (١) .

وكان كفاح الليبيين الطويل ضد الاستعمار الإيطالى ومشاركتهم فى الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء وإيمانهم بما تضمنته مواثيق السلام ، حريا أن ينظر إليهم بعد الحرب على أنهم أمة مجاهدة ينبغى أن تستعيد حريتها ، ولكن الأطماع الاستعمارية التى ذاقت الشعوب الشرقية مرارتها منذ القرن الماضى عادت من جديد فى صورة الاحتلال العسكرى البريطانى الفرنسى فى ليبيا ، وأصبحت قضية ليبيا تعالج على أنها قضية مستعمرة إيطالية تنازلت عنها إيطاليا المهزومة لتبسط عليها الدول المنتصرة نفوذها .

وأمام هذه المؤامرات الاستعمارية أخذ الكفاح الوطنى فى ليبيا يتجدد ، على أن من أبعد آثار هذه المؤامرات أن أفقدت البلاد وحدة الإرادة ، واختلفت الاتجاهات والوسائل بين طرابلس وبرقة وأسدل ستار حديدى حول فزان . ولكن الزمن وكفاح المخلصين كفيل بأن يجعل كلمة الشعب الليبى الموحد هى العليا .

(٢)

لقد أخذت صفوف الوطنيين تتجمع فى طرابلس منذ الاحتلال البريطانى واستؤنف النشاط السياسى ، ولكنه اقتصر أول الأمر على مطالبة السلطات البريطانية المحتلة بالاعتراف بصفة الحرب التحريرية وحق العرب فى إنشاء

---

(١) المصدر السابق .

الأحزاب وإصدار الجرائد والدعوة للقضية الوطنية بين الجماهير ، والقضاء على النظم الإدارية والقضائية الفاشية ووضع نظم ديموقراطية جديدة تقوم على المجالس الشعبية المنتخبة ووجوب محاكمة الفاشيين من الإيطاليين ومن مالأ الفاشية من العرب على السواء ، والسماح للزعماء الطرابلسيين المنفيين بالرجوع إلى البلاد .

ولكن الإدارة العسكرية البريطانية رفضت مطالب الطرابلسيين ، وأخضعت البلاد لسلطتها المباشرة غير المحدودة على نحو ما مر بنا ، وأبقت على النظم والتشكيلات الإدارية البوليسية التى خلفها الفاشيون ، وامتنعت عن تنفيذ أحكام محاكم التطهير التى نصبتها الحكومة الإيطالية لمعاقبة الفاشيين فى سنة ١٩٤٥ فيما يتصل ببعض القضاة والموظفين الإيطاليين[١] .

على أن ضغط قوات الاحتلال لم يحل دون تجدد الحركة القومية فى طرابلس فأنشىء النادى الأول فى عام ١٩٤٣ وأخذ ينشىء الفروع فى نواحى البلاد ، ويجند صفوف الوطنيين ، وفى عام ١٩٤٥ قام بتنظيم مظاهرة كبرى لإزالة لافتات الشوارع التى تحمل أسماء زعماء الفاشية وأعداء الحريات ، وقد انتظم عشرات الألوف فى هذه المظاهرة وأزيلت اللافتات ووضع مكانها أسماء زعماء العرب القومين . وقابلتها الإدارية العسكرية بحملة إرهابية .

وعملت الإدارية العسكرية من جهة أخرى على التوسل ببعض من قبلوا معاونتها من أبناء البلاد وعينتهم مستشارين للادارة فى نواحى البلاد لقاء أجر تدفعه لهم يبلغ ١٠٫٠٠٠ فرنك [٢] فتقدموا بعريضة إلى رئيس الإدارة البريطانية يطلبون فيها الوصاية الإنجليزية على طرابلس ، فكانت هذه الحركة

---

(١) حقائق الكفاح الوطنى فى ليبيا ص ٣٥ ــ ٣٦ .

(٢) من هؤلاء عون سوف على العجيات ، والطاهر المريض على ترهونه وابراهيم شعبان على زرارة والأخير لم يتقاض أجرا ، والشيخ محمد أبو الاسعاد مفتى طرابلس .

هى السبب المباشر لتأليف الحزب الوطنى أول الأحزاب التى أنشئت فى طرابلس وأقواها نفوذاً فى نواحى البلاد . وكان من مؤسسى الحزب عام ١٩٤٥ على بن حسن الفقيه (الرئيس) ومصطفى مزران وعون سوف ومحمد بن حسن وعبد السلام المريض وتوفيق بورخيص وسالم بن منتصر .

وقد نشر الحزب الوطنى ميثاقه فى أول شعبان ١٣٦٤ وهذا نصه : —

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

هذه وثيقة عهد وتضامن واتحاد بين أبناء الوطن الطرابلسى الموقعين على هذا فى سبيل النهوض بحالة البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأدبية.

قد تألف حزب سياسى تحت اسم الحزب الوطنى يضم بين عناصره كل وطنى مخلص شابا أو شيخاً للكفاح وتحقيق الأغراض السياسية الآتية إلى آخر قطرة من دمائهم على أساس التضحية بالمال والوقت والنفس ، والثبات على هذه المبادىء المقدسة دون استخذاء أو هوادة أو ضعف مهماً عظمت التضحية أو تعرض القائمون بهذا الأمر لأعظم الأخطار :

(١) المحافظة على النظام كلما كان ذلك ممكناً وغير متعارض مع حقوقنا الوطنية .

(٢) مناهضة كل فكرة ومصادمة أى قوة تعمل على رجوع الإدارة الإيطالية إلى الأراضى الطرابلسية من الحدود التونسية غربا إلى الحدود المصرية شرقا ثم من الحدود السودانية جنوبا إلى حدود الجزائر ومكافحة النفوذ الإيطالى بدون هوادة أو ترفق .

(٣) مناهضة أى فكرة أو أى قوة ترمى إلى اقتطاع أى جزء من أجزاء طرابلس ووضعه تحت إدارة أخرى لأية حكومة أخرى غير الحكومة التى يكون مركزها مدينة طرابلس الغرب .

(٤) العمل على إلغاء القوانين الإيطالية من طرابلس سواء أكانت إدارية أو مدنية أوجنائية أوتجارية وما يتعلق منها بالمرافعات المدنية والجنائية ثم تشكيل هيئة تشريعية تضم العناصر المخلصة من أبناء هذا الشعب ، ومشرعين آخرين من مسلمى الشرق الأوسط لسن القوانين التى تتفق مع حاجات البلاد والشعب وضروراته وتقاليده وعاداته .

(٥) العمل على أن يتولى الوظائف الإدارية والقضائية أبناء الشعب الأكفاء بقدر الإمكان بحيث لايمكن تعيين موظف أجنبى فى مصلحة يمكن أن يشغلها وطنى ، فإن لم يوجد وطنى كفء فلا يعين فيها إيطالى بل يؤتى بموظف من مسلمى الشرق الأوسط .

(٦) السعى لرفع مستوى الشعب الطرابلسى سياسيا واقتصاديا وأدبيا واجتماعيا .

(٧) لأجل تحقيق هذه الأغراض يجب التفاهم مع سلطات الاحتلال أولا فإن لم يمكن فنرفع ذلك إلى ما وراء الحدود بكل ما نملك من وسيلة .

(٨) القضاء على الخلافات الدينية والطائفية والمذهبية على قاعدة (الدين لله والوطن للجميع) .

(٩) السعى لإصلاح ذات البين بين القبائل التى بينها عداوات تقليدية قديمة وإزالة سوء التفاهم بين أفراد الطبقة المستنيرة وأعيان البلاد .

(١٠) تأسيس جمعيات تعاونية لأجل تنمية موارد البلاد الاقتصادية وتوسيع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة على الأساليب العصرية الحديثة، وإنشاء مدارس أهلية لهذا الغرض ومكافحة البطالة والكسل بكل قوة .

(١١) المطالبة باسترجاع جميع الأراضى التى امتلكتها الحكومة الإيطالية البائدة ظلما وعدوانا .

(١٢) مكافحة هجرة الإيطاليين وغيرهم من ذوى المطامع إلى بلادنا .

ومن هذا نرى أن الحزب الوطنى بدأ بجمع صفوف الوطنيين حول أهداف قريبة بعيدة عن التطرف وأقرب إلى التوسط تعمل على التقريب بين العناصر المختلفة ومواجهة الإدارة العسكرية دون الاصطدام بها .

على أن الحزب وجد مقاومة فى الاعتراف به من الإدارة العسكرية ولبث يعمل طوال عام ١٩٤٥ حتى اعترفت به الإدارة فى ٨ إبريل ١٩٤٦ وعملت الإدارة العسكرية البريطانية على الحد من نشاط الحزب وبث الشقاق فى صفوفه ، كما منعته الإدارة العسكرية الفرنسية من إنشاء فرع له فى فزان

وقد أغضبت خطة الاعتدال التى رسمها الحزب الوطنى بعض المتطرفين من أعضائه الذين لم يروا التفاهم مع الإدارة العسكرية البريطانية ، وكرهوا أن يحتل الطليان مناصب رفيعة فيها ، فانسلخ من الحزب الوطنى رئيسه على بن الفقيه حسن ومحمد بن الفقيه حسن وجماعة من أعيان مدينة طرابلس ومثقفيها الذين يعترف لهم بسداد الرأى وإن لم تكن لهم عصبية قبلية كبيرة كما اشتهروا بالنزاهة والمواقف المشرفة أيام الاحتلال الإيطالى ، وتألفت فى ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦ الكتلة الوطنية الحرة . وعلى أثر ذلك أصبح السيد مصطفى مزران رئيساً للحزب الوطنى .

ومن جهة أخرى حاولت الإدارة العسكرية البريطانية إضعاف نفوذ الحزب الوطنى فتألفت الجبهة الوطنية المتحدة فى ١٠ مايو ١٩٤٦ برياسة السيد سالم بن منتصر ومن أعضائها البارزين الشيخ محمد أبو الأسعاد مفتى طرابلس منذ أيام الطليان والسادة عون سوف والطاهر المريض وإبراهيم بن شعبان وأكثر المنتمين إلى الجبهة من الأعيان والموظفين الذين هادنوا الطليان وعاونوا الإدارة العسكرية البريطانية . جاء فى تقرير لجنة التحقيق : « وينتمى زعماء الجبهة الوطنية إلى أسر معروفة وهم أثرياء وتجار أو رؤساء دينيون وتقول

الإدارة العسكرية البريطانية أن أغلبهم كان يعضد الإدارة الإيطالية ، (١)

تلك هى الأحزاب الثلاثة الرئيسية فى طرابلس ، وقد تألفت بعدها ثلاثة أحزاب أخرى نتيجة انفصال بعض أعضاء الأحزاب الأولى منها . وهى :
١ — حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى ٢ — حزب العمال ٣ — حزب الأحرار .

تألف حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٦ على يد ثلاثة من أعضاء الكتلة الوطنية الحرة السابقين برئاسة الاستاذ على رجب ، ويمكن الإلمام بأهداف الحزب مما جاء على لسان رئيسه فى حديث ألقاه بنقابة الصحفيين بالقاهرة فى ٣٣ مايو ١٩٤٧ قال : « مادام فى طرابلس شعب عربى تربطه بمصر وحدة التاريخ والعقيدة والجنس والجوار والثقافة والعادات والمصالح المشتركة ، ومادامت لاتفصل بين القطرين المصرى والطرابلسى أية حدود طبيعية ، بل وما دام عدد الطرابلسيين المنتشرين فى ربوع القطر المصرى الذين أجلتهم عن بلادهم الحوادث وظروف الاستعمار الإيطالى لا يقلون عن عدد الطرابلسيين الذين يعمرون القطر الطرابلسى المترامى الأطراف والذى تزيد مساحته عن مساحة القطر المصرى ، فمن الذى سيقوى على منع قيام اتحاد بين هذين البلدين الشقيقين والقطرين المتلاصقين وهو اتحاد يتوقف عليه سلامة كيان كل منهما واستقرار الحياة فى ربوعهما ؟ » (٢)

وقد حاول الحزب أن ينشر دعوته فى طرابلس ولكنه لم يجد إلا تأييداً ضعيفاً كما أن آراءه لم تلق فى مصر رواجا ولم يؤيدها إلا بعض أصحاب الخيال الواسع وبعض الهيئات .

وكان من أهم الأسباب التى عجلت بالقضاء على الحزب أنه لم يحاول

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — ص ٧

(٢) رغبة الشعب الطرابلسى فى الاتحاد مع شعب وادى النيل ص ٨ — ٩ .

مسايرة تيار الكفاح الوطنى فى طرابلس الذى يترك للشعب حق تقرير نوع الحكم فى القطر بعد الوصول إلى الوحدة والاستقلال .

أما حزب العمال فقد أنشئ فى أول سبتمبر سنة ١٩٤٧ . وكان يجمع عدداً كبيراً من عمال الميناء وعمال المواصلات وعمال المصانع الإيطالية والمنشئات العامة ، على أن تمسك الإدارة البريطانية بتحريم إنشاء النقابات كنص التشريع الفاشستى جعل الأساس الذى قام عليه الحزب رخوا واهنا وجعل الحركة العمالية فى طرابلس كلها مفككة وضعيفة الوعى السياسى فلم يستطع هذا الحزب أن يقوم بدوره فى الميدان الوطنى . على أننا نجد للحركة العمالية فى ليبيا نهضات تظهر فى تضامنها من أجل مطالب اقتصادية كما حدث أخيراً فى إضراب عمال الميناء فى طرابلس (١) .

أما حزب الأحرار فقد تألف برياسة السيد صادق بن زراع أحد وكلاء الحزب الوطنى السابقين وقد اعترفت به الإدارة العسكرية البريطانية فى ١١ مارس سنة ١٩٤٨ ، ويجمع بعض المثقفين من رجال طرابلس وخاصة ممن اشتغلوا بشئون التعليم ، ولا يختلف فى مبادئه عن الأحزاب الأخرى وينادى بإمارة السيد إدريس السنوسى .

أما فى برقة فقد كان نادى عمر المختار أول ما أنشئ من الهيئات العامة وقد تأسس فى إبريل سنة ١٩٤٣ بقصد العناية بالشئون الرياضية والثقافية والاجتماعية وله فروع فى بنغازى وغيرها من المدن ويجمع صفوة شباب برقة المثقف برياسة السيد مصطفى بن عامر . وقد أصدر صحيفتين ناطقتين بلسانه هما مجلة عمر المختار وجريدة الوطن ، ويمكن أن ندرك دقة مركز هذه الهيئة إذا ذكرنا أنها تتمسك بوحدة البلاد الليبية وتعمل على التقريب بين

---

(١) حقائق الكفاح الوطنى — ص ٤٩ .

مناطقها وهى بذلك تخالف التيار القوى الذى تؤيده وتعمل له العائلة السنوسية والإدارة البريطانية وأعنى به محاوله فصل برقة عن باقى مناطق ليبيا. فالمعارضة التى تتمثل فى شباب عمر المختار تلقى مقاومة شديده، وإن كانت الهيئة تنص أحيانا على الاعتراف بالتاج السنوسى على ليبيا الموحدة، وقد جاء فى الخطبة التى ألقاها الأمير ببنى غازى فى ٣٠ يولية سنة ١٩٤٤ ونقلنا فقرات منها فيما سلف ما يلى: (١)

إخوانى، لا أرغب فى وجود جمعيات متعددة ولا أحزاب مهما كانت الغاية صالحة، فإن الأمة عائلة واحدة وجمعية واحدة. وما جمعية عمر المختار أو بالأصح نادى عمر المختار إلا رمز التآخى ومعهد للرياضة والثقافة والأعمال الخيرية، ونأمل أن يكون هذا النادى نواة صالحة لنهضة الشباب رجال الغد فعلى سواعدهم وحسن ثقافتهم ينهض الوطن، وإن عدد أمتنا وقلة ثروتنا لا تحتملان تعدد الجمعيات أما ضرر كثرة الأحزاب فقد أصبح ظاهراً حتى فى الأمم التى سبقتنا بمراحل شاسعة فى المدنية والحضارة.

على أن نادى عمر المختار لم يلبث إزاء ضغط الحوادث، ولأنه يمثل كما قلنا صفوة شباب برقة المثقف، أن دخل المعترك السياسى. جاء فى تقرير لجنة التحقيق عنه: «وتطور فى الفترة ما بين سنتى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ تطوراً سياسيا متخذا له دستورا ديموقراطيا كضمان ضد طغيان السنوسيين. وقد أوقف نشاطه فى سنة ١٩٤٧ (٢).

وقد تعرضت جمعية عمر المختار — بعد أن خرجت الإطار الذى فرضه عليها الأمير ورسمته لها الإدارة العسكرية — إلى ألوان من الاضطهاد والضغط

---

(١) السنوسية دين ودولة ص ٤٠٢ — ٤٠٣.

(٢) تقرير لجنة التحقيق — ص ٧٠.

فعطلت جريدتها بل دفعت دفعاً إلى التخلى عن اسم عمر المختار فأطلق عليها اسم « الجمعية الوطنية » أخيراً . على أن ذلك كله لايفت فى شباب المجاهدين وإنما يدفعهم إلى الثبات والمقاومة خاصة وهم المنوط بهم أمل برقة بل ليبيا كلها .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٧ أعلن الأمير السنوسى حل جميع الهيئات فى برقة وألف فى ١٨ يناير ١٩٤٨ المؤتمر الوطنى العام فأصبح هو الهيئة السياسية الوحيدة فى البلاد . وفى تقرير لجنة التحقيق فكرة واضحة عن هذه الهيئة قال : وكان المؤتمر فى أول أمره مكونا من ٦٧ عضوا يعينهم الأمير يمثلون القبائل وسكان المدن فى برقة كلها ، وقد زاد العدد الآن إلى ٧١ عضواً ويدعى المؤتمر أنه يمثل وجهات النظر فى البلاد كما يدعى أن له ١٤ فرعا فى برقة ، وكانت أهم أعماله هى إعداد العدة ورفع الأمر إلى اللجنة الرباعية ، وقد رفض المؤتمر تقديم جدول أعمال جلساته بحجة أنها سرية ، ومع هذا فلم يقدم حتى الأوراق غير السرية . وينحصر برنامجه فى وجوب تحقيق استقلال برقة التام الناجز وقيام حكومة دستورية تحت الأمير وورثته من بعده ، ورفض أى تعاون مع إيطاليا والإيطاليين ، وبين المؤتمر أنه يؤثر وحدة ليبيا على شرطين :

أولا : أن تكون ليبيا ملكية وراثية تحت تاج الأمير .

ثانياً : ألا يسمح بعودة الإيطاليين باى حال من الأحوال .

ورئيس المؤتمر وأحد وكيليه من أقارب الأمير ، والوكيل الثانى من عائلة السنوسى ، ويتكون المؤتمر وفروعه من مشايخ القبائل والأعيان ، وهو معاد للايطاليين عداوة مرة ، وقد حارب أعضاؤه الإيطاليين قبل الاحتلال الإيطالى . ويشغل بعض أعضاء المؤتمر وظائف مهمة فى الإدارة العسكرية البريطانية ومنهم من شغل وظائف مهمة أيضا فى العهد الإيطالى والعهد التركى. وقد أعلن المؤتمر أنه قد أنشىء لتحقيق برنامجه فى برقة ولكن اللجنة الرباعية

لاحظت أثناء تحقيقاتها أنه يعمل كهيئة إدارية تصدر تعليماتها إلى المديرين والمشايخ بواسطة فروعه فى البلاد[١] .

هذه هى أهم الهيئات السياسية التى تألفت فى ليبيا منذ الحرب العالمية الثانية وأخذت تؤثر فى الرأى العام ، وإن كان تأثيرها متفاوتا ، وتجمع حولها المؤيدين والأنصار وإن كان حظها من ذلك متفاوتا كذلك .

وقد كان أهم ما يثير الخلاف ويفرق الرأى أمران :

١ — الوحدة بين المناطق الليبية

٢ — مسألة التاج السنوسى . وقد كان الرأى العام الوطنى فى طرابلس أميل إلى التفريق بين الأمرين فهو يقدم الاستقلال والوحدة ويترك مسألة الأمارة السنوسية لرأى الشعب بعد تحقيق الإستقلال والوحدة . أما الرأى الرسمى فى برقة فقد ربط بين الأمرين وشرط الوحدة بالتسليم بالأمارة السنوسية على ليبيا كلها . فكان ذلك مثار خلاف بين أهالى طرابلس فيما بينهم ثم بين الطرابلسيين وفريق كبير من أهالى برقة وعلى رأسهم السيد إدريس السنوسى الذى خطا خطوات واسعة فى التعاون مع الإنجليز منذ أعلنت الحرب ، ومع الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة منذ طردت جيوش المحور من برقة .

(٣)

بدأ تجدد النشاط السياسى فى ليبيا بمذكرة رفعها أعيان البلاد إلى وزير خارجية بريطانيا قبيل انعقاد مجلس وزراء الخارجية وجهوا فيها النظر إلى رفض عودة الإيطاليين ، وجاء فى ختامهـــا : « أن ميثاق الأطلنطى وكل

---

(١) تقرير لجنة التحقيق ص٦٩

المؤتمرات التى عقدت أثناء الحرب وبعدها قررت اختيار تقرير المصير . وأن الأمة الطرابلسية تلفت نظر وزراء المؤتمر إلى استنكار رجوع الحكم الإيطالى لبلادها وإنها لا تخضع لأى قرار يصدر ضد رغبتها ولو عرضت نفسها للفناء المطلق » .

على أن حداثة التنظيم السياسى فى داخل البلاد ، وكثرة الخلاف وعدم تغلغل الوعى السياسى بين الجماهير ، والإيمان بإخلاص أمين الجامعة العربية للقضية الطرابلسية وإدراك أن الجامعة العربية أقدر على تولى الدفاع عن القضية الطرابلسية فى الميدان الدولى ، والاقتناع برغبة الشعوب العربية فى مناصرة شعب ليبيا المجاهد ، كل ذلك قد جعل الليبيين المقيمين والمهاجرين يتصلون منذ سنة ١٩٤٥ بعزام باشا أمين الجامعة العربية ويفوضونه فى الدفاع عن قضيتهم ويقدمون العرائض بذلك ، ويتصلون من جهة أخرى بالحكومة المصرية للعناية بالأمر . وكان على رأس هؤلاء السيد محمد إدريس السنوسى.

وقد نهضت الجامعة العربية بهذا الواجب على نحو ما قدمنا من سبتمبر ١٩٤٥ أى قبيل انعقاد مجلس وزراء خارجية الدول الكبرى . وكانت الآراء فى طرابلس وبرقة مجمعة على المطالبة بوحدة البلاد واستقلالها أولا ، فإذا حالت القوة والمطامع الدولية دون تحقيق ذلك فوراً عقد الأمل بأن تتولى الجامعة العربية أو إحدى دولها الوصاية على طرابلس وبرقة فى فترة الانتقال .

كان هذا هو اتجاه الرأى العام الليبى ، ولكن السيد إدريس مالبث أن صرح بمخالفته لذلك ، وكان هذا التصريح منه بداية انفراده بالعمل دون مبالاة باتجاه الرأى العام فى البلاد . سأله مجلس بلدية بنغازى فى نوفمبر ١٩٤٥ بأن يصارح الأمة بما بينه وبين الإنجليز من الاتفاقات بشأن مصير البلاد ، وهل وكّل الجامعة العربية فى الدفاع عن برقة وطرابلس . فصرح السيد إدريس فى ديسمبر ١٩٤٥ بأنه لم يوكّل أحداً فى الدفاع عن برقة وطرابلس

وأن مقابلته للنقراشي باشا كانت لمجرد السلام عليه ؛ ولم يتعرض لما بينه وبين الإنجليز من اتفاقات . ولكنه صرح بأن بلاده فى حاجة إلى حليفة قوية فى البحر والبر والجو للدفاع عنها لا إلى حليفة لا تملك أن تحمى نفسها . ويومئذ فهم الناس جميعاً أنه يقصد التحالف مع بريطانيا ويعرّض بمصر (١) .

وكانت هذه التصريحات من السيد خاتمة الخطة التى اختطها منذ البداية وهى الانفراد بالعمل فى برقة دون مبالاة باتجاه الرأى العام الليبى فى الحرص على وحدة البلاد واستقلالها ومقاومة التدخل الأجنبى . وكان من نتائج هذه السياسة الانفصالية أن رفعت عريضة إلى الجهات المسئولة من الانجليز وغيرهم فى مارس ٩٤٦ يطلب فيها مقدموها صراحة استقلال برقة منفصلة عن طرابلس وجاء فى العريضة ما نصه : ـ

« لهذا قد استقر الرأى على أن نطالب نحن ممثلى الأمة البرقاوية مجلس هيئة الأمم المتحدة بتحقيق مطالبنا الوطنية وأهدافنا القومية ، وحقوقنا الشرعية الغالية ، تاركين للشعب الطرابلسى الشقيق بدوره تقديم مطالبه التى يرغبها إلى سمو الأمير الجليل السيد إدريس المهدى السنوسى رأساً :

أولا : استقلال البلاد سياسيا وإداريا تحت إمارة سمو الأمير الجليل السيد محمد إدريس المهدى السنوسى .

ثانيا : تكوين حكومة دستورية وطنية تدير شئون البلاد .

ثالثا : قبول هيئة وطنية تمثل الشعب فى مؤتمر الصلح للدفاع عن قضيته ينتخبها سمو الأمير الجليل .

رابعاً : منح البلاد حقها فى التعويض عن الأضرار التى لحقت بها من جراء الحرب .

---

(١) الكتاب الأبيض ص ٤١ — ٤٢

هذا ما تطالب به البلاد الآن . »[١]

وحين ظهرت هذه الاتجاهات الانفصالية فى برقة، حاول بعض الطرابلسيين الاتفاق مع السيد ، فحضر فى مايو ١٩٤٦ الاستاذ محمود منتصر وانضم إليه السيد بشير السعداوى واتصلا بالسيد فى يونيه ١٩٤٦ وعرضا عليه الإمارة على أن تكون دستورية محصورة فى شخصه فقبل السيد مبدئيا ، وعرض الأستاذ محمود منتصر أن يتألف مؤتمر من طرابلس وبرقة لبحث نقط ثلاث : ـ

(١) قصر الإمارة على شخص السيد السنوسى .

(٢) إذا عرضت وصاية منفردة أو استقلال منفرد يرفض . ولا يقبل أحد الطرفين أى مفاوضة أو أى حل منفرد .

(٣) تشكل جبهة من القطر كله تعمل متحدة لتحقيق ما اتفق عليه بالطرق الدبلوماسية إذا أمكن، وإلا اتخذت ما تراه صالحا والشعب من ورائها يؤيدها[٢]

وقد تم الاتفاق على أن يجتمع وفدان عن برقة وطرابلس فى منتصف يناير ١٩٤٧ . فجاء وفد طرابلس من مفتى طرابلس وعون سوف وإبراهيم بن شعبان وعبد المجيد كعبار وسالم المريض وحبيب زكى واجتمع بوفد من برقة برياسة عمر باشا الكخيا فى ١٨ يناير ١٩٤٧ . وتقدم الوفد الطرابلسى بالمطالب الآتية :

أولا : التمسك بوحدة ليبيا بحدودها الطبيعية قبيل الحرب العالمية الثانية ورفض أى محاولة ترمى إلى تقسيمها أو فصل أى جزء منها .

ثانيا : الاستقلال التام لكل البلاد الليبية .

ثالثا : الالتفاف حول سمو الأمير المعظم السيد محمد إدريس المهدى السنوسى والمناداة به أميراً على ليبيا بحكومة ديموقراطية دستورية نيابية .

---

(١) الكتاب الأبيض ـ ٤٤

(٢) الكتاب الأبيض ـ ٤٥

رابعا : انضمام البلاد بعد نيلها الاستقلال إلى جامعة الدول العربية كعضو من أعضائها .

خامسا : تأليف هيئة مشتركة لتوحيد الجهود المتعلقة بمصالح الوطن تحت إشراف سمو الأمير .

سادسا : يلتزم الطرفان العمل على تحقيق المبادىء المشار إليها والدفاع عنها بكل الوسائل الممكنة وعدم قبول أى وضع لا يتفق معها .

سابعا : يجرى العمل بهذه الاتفاقية بعد توقيعها من الطرفين وموافقة سمو الأمير عليها .

وقد اقترح الوفد البرقاوى إضافة عبارة « بلا قيد ولا شرط » على المادة الثالثة ، وزيادة عبارة « على أنه إذا تعذر ذلك ينقد ما يمكن إنقاذه ويسعى لإنقاذ البقية الباقية » على المادة السادسة . وقد رفض الوفد الطرابلسى الموافقة على ذلك ، وعلل رفضه كما جاء فى بيان الجبهة الوطنية المتحدة : (وحيث أن كلمة بلا قيد ولا شرط لا معنى لوضعها فى صورة الاتفاق ما دام الوفد لم يقيد الإمارة بشىء يختلف فيه الطرفان ، ومن حيث أن هذه الزيادة تتنافى مع تقييد الإمارة بحكومة دستورية فلم يوافق على هذه الزيادة . وبما أن مهمة الوفد تنحصر فى اتفاقية تضمن اتحاد الجهود على الكفاح فى سبيل القضية الوطنية بكل ما يمكن من وسائل ، وحيث أنه لم يجد الوفد فى تلك الزيادة وهى « على أنه إذا تعذر ذلك ينقذ ما يمكن إنقاذه ويسعى لإنقاذ البقية الباقية » ما يضمن المصالح الوطنية ووجد ما يجعل لكلا الطرفين الحرية فى التخلص من الآخر وعدم الارتباط به فى السراء والضراء ، وأن الوحدة ما هى إلا شكلية لا روح فيها ، فلم يوافق على ذلك . ورأى أن اتفاقية بهذه الصورة مما لا يتفق والكرامة ولا يرضاها الشعب ولا المجاهدون فى خارج

القطر . وبذلك توقفت المفاوضات) (١) .

على أن الموقف الذى وقفته اللجنة البرقاوية ما كان يعبر عن رأى الشعب البرقاوى المجاهد ، فقد نشرت جمعية عمر المختار رأيها فى المفاوضات فى جريدة الوطن وكان مما قالته : — « لقد بذلت جمعية عمر المختار مساعى مشكورة لتقريب وجهة النظر بين الطرفين ، ولكن مع الأسف كانت النتيجة ماعرفه الجمهور ، والتى سببت استياء عاما بين كافة طبقات الشعب . ذلك لأن فى المذكرة البرقاوية ما يدل بوضوح على خطأ المادة السادسة التى كانت سبب الفشل . أما المذكرة الطرابلسية فهى تحتوى على أهداف سبق لسمو الأمير والشعب الليبى أن طالب بها فى عدة مناسبات . ولا ندرى السبب الذى من أجله امتنع ممثلو برقة عن الموافقة على هذه المبادئ التى هى هدف الشعب بأسره . وإذا أراد بعض الناس أن يلقوا المسئولية على برقة المجاهدة فإن الشعب البرقاوى النبيل لن يرضى أن يسجل على نفسه مسئولية هذا الأمر أمام الأمم العربية التى تعمل على تحقيق الوحدة . ونحن اليوم وإلى أن نلقى الله لا نزال متمسكين باستقلالنا التام الذى يضمن لنا السيادة الكاملة وبوحدة البلاد من الحدود التونسية إلى الحدود المصرية وبالانضمام إلى جامعة الدول العربية ، وبغير هذا لا نرضى بأى حل يفرض علينا . لقد غابت هذه الحقيقة عن نظر لجنة برقة الموقرة ، وأصمت آذانها وأغلقت قلوبها عن رغبات البلاد التى تعرفها حق المعرفة وبلغها الشعب إياها على لسان تلك الوفود التى اتصلت بها طيلة يومين كاملين ، فخيبت بذلك آمال الشعب فيها وضاع رجاء الأمة أدراج الرياح إزاء تصلب رئيسها ولجاجته فى العناد ورفض كل اقتراح تقدم به

---

(١) الكتاب الأبيض — ص ٤٧ — ٤٨ .

القوم إلى سعادته . فاللهم لا حول ولا قوة إلا بك وأنت حسبنا ونعم الوكيل » (١) .

ونشرت جمعية عمر المختار بيانا جاء فيه : « بناء على كل ما تقدم فإن المركز العام لجمعية عمر المختار ببرقة يرى من واجبه الوطنى أن يرفع صوته مستنكرا ومحتجا على تصرفات لجنة المفاوضات البرقاوية ، محملا إياها مسئولية ماستلده الأيام نتيجة لتلك التصرفات فقد أضحى كيان الوطن مهدداً بالتحطيم لا بإراده الغير فحسب، ولكن - وأأسفاه - بمعول بضعة أشخاص من أبنائه أيضاً (٢)».

والغريب أن السيد إدريس أدلى بتصريح لمندوب الأهرام بعد ذلك بعدة أسابيع بمناسبة تأجيل مجلس وزراء الخارجية البت فى مسألة المستعمرات الإيطالية السابقة سنة استهله بأن الشعب الليبى بعد طول مقاومة الاستعمار الإيطالى الغاشم لا يزال محتفظا بحيوته وهو يبذل الآن جهدة لتحقيق أهدافه وأمانيه القومية وقال : «وكيف نتقاعس اليوم ونحن نرى الشعوب العربية المستقلة وعلى رأسها الملوك والرؤساء والجامعة العربية يؤيدوننا وينصروننا وهذا ما يحتم علينا أن نتقدم إليهم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان.» وسئل كيف استقبل الشعب الليبى تأخر البت فى قضيته مدة سنة ، فأجاب سيادته : أن هذا القرار فى الحقيقة قد قوبل بالاستياء والاستنكار الشديد فى الأوساط الوطنية وأننا لن نرضى بهذا التأخير وأنه لن يفت فى عضدنا فنحن اليوم وإلى أن نلقى الله لا نزال متمسكين :

١ — باستقلالنا التام الذى يضمن لنا السيادة الكاملة .

٢ — بوحدة البلاد من الحدود التونسية إلى الحدود المصرية .

٣ — بالانضمام إلى جامعة الدول العربية كدولة مستقلة .

---

(١) نفس المصدر ص ٤٨—٤٩ . (٢) ص ٥٠

وسئل عن ترشيح سيادته للامارة فقال : إنى مع شكرى العظيم على هذه الثقة التى أولانى إياها مواطنى الأكارم ، أقول إن الهدف الأول الذى يجب أن تستهدفه هو الاستقلال التام الذى ضحينا وسنضحى فى سبيله بكل مرتخص وغال وأرى ما دون ذلك أمر ثانويا يجب ألا يشغلنا عما هو أهم وإنى أردد قول القائل :

ولست أبالى كنت فى القوم سيداً
ولا مسوداً إنما الغاية النصر (١)

* * *

فى أوائل عام ١٩٤٦ زار الملك عبد العزيز آل سعود مصر زيارة رسمية وصحبه فى حاشيته السيد خالد القرقنى (ابن الوليد) والسيد بشير السعداوى وهما من رجال طرابلس ومن مستشارى الملك السعودى السياسيين، وقد حل السيد بشير بالبلاط السعودى عام ١٩٣٦ وكان يتقاضى ألف جنيه ذهبا من منصبه. وفى القاهرة حدثت اجتماعات كثيرة وخاصة مع أمين الجامعة العربية، ومن جهة أخرى اتصل السيد بشير السعداوى بالسيد إدريس السنوسى ومستشاريه من الإنجليز ويبدو أنه فى هذه الفترة تم الاتفاق على أن يتولى السيد بشير الدعاية للامارة السنوسية وهى فكرة قديمة يعتنقها منذ وقت بعيد . وقد عاد فى حاشية الملك السعودى ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر بعد ثلاثة أشهر للعمل فى القضية الطرابلسية .

وكانت القضية الليبية لا تزال بين يدى الدول الأربع الكبرى كما سبق القول ، وفى ٦ يولية اتفق الوزراء الأربعة على تأجيل البت فى القضية سنة فكان لذلك وقع شديد فى البلاد فأعلن الإضراب العام احتجاجا على محاولة إعادة الإدارة الإيطالية وتعطلت جميع طرق الموصلات وأغلقت المتاجر

---

(١) الاهـرام — ١٩٤٦/٧/٢٢

واحتشدت الجماهير فى شوارع طرابلس منذ الصباح الباكر (١) وأرسلت الكتلة الوطنية الحرة مذكرة إلى الجامعة العربية تحتج على العبث بحقوق البلاد .

وجاء فيها : « فالكتلة الوطنية الحرة ترفع صوتها باسم العروبة إلى أمانة الجامعة العربية مستنكرة كل تفكير فى تقسيم ليبيا ومعلنة عزمها الأكيد على نيل حقها الكامل فى الوحدة والاستقلال . وتشرف الكتلة الوطنية الحرة بأن تبلغ جامعة الدول العربية القواعد التى تريد ليبيا أن تبنى عليها مستقبلها ولن تحيد عنها قيد أنملة وهى :

أولا : وحدة ليبيا بحدودها المعروفة من مصر شرقا إلى تونس غربا ومن السودان جنوبا إلى البحر الأبيض المتوسط شمالا .

ثانيا : استقلال ليبيا التام الذى لا تشوبه شائبة .

ثالثا : الانضمام إلى جامعة الدول العربية .

وفيها : « وهذا الحق يريده الشعب الليبى كاملا غير مجزأ سواء فى المطالب الأساسية المتقدم ذكرها أو فى المسائل الثانوية كمسألة تقرير نظام الحكم أو غيرها مما يجب أن يناط أمره بالشعب الليبى دون سواه (٢) . »

ثم اتجه الرأى إلى أن يوفد وكلاء وزراء الخارجية لجنة للتحقيق فى المستعمرات الإيطالية السابقة لدراسة أحوالها وتقديم تقرير عنها . فرأت الجامعة العربية أن تعمل على التقريب بين الليبيين وتوحدهم حول مطالب محددة متفق عليها يتقدمون بها للجنة التحقيق ، واستطاع أمين الجامعة أن يتصل بممثلين من جميع الأحزاب والهيئات لتتألف منهم رابطة تسعى إلى تهيئة

---

(١) الأهرام — و.ا.ع . ١٩٤٦/٦/١٢ .

(٢) الاهرام — ١٩٤٦/٧/٢٢ .

الرأى العام الليبى لاستقبال لجنة التحقيق الرباعية ، وكان أن شكلت هيئة تحرير ليبيا فى ١٣ مارس سنة ١٩٤٧ .

(١٣) السيد بشير السعداوى

وجاء فى بيان الهيئة : « شكلت هيئة تحرير ليبيا من الأعضاء الآتية أسماؤهم :

بشير بك السعداوى ، وأحمد بك السويحلى ، ومحمود بك منتصر ، وجواد بك ذكرى ، وطاهر بك المريض ، ومنصور قدارة وأغراضها هى: السعى لاستقلال ليبيا بحدودها الطبيعية أى من الحدود المصرية إلى الحدود التونسية والجزائرية وإلى الصحراء الكبرى جنوبا . والتعاون مع الجامعة العربية والتفاهم فى كل ما يحقق هذا الاستقلال ويصونه ويؤمن رفاهية الشعب الليبى وتقدمه وكذلك السعى بكافة الطرق المشروعة داخليا لتنوير الرأى العام وتوحيد الصفوف وتوجيه الجهود الوطنية واجتناب كل دواعى الجدل والشقاق

والخلاف على نظام الحكم وطرائقه وأن يبحث كل ذلك ممثلو الشعب بعد الاستقلال للصالح العام والمحافظة على وحدة الكلمة أثناء الكفاح للحرية ، وخارجيا بالدعوة فى جميع الجهات للحصول على تأييد الرأى العام العربى والإسلامى والعالمى وذلك بنشر دعوة الليبيين بين كافة الأقوام فى جميع الميادين الدولية (١) .

وعلى أثر تأليف (هيئة تحرير ليبيا) وجه الأمين العام للجامعة نداء إلى الشعب الليبي وهيئاته السياسية يعلن فيه تأليف الهيئة وأنها تساعد على معرفة رغبات الشعب الليبي وتوضح آماله فى البلاد العربية والأجنبية وأهاب الأمين العام بالأحزاب أن تتكاتف وتتهادن ووتقف صفا واحدا لإنقاذ البلاد (٢) وخصصت الجامعة العربية مبلغا كبيراً من المال للصرف منه على القضية الطرابلسية فى الدعاية ونشر المنشورات لتنوير الشعب ومد يد المساعدة لمن تقضى المصلحة مساعدتهم ، وعينت الدكتور محمد فؤاد شكرى مستشاراً لهيئة تحرير ليبيا .

وفى أواخر فبراير ١٩٤٨ سافر السيد بشير السعداوى إلى طرابلس وأمدته الجامعة العربية ووزارة الخارجية المصرية بسيارتين حمل فيهما معه ما دعت الضرورة إلى حمله . وقد مر فى طريقه ببرقة واجتمع بالسيد إدريس السنوسى ويقال إنه اتفق معه على المناداة بإمارته على طرابلس وبرقة أمام لجنة التحقيق الرباعية ، ويؤيد هذا الظن أن جرائد برقة صرحت به بعد أن عدل بشير بك السعداوى عن التعرض لإمارة السيد إدريس وما ورد فى خطاب السيد إدريس الذى ألقاه فى المؤتمر البرقاوى فى ٣٠ سبتمبر ١٩٤٨ ، إذ قال : إن تأخير تقديمها (يعنى البيعة) أمام اللجنة الرباعية فى وقته لا يمنع من الوصول إلى تحقيق الوحدة بعد نيل البلاد استقلالها (٣).

---

(١) المسألة الليبية ص ٣٣—٣٤ (٢) المسألة الليبية ص ٣٤—٣٥ (٣) الكتاب الأبيض ص ١٧

وقد وصل السيد بشير السعداوى ورفاقه إلى طرابلس يوم ٤ مارس ١٩٤٨ وسبقهم تأييد الجامعة العربية فقوبلوا مقابلة شعبية حماسية وكانت البلاد قد اتفقت كلمتها على المطالب الثلاثة وهى : ١ — الوحدة ٢ — الاستقلال ٣ — الانضمام للجامعة العربية . فاجتمع جماعة كبيرة من أعيان البلاد منهم إبراهيم بك شعبان وتوفيق الغريانى وصارحوا بشيرا بأنه إذا كان يريد مواجهة اللجنة بوحدة البلاد واستقلالها وانضمامها إلى الجامعة العربية فهم متفقون معه وكل البلاد مستعدة للتضحية فى هذا السبيل ، وإن كان يريد الاعتراف بإمارة السيد أدريس أو البحث فى أى أمر آخر غير هذه الأمور الثلاثة فهم لا يوافقون على شىء من ذلك ، وأمام هذا التصميم من أعيان البلاد لم يسع الأستاذ بشير السعداوى إلا الموافقة . » (١)

وقد نظمت اجتماعات محلية عامة فى أرجاء البلاد وأمكن بتعاون الأحزاب الطرابلسية واتفاق الكلمة أن تواجه البلاد اللجنة الرباعية صفاً واحداً ، حتى لقد قالت لجنة التحقيق فى تقريرها : « ويهدف برنامج جميع الأحزاب السياسية فيما يتعلق بمستقبل طرابلس إلى هدف واحد هو الاستقلال التام ووحدة طرابلس وبرقة وفزان والانضمام إلى الجامعة العربية ، وقد رفعت مذكرة إجماعية بهذا البرنامج مفصلا إلى اللجنة . (٢)

وقالت : « وجميع الأحزاب ماعدا حزب العمال الصغير تؤيد هيئة تحرير ليبيا التى تزاول نشاطها إلى حد ما كهيئة مركزية للعمل على نجاح البرنامج المتفق عليه . » (٣) وقالت : وجميع زعماء الهيئات متأثرون بالجامعة العربية (٤)

---

(١) ٥٢ / ٥٣

(٢) تقرير لجنة التحقيق — ص ٦ .

(٣) ص ٦ / ٧ .

(٤) ص ٧

وقالت عن رغبات السكان فى طرابلس : « لقد عبر أغلبية السكان الذين استجوبتهم اللجنة عن تأييدهم لاستقلال البلاد ووحدة ليبيا والانتساب لجامعة الدول العربية . » (١)

وحين انتقلت لجنة التحقيق إلى فزان كانت الإدارة الفرنسية قد أقامت الحوائل دون أن يعبر سكان البلاد عن رغباتهم فمنعت كل اتصال بالإقليم ولم تسمح لرجال هيئة تحرير ليبيا بدخول فزان كما رفضت من قبل فتح فرع للحزب الوطنى ، واعتمدت على شيوخ القبائل المأجورين لديها فى كبت الرأى العام ، وقد ذكرت لجنة التحقيق فى تقريرها : أن التوارق الذين سئلوا عن آرائهم قدموا بصفة عامة بناء على تعليمات من المديرين وقد أعربوا عن رغبتهم فى التقيد بقرارات شيوخهم الذين لا يعدون أن يكونوا موظفين مأجورين لدى الإدارة العسكرية الفرنسية . (٢) وقد دفع ذلك هيئة تحرير ليبيا إلى التقدم إلى جامعة الدول العربية باحتجاج قالت فيه : إن هيئة التحرير تعلن احتجاج الليبيين الشديد على تصميم فرنسا كسلطة مستعمرة على رفض كل اتصال بفزان وعلى السيطرة على هذا الجزء من ليبيا بوسائل غير شرعية فى الوقت الذى تقوم فيه لجنة التحقيق بزيارة البلاد للوقوف على رغبات أهلها ، وعلى هذا يكون كل تحقيق يجرى فى ظل الظروف التى سبق ذكرها لا جدوى فيه ، وإن جميع المعلومات التى تستقيها لجنة التحقيق من فزان تكون معلومات غير صحيحة . (٣) وبرغم ما سلطته الإدارة الفرنسية على أهالى فزان من ضغط وإرهاب فقد تقدم إلى لجنة التحقيق فى غدامس وغيرها أشخاص عبروا عن آراء الأحزاب السياسية فى طرابلس وخاصة الحزب الوطنى (٤) .

---

(١) ص ٤٧ .
(٢) ص ٦١ .
(٣) الأهرام ١٣ / ٤ / ١٩٤٨ .
(٤) تقرير لجنة التحقيق ص ٥٢ .

وكان الموقف فى برقة يختلف عنه فى طرابلس أيضا . ومما يلفت النظر أننا لانسمع بنشاط قامت به هيئة تحرير ليبيا فى برقة برغم ماهو معروف من أن سكان البلاد أحوج إلى التنوير والوعى السياسى منهم فى طرابلس . ولذلك لم يكن غريباً أن تذكر لجنة التحقيق فى تقريرها أن أكثر الأهالى لم يعرفوا غرض لجنة التحقيق ، وكثيرون منهم ظنوا أن اللجنة وصلت لتعطيهم حقوقهم وحريتهم ، وقد علم الأهالى من السلطة البريطانية القائمة بقدوم لجنة التحقيق قبل يوم أو يومين ، وأن اللجنة قابلت شيوخ العشـــائر ورؤساء القبائل واستمعت لهم وأخذت رأيهم ، ولـكن هؤلاء الرؤساء والشيوخ هم الصلة بين الإدارة البريطانية وبين قبائلهم وعشائرهم ومعظمهم رفعوا السلاح ضد الطليان وهم يحصلون على معاشات ورواتب شهرية من الإدارة العسكرية البريطانية بصفتهم مستشـــارين لها ، ولذا يجب ألا يعول على رأيهم فى مصير البلاد ومستقبلها(١) .

ولا شك أن الإدارة العسكرية البريطانية مستندةً إلى نفوذ السنوسى فى برقة قد عملت على تسميم الجو عند زيارة لجنة التحقيق ، وقد وصف مندوب الأهرام فى بنغازى هذه الفترة فقال : كان سيف الأحكام العرفية مسلطا على الأعناق، وكان يسود بنغازى نوع من الإرهاب، ولا يستطيع المرء أن يحكم بأن هذا الاستفتاء كان سليما من جميع الوجوه. وإن شعبا تشابكت مصالحه واشترك فى كفاح عدو مشترك قرابة ربع قرن لا يمكن أن تختلف رغباته الحقيقية بين شرق البلاد وغربها . ويستطيع المراقب للجنة التحقيق فى تحرياتها مع الطوائف المختلفة أن يحس من اللجنة عدم ارتياحها لسير الأحوال فى برقة وأن يشاهد من خلال أسئلتها ظلا من الشك فى إدلاء الشعب برغباته

---

(١) تقرير لجنة التحقيق — ص ٩٢ .

الحقيقية وأنها أبدت استياءها من تصرفات الإدارة البريطانية المؤقتة التى يبدو أنها قررت القرار النهائى لبرقة (١) . وليس أدل على جو الأرهاب هذا من أن مركز جمعية عمر المختار فى بنغازى قد رفض المثول أمام اللجنة وهو الذى يضم الصفوة المختارة من الشباب المثقف فى برقة . وقد عرف عنه أنه ينادى بالوحدة الليبية ويؤمن بأن الشعب مصدر السلطات وقد لقى فى سبيل ذلك صنوفا من الاضطهاد والتضييق من جانب الإدارة وبعض الجهات الأخرى . وهذا الضغط على الحريات هو الذى دفع فرع درنة من جمعية عمر المختار إلى التقدم بمذكرة للجنة يحبذ فيها وحدة ليبيا واستقلالها التام ، على أن يكون السيد محمد إدريس السنوسى ملكا على البلاد وانضمامها إلى جامعة الدول العربية وإن لم يكن فإنه يتخلى عن وحدة ليبيا للاحتفاظ بولائه للسنوسى . هذا ولم تشترك جمعية عمر المختار فى الوفد الذى تكلم عن برقة أمام لجنة التحقيق (٢) .

وكان موقف السيد إدريس السنوسى انفصاليا واضحاً فقد أخبر اللجنة « أنه يفضل الاستقلال والتحالف مع بريطانيا العظمى » (٣) وتقدم المؤتمر الوطنى البرقاوى بمذكرة يطلب فيها استقلال برقة تحت التاج السنوسى الورائى وإزاء هذا التوجيه الذى تزعمه السيد إدريس واشتركت الإدارة البريطانية فى تقريره ، جاء فى تقرير لجنة التحقيق عن رغبات السكان فى برقة أن أغلبية السكان يريدون الاستقلال تحت إمارة السيد إدريس السنوسى بينما الباقون يتبعون المصير الذى يريده لهم ، ولا يوجد شعور كبير بين السكان نحو الوحدة وهم يوافقون فى بعض الأحيان على الوحدة ولكن تحت شروطهم فقط . وهم يعارضون بشدة فى رجوع الإيطاليين . وجاء فيه أيضا : أن ٩٥ ٪

---

(١) الأهرام — ٢/٥/١٩٤٨

(٢) و (٣) تقرير لجنة التحقيق — ص ٩١/٩٢

يطلبون الاستقلال منهم ٩٠ ٪ يطلبون الاستقلال تحت حكم السيد إدريس السنوسى والباقون يطلبون ما يريده السنوسى . والخلاصة أن الأكثرية من أهالى برقة تريد الاستقلال تحت إمارة السيد إدريس السنوسى ويريد الباقون حكومة يرأسها السيد السنوسى ويريدون مايريده . وقسم ضئيل منهم هو الذى يرغب فى الوحدة مع طرابلس ولكن تحت حكم السيد السنوسى . وهناك شعور بين الأهالى بوجوب المساعدات الخارجية القوية وهم يتركون الرأى للسيد السنوسى والمجلس الوطنى ، وإن كانوا يفضلون التعاون مع بريطانيا(١).

والواقع أن خروج الرأى الرسمى فى برقة على الوحدة الليبية أمام لجنة التحقيق كان متابعة للخطة التى اختطها السيد إدريس فى مجافاة الطرابلسيين ، وقد كان لهذا الموقف الجديد أثر بعيد فى نفور جماهير الطرابلسيين من السيد ، على أن جماعة يتزعمهم السيد بشير السعداوى ظلوا يتمنون لأم الصداع ، ويبدو أن جهات رسمية مصرية قد تابعتهم فى ذلك وإن يكن غير مطابق لخطة الجامعة العربية أو أمينها العام . وكان من أثر هذا الاتجاه أن عاد السيد بشير السعداوى مرة أخرى بصحبة الدكتور فؤاد شكرى للسعى فى يونية ١٩٤٨ وحاول الحصول على بيعة جديدة للسيد إدريس . واستطاع مرتكزا إلى التأييد الرسمى المصرى ومحركا فى بعض أعيان الطرابلسيين الأمل فى توحيد الكلمة ، أن يحصل على موافقة رؤساء الأحزاب الطرابلسية الخمسة عدا حزب العمال ، ويبدو أن هذه البيعة كانت شخصية أكثر منها معبرة عن الرأى العام الطرابلسى ، فليس هناك مايدل على أن أبناء البلاد استشيروا فيها على نطاق واسع ، وقد جاء فى هذه الوثيقة : فنحن رؤساء الهيئات السياسية فى طرابلس نقر بأمارة حضرة صاحب السمو المعظم السيد محمد إدريس السنوسى على ليبيا المستقلة

---

(١) التقرير ص ٧٠

بأكملها الموحدة بدون تجزئة فى نظام دستورى برلمانى »[١]. وهـذا النص نفسه لا يخرج عن النصوص السابقة المماثلة والتى كان آخرها محاولة الجبهة الوطنية المتحدة فى يناير ١٩٤٨ . وقد عاد الدكتور فؤاد شكرى بهذه الوثيقة التى تحمل الإمضاءات الخمسة إلى مصر وعرضت على ذوى الشأن ثم ذهب بها إلى برقه ليسلمها للسيد إدريس .

وفى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ بدأت جلسات المؤتمر الوطنى البرقاى للنظر فى وثيقة الأحزاب الطرابلسية ولم يلبث أن قرر إرجاء البت فى مسألتى الوحدة والإمارة إلى ما بعد نيل الاستقلال . وقد ألقى السيد إدريس خطابا فى المؤتمر قال فيه :—

إنى لأعلم أكثر مما تعلمون عن الاقتراح البريطانى الخاص بالوصاية على برقة ، ولقد أيدت البرقية التى ارسلتموها إلى وزارة الخارجية البريطانية محتجين على بريطانيا لعدولها عن موقفها من برقة بطلب الوصاية عليها .

أما فيما يتصل بوحدة ليبيا فأقول إنى أريدها حقا غير أنى احترم قراركم الذى ذهبتم فيه إلى أن قبول الطرابلسيين للإمارة السنوسية جاء متأخرا جدا والواقع أن هذا المشروع كان يكون مقبولا قبل وصول لجنة الدول الأربع الكبرى، على أنى أشكر الطرابلسيين مع ذلك على الشرف الذى أتاحوه لى، أما الوحدة فيمكن تحقيقها متى ظفرنا باستقلالنا . فينبغى أن تواصلوا النضال فى سبيل الاستقلال وأن تحرصوا على أن لا تتركوا للضعف والاستخذاء سبيلا إلى نفوسكم حتى إذا تغير رأى الدول الكبرى فى بلادنا . وإنى

---

(١) الكتاب الأبيض ص٥٦ — عن بيان الأحزاب الطرابلسية المنشور فى جريدة طرابلس الغرب — فى ١٩٤٨/١٠/٩

لأشكر للبلاد العربية ولشقيقتنا مصر كفاحها معنا فى سبيل استقلالنا ونرجو أن تظل تمدنا بعونها وتأييدها(١).

وكان أثر هذه السياسة ذات الوجهين بالغاً عند الطرابلسيين ، فقد رفض السيد إدريس وساطة مصر وأهمل وحدة البلاد، وجاء إرجاء البت فى الإمارة تمويهاً عن واقع يناقض مايقال. ولعل حقيقة اتجاه الرأى العام فى برقة وطرابلس ـ كما برهنت الحوادث فيما بعد ـ تتجلى فيما أدلى به السيد محمد الفقيه حسن رئيس الكتلة الوطنية الحرة لمندوب الأهرام فى طرابلس . قال : « إن مبدأنا الذى نسير عليه هو العمل على وحدة البلاد ولا نعترف بأى تجزئة للقطر من أى هيئة كانت ، كما لا نقر العمل المنفصل ، بل يجب أن نتكاتف جميعا أهل طرابلس وبرقة ونعمل على الوصول إلى أمانينا الوطنية ، ونحن حين أقررنا إمارة السيد إدريس كنا سائرين على أساس تحقيق وحدة البلاد وحريتها واستقلالها وسيادتها الكاملة على يد السيد إدريس ومعنى هذا كله إن عمل كل شطر على انفراد يتنافى وما أقرته الأحزاب السياسية(٢) .

* * *

(٤)

أثبتت الحوادث خطورة قرار المؤتمر البرقاوى فقد قرر أوكان قراره دليلا على تصميم سابق بانفراد السيد إدريس بالعمل ، ويرى المنصف أنه بهذه الخطة قد تخلى عن وحدة ليبيا وعن الطرابلسيين ، وأهمل نصيحة مصر والجامعة العربية ، وأغفل تطورات القضية الدولية التى انتهت إلى ساحة

---

(١) الأهرام — ١٩٤٨/١٠/٣ .
(٢) الأهرام — ١٩٤٨/١٢/١٧

الأمم المتحدة ، وحصر الأمر بينه وبين بريطانيا وهى الدولة الاستعمارية التى تحتل قواتها البلاد وتتسلط على مرافقها لمصالحها الاستراتيجية وغيرها .

بدأت مرحلة التفاهم البريطانى السنوسى فى هذه الفترة بزيارة مستر كالفيت المستشار السياسى لوزارة الخارجية البريطانية لبنى غازى ومفاوضتة السيد إدريس باسم بريطانيا وذلك فى أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٤٨ . وعلى أثر ذلك سافر عمر منصور الكخيا باشا رئيس ديوان الأمير السنوسى إلى لندن وصرح قبل سفره لمراسل الاهرام فى ١٩٤٨/١١/٢٥ بقوله : إنه لا يمثل إلا برقة إذ أنه ليس من حقه أن يمثل ليبيا وهو يسافر ليطالب الدوائر المختصة فى لندن باستقلال برقة فقط (١) . وقد حضر عمر باشا دورة الجمعية العامة فى باريس نائبا عن برقة مع السيد عبد العزيز حمزاوى ، ثم جاء إلى مصر فى فبراير سنة ١٩٤٩ واجتمع بعزام باشا والسيد بشير السعداوى وصرح لمندوب الاهرام بقوله : إنه عاد من رحلته الأخيرة إلى انجلترا وفرنسا بموافقة الجهات ذات الشأن على وحدة ليبيا واستقلالها وهى تعمل على تحقيق ذلك . على أنه إذا لم تنته هيئة الأمم فى دورتها القادمة إلى قرار يتفق ورغبات البرقاويين فإنهم سيعلنون استقلالهم التام ويؤلفون حكومة ديموقراطية تكون مسئولة أمام برلمان مؤلف من مجلس شيوخ ونواب مع الاستعانة بخبراء فنيين أجانب (٢) .

ونحن نترك القسم الأول من التعريف يفسره القارىء على ضوء ما بسطناه عن قضية ليبيا فى الميدان الدولى ، ونقف عند شطره الثانى ونرى فيه ما يدل على نتيجة الاتصالات التى تمت بين لندن وبنغازى . وقد زاد مضمون هذه الاتصالات وضوحا من موقف الوفد البرقاوى فى اجتماع هيئة الأمم

---

(١) الأهرام ١٩٤٨/١١/٢٦

(٢) الأهرام ١٩٤٩/٢/١٧

بليك سكسس فقد اشترط السيد عمر شنيب مندوب برقة إمارة السيد إدريس لتتم الوحدة بين طرابلس وبرقة ، على حين أعلن مؤتمر برقة إرجاء مسألة الإمارة . ومن جهة أخرى نرى بريطانيا تطلب الوصاية على برقة ، وتحاول أن تفرض على هيئة الأمم مشروع بيفن - سفورزا فتتقرر الأحوال فى طرابلس وتحافظ برقة على هدوئها . ويحتج الوفد البرقاوى على وصاية بريطانيا ولكنه يرحب بعقد معاهدة معها إذا منحت برقة الاستقلال .

إن الموقف فى هذه اللحظة يستلفت النظر . ففى طرابلس تعطلت الأعمال والمصالح وأغلقت المدارس والمتاجر وامتنع الموظفون عن الذهاب إلى مكاتبهم وتهيأت البلاد جميعا لمظاهرات شعبية ، وقد قتل عربى وجرح خمسة وثلاثون وأعلنت حالة الطوارىء واستخدم البوليس الغازات المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين المحتشدين أمام الإدارة البريطانية (١) .

قال مندوب الاهرام فى طرابلس : « وقع نبأ اتفاقية بيفن - سفورزا وقوع الصاعقة على نفوس الطرابلسيين فما كاد ينتشر بين طبقات الشعب حتى هرعوا إلى اجتماع عام عقد فى جامع السنوسية استمعوا فيه إلى خطاب شامل من سماحة المفتى ، وتعالت الهتافات بسقوط بريطانيا المتآمرة مع إيطاليا وخرج المجتمعون من المسجد بعد ذلك يتقدمهم سماحة المفتى ورؤساء الأحزاب وممثلو الشباب يحملون لوحات تعـــبر عن السخرية بموقف بيفن وكانت الهتافات تتعالى بحياة ليبيا الموحدة المستقلة وسقوط الاستعمار .

ثم قال المراسل : « والمظهر الوطنى الذى تجلى فى هـذه المظاهرات رفع العلم السنوسى والهتافات المتواصلة بحياة الأمير السنوسى أمير ليبيا الموحدة المستقلة . وقد أرسل المؤتمرون برقية إلى الأمير إدريس السنوسى يرجون

---

(١) الأهرام ١٧/٥/١٩٤٩

منه فيها قيادة الحركة الموحدة وإعلان حكومة ليبيا الموحدة المستقلة وسقوط الاستعمار (١) » .

دام التوتر فى طرابلس أسبوعا حتى رفض مشروع بيفن سفورزا . وفى هذه الفترة الفياضة بالحماس الوطنى ، تألف المؤتمر الوطنى الطرابلسى بزعامة مفتى طرابلس الشيخ محمد أبى الأسعاد العالم ، على أننا لانجد استجابة من السيد إدريس لهذه المظاهر الشعبية بل لاذ بالصمت ، وإن كان هذا الموقف الرسمى لم يحل دون مشاركة الشعب فى برقة لإخوانهم الطرابلسيين فى الجهاد . قال مراسل الأهرام فى طرابلس : شاركت برقة طرابلس فى الجهاد الوطنى فقامت فى معظم مدنها المظاهرات وتجلت للعالم الحقيقة الصارخة وهى أن ليبيا وحدة لا تتجزأ ولا يستغنى فيها إقليم عن إقليم ، وانهالت على المؤتمر الوطنى فى طرابلس البرقيات والرسائل الواردة من مختلف الجهات فى برقة يعبر فيها أصحابها عن المشاركة الفعالة والاتحاد التام لإحباط المساومات الاستعمارية » (٢) .

وقد انتهز زعماء المؤتمر الوطنى فرصة الحركة الشعبية فأرادوا أن يخطوا خطوة تجمع بين برقة وطرابلس تحت إمارة السيد إدريس السنوسى استعداداً للدورة الرابعة لهيئة الأمم التى تعقد فى سبتمبر ١٩٤٩ . وتحمس الشباب فى برقة وطرابلس للعمل المشترك ، وازداد النشاط الحزبى وتدخلت الإدارة العسكرية البريطانية تحاول الحد من هذا النشاط الزاخر الذى يخدم القضية الوطنية ويضر الاستعمار ، فأنذرت حزب الكتلة الوطنية بوقف نشاط شبابه كما طلبت إلى السكرتير العام للحزب الأستاذ محمد توفيق المبروك أن يغادر

---

(١) الأهرام — ١٩٤٩/٥/١٧

(٢) الأهرام — ١٩٤٩/٥/٢٣

البلاد فوراً إلى تونس بحجة أن وجوده فى ليبيا يخل بالأمن العام .

وتهيأت طرابلس لإرسال وفود من شبابها ومن المؤتمر الوطنى العام إلى بنى غازى لحضور جلسات المؤتمر الوطنى البرقاوى فى أول يونية ١٩٤٩ . وكان المعروف أن مؤتمر برقة سينظر فى مسألة وحدة البلاد ويمهد لمؤتمر عام يضم ممثلين لطرابلس وبرقة ويعلن قيام حكومة ليبيا الموحدة تحت تاج السنوسى(١) .

وكان اجتماع مؤتمر برقة فى أول يونيه ١٩٤٩ مفاجأة للشعب الليبى فى طرابلس وبرقة ، على أنه كان من جهة أخرى نتيجة منطقية للخطة السنوسية الانفصالية . وانعقدت الجمعية العامة للمؤتمر الوطنى فى بنغازى وكان جدول أعمالها يشمل البحث فى موقف برقة من وحدة ليبيا ودراسة الحالة العامة للبلاد على هدى التطورات الأخيرة ، وقد خطب السيد إدريس السنوسى فى الاجتماع فأعلن استقلال برقة وتوليه السلطات من الإدارة وطلب إلى الدول الصديقة أن تعترف بحكومته ، أما عن وحدة ليبيا فقد أعرب عن أمله فى أن يحقق أهالى طرابلس استقلالهم ، قال السيد إدريس :

« أعلن أن برقة قد أصبحت منذ الآن دولة مستقلة وأننى قد توليت السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية التى ستتخلى عنها الإدارة البريطانية قريبا .

« وستجرى الانتخابات فى القريب العاجل لتأليف المجلس التشريعى الذى سيقوم بتأليف حكومة دستورية » ، ومضت برقية وكالة الأنباء العربية تقول : ثم أعرب عن أمله فى أن تعترف بريطانيا الصديقة والدول العربية والإسلامية وسائر الدول المحبة للعدل بدولته الجديدة واختتم خطابه بالإعراب عن أمله

---

(١) الأهرام — ٤٩/٥/٣١

فى أن يحقق أهالى طرابلس استقلالهم ويتحدوا ببرقه فى دولة واحدة(١) .

وقد رد عليه المستر دوكاندول رئيس الإدارة البريطانية بخطاب ألقاه فى المؤتمر قال فيه : — إنى أعلم أن الجمعية تضم نوابا يمثلون سكان المدن والقبائل والقرى فى جميع المناطق وإنى لأقدر أن سمو الأمير إنما كون المؤتمر الوطنى للاستعانة به والاستفادة برأيه فيما يحقق مصلحة شعب برقة ، كما أعرف أنكم فى الوقت الحاضر فى شغل شاغل بمستقبل بلادكم وأنكم تتطلعون إلى معرفة سياسة حكومة جلالة الملك نظرا لأن المداولات التى جرت أخيرا فى ليك سكسس لم تؤد إلى نتائج إيجابية . إن حكومة جلالة الملك لتدرك مدى اهتمامكم البالغ بهذه المسائل ولذلك عهدت إلى بعد الدراسة الوافية التى قام بها مجلس الوزراء بأن ألقى البيان التالى فى حضرة سمو الأمير وزعماء الشعب :

« تعترف الحكومة البريطانية بالأمير الذى أجمع الشعب على زعامته . وتوافق على رياسته لحكومة برقة . وقد أدركت الحكومة من قبل رغبة أهالى برقة فى الحكم الذاتى ، وهى لذلك ستتخذ كل الخطوات التى لا تتعارض مع التزاماتها الدولية لمساعدتهم فى هذا السبيل . والحكومة توافق على تأليف حكومة فى برقة تكون مسئولة عن الشؤون الداخلية وهى تدعو الأمير لزيارة لندن لبحث هذا الموضوع . وتؤكد الحكومة أنها اذ تتخذ هذه الخطوات فلن يقع منها مايمس مستقبل ليبيا عامة ... وفى الختام يسرنى أن أؤكد لكم أن حكومة جلالة الملك تقدر حق التقدير رغبة الأمير وشعبه فى العمل على توثيق الروابط بين برقة وبريطانيا العظمى . كما أؤكد أن حكومة جلالة الملك صادقة أصدق الرغبة فى توثيق عرى المودة والصداقة بين بلدين توطدت بينهما الأواصر خلال الحرب الأخيرة ، وقامت العلاقات بينهما على أساس تدعيم مابينهما من ود متبادل .(٢) »

---

(١) الأهرام — ١٩٤٩/٦/٢ . (٢) الأهرام — ٣ / ٦ / ١٩٤٩ .

وليس أدل على مجافاة هذا الاتجاه للرأى العام الليبى مما أورده مراسل الأهرام فى طرابلس قال : تألفت اليوم مظاهرة كبيرة سارت فى شوارع بنغازى وكان المتظاهرون يهتفون بوحدة ليبيا ، وقد حاولت الجماهير الثائرة اقتحام قصر الأمير ولكن البوليس أحبط محاولتهم ولم تقع حوادث تذكر . وكان إعلان حكومة السنوسى المنفصلة فى برقة مفاجأة غير سارة ظهرت فى الوقت الذى تهيأ فيه وفد الزعماء للسفر إلى بنغازى والاتفاق على إعلان الاستقلال وتأليف حكومة ليبية واحدة تلبية لدعوة المؤتمر البرقاوى العام . وتعد الأوساط الوطنية تلك الخطوة صورة جديدة لمشروع بيفن — سفورزا وقد أحدث نبأ الحكومة السنوسية أثراً سيئا فى البلاد التى تتمسك بوحدة الشعب الليبى . وقد تقرر دعوة المؤتمر الوطنى إلى عقد اجتماع غير عادى لتحديد موقف البلاد من إقليم برقة (١) .

وأرسل سكرتير جمعية عمر المختار إلى السيد إدريس السنوسى برقية يطلب إليه فيها إعلان البلاد كلها دولة مستقلة تحت إمارته لأن إعلان استقلال برقة هو موافقة كاملة على تجزئة البلاد الليبية، الأمر الذى لم يكن فى يوم من الأيام موضع اتفاق زعماء ليبيا (٢) .

وصرح أمين الجامعة العربية بقوله : مما يؤسف له أن السياسة البريطانية فى المسألة الليبية لم ترع إلا مصلحتها الخاصة فلم تحاول أن تتفاهم على سياسة ترضى الأمة العربية ولو كان فى هذه السياسة مراعاة لبعض المصالح البريطانية ، ولذلك فإنى أعتقد أن موقف العرب سيبقى حيث هو من حيث المطالبة بوحدة ليبيا واستقلالها حسب قرار الجامعة، وأما الأوضاع التى ينشئها المستعمرون لأغراضهم ومنافعهم فإن الأمة العربية لا ترتبط بها . إن هذا البيان لا يعطى برقة شيئا لأن كل ماوعدت به بريطانيا هو أن تقدر رغبة السكان فى الحكم الذاتى فى حدود الالتزامات الدولية . فما هى هذه الالتزامات ؟ ذلك أمر غير معلوم والحكم الذاتى نفسه غير واضح .(٣)

---

(١) نفس العدد . (٢) نفس العدد . (٣) نفس العدد .

وصرح محمود فوزى بك مندوب مصر فى هيئة الأمم المتحدة بقوله : إن موقف مصر من المستعمرات الإيطالية السابقة يقوم على أساس الحقائق الدامغة ومبادىء الامم المتحدة ولا شك أن مصر حريصة على تهيئة حق تقرير المصير لهذه البلاد ، فهى تريد أن تحيط بها شعوب حرة لا حكومات تكون ألعوبة فى أيدى الدول الاستعمارية . (١)

وبرغم هذا الاتجاه الواضح فى جهات برقة الرسمية إلى السياسة الانفصالية فقد رأى رجال المؤتمر الوطنى الطرابلسى أن يرسل وفداً إلى بنغازى لمقابلة السيد إدريس واستطلاع اتجاه برقة والوقوف على سر هذا الانقلاب الطارئ . وقد سافر الوفد برئاسة سماحة مفتى طرابلس الشيخ محمد أبو الاسعاد العالم ومعه السيد محمود منتصر ولبث أسبوعا فى بنغازى وحضر اجتماع مؤتمر برقة وقيل أن الوفد سيباحث السيد إدريس فى أن يمتد سلطان حكومة برقة إلى سائر البلاد . وقد نقلت وكالة الأنباء المتحدة (ا . ب) فى ١٨/٦/١٩٤٩ أن السيد إدريس أعلن فى حديث خاص مع مراسلها فى بنغازى أنه تم الاتفاق على إعلان ليبيا دولة مستقلة يكون سموه على رأسها وأن مفتى طرابلس عاد إلى بلاده ليعلن هذا النبأ على مواطنيه . وقد قال الأمير إن محادثاته الأخيرة مع المفتى كانت ودية ومعقولة وأعلن أنه يحبذ الوحدة إذا كان الطرابلسيون يساعدون على قيامها . ثم قال إن موقف برقة يشبه موقف شرق الأردن من حيث علاقاتها ببريطانيا وإنه يتوقع أن يعقد معاهدة مع بريطانيا تحدد علاقات الدولتين متى حصلت بلاده على الاستقلال التام . وأعلن الأمير عن رغبته فى إقامة حكومة حرة ديموقراطية فهو يريد أن يخطو خطوة جديدة فى الاستقلال التام بعد أن منحته بريطانيا حكومة ذاتية داخلية .

---

(١) الأهرام — ٢ / ٦ / ١٩٤٩ .

وأعرب عن أمله فى أن تتحسن العلاقات بين بلاده والولايات المتحدة فتؤيد أمريكا مطالب بلاده بالحرية والاستقلال فى الدورة التى ستعقدها الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال الخريف القادم . » (١)

وقد أوضحت وكالة الأنباء العربية طبيعة المحادثات التى دارت بين السيد إدريس ومفتى طرابلس فقالت : « إن الأمير السيد إدريس السنوسى رئيس حكومة برقة اقترح خلال المحادثات التى دارت أخيراً فى بنغازى مع وفد طرابلس برئاسة فضيلة محمد أبو الأسعاد العالم قيام وحدة فدرالية بين برقة وطرابلس. والمفهوم أن الأمير إدريس السنوسى أبدى فى هذه المحادثات خوفه من أن يتيح إعلان الوحدة بين برقة وطرابلس لإيطاليا فرصة العودة إلى برقة إذا قررت الأمم المتحدة عودتها إلى طرابلس بأى شكل من الأشكال ، ولكنه وعد مع هذا بمساعدة الطرابلسيين فى كفاحهم فى سبيل الوحدة واقترح قيام هذا النظام الفدرالى . والمفهوم أن هذا النظام يقوم على إنشاء حكومة مستقلة فى طرابلس تتحد مع حكومة برقة بشكل فدرالى تحت تاج السنوسى . والمعتقد أن الأمير السنوسى يعتقد أنه بهذه الوسيلة تتم الوحدة بشكل يرضى أهل برقة وطرابلس على السواء لأنه يتيح لكل منهما الاحتفاظ بحكومته الوطنية وزعمائه ، ولكن أيضا بهذه الوسيلة يمكن تحقيق الوحدة فى نواحى السياسة الخارجية وشئون الدفاع والاقتصاد الوطنى (٢) .

وأصدر السيد إدريس أمرا بتشكيل مجلس من وكلاء الوزارات يكون تحت رئاسته مباشرة ويتألف من فتحى بك الكخيا نائبا للرئيس وعضوية السادة سعد الله محمد مسعود ومحمد أبو جاجه وعلى الجربى وخليل جلال وحسين مازح . ولسنا ندرى مدى سلطة المجلس مع وجود الإدارة البريطانية التى تسيطر فعلا على مرافق البلاد وتعتبر السلطة العليا فيها .

---

(١) الأهرام — ١٩٤٩/٦/١٩ (٢) الأهرام — ١٩٤٩/٦/٣٠

فى استقبال المؤتمر الوطنى للسيد السنوسى في طرابلس . السيد إدريس بين السيد محمد الصديق السنوسى والسيد بشير السعداوى

وكانت المرحلة التالية رحلة السيد إدريس إلى لندن . وكان الهدف منها كما عينه رئيس الإدارة فى خطابة التشاور فى تنظيم الحكم الداخلى الذى منحته بريطانيا لبرقة . وقد أحيطت الرحلة بدعاية واسعة ، فقد خرج السيد إدريس من بنغازى فى قافلة من ثلاثين سيارة ، وصحب الموكب طول الرحلة بعض رجال القبائل ممتطين صهوات جيادهم وزينت المدن على طول الطريق بسعف النخيل والأزهار والأعلام السنوسية . وعاد السيد بشير السعداوى من مصر بالطائرة قبل وصول السيد إدريس بثلاثة أيام لتنظيم الاحتفال باستقباله وخرج لمقابلته على بعد ثلاثمائة ك.م . من طرابلس، وقيل إن الرئيس سيباحث زعماء طرابلس فى مسألة وحدة ليبيا قبل سفره على البارجة فنجارو فى طريقه إلى لندن استجابة لدعوة الحكومة البريطانية ، وقيل إن الأمير أعد مشروعا جديدا لاستقلال طرابلس تحت رعايته على الأسس

نفسها التى اتبعت فى تسوية مسألة برقة وينتظر أن يعرضه على المستر بيفن .

واحتفل المؤتمر الوطنى الطرابلسى باستقبال الأمير السنوسى ، وقال السيد بشير السعداوى فى خطابه . أن هذا اليوم المبارك ، اليوم التاريخى لهو من أسعد الأيام إذ تستقبل فيه الأمة الليبية أميرها المحبوب حضرة صاحب السمو الأمير محمد إدريس السنوسى . أن هذه الأمنية الغالية والبغية السامية التى طالما تاقت إليها النفوس وهتفت بها القلوب وهى اليوم تتحقق بتشريف صاحب السمو الأمير المعظم . أن هذه الأمة المناضلة التى جاهدت وكافحت لا تزال مصممة على الذود عن هذا الوطن العزيز تدافع عن حريتها ووحدتها واستقلالها تحت تاجكم المفدى . وانه بمناسبة سفركم الميمون إلى لندن لا بد وأنكم تشملون بفضلكم قضية البلاد التى تصبو إلى الحرية والاستقلال ، أدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم ويسدد خطاكم ويعيدكم إلى هذا الوطن سالمين حاملين إليه وإلى هذه الأمة أمانيها والسلام عليكم . »

ورد السيد إدريس السنوسى بقوله « إنى أشكر هذا الشعب المبارك فى شخصكم وأشكركم على خطبتكم هذه البليغة ، وأكرر شكرى للجميع على هذه الحفاوة البالغة ، كما أشكركم جميعا على ثقتكم بى الكبيرة ، وإنى أرجو الله أن يوفقنى لخدمتكم جميعا فيما تصبون إليه بقدر ما يمكننى فن ذلك وإنى سأبلغ الحكومة البريطانية أمانى طرابلس وبرقة وكل البلاد الليبية والذى أوصى به إخوانى هو الاتحاد والتعاضد ونكران الذات فى سبيل المصلحة العامة واستودعكم الله فى هذا الحين إلى حين آخر عن قريب . »[1]

على أن السيد إدريس ما أن وصل إلى لندن حتى صرح بقوله : « أنه

---

(١) الاهرام ١٨/٧/٤٩ .

السيد ادريس السنوسى فى لندن

يرجو ان تكون علاقات برقة ببريطانيا طيبة على الدوام كما هى الآن » (١) ووضع أكاليلا على قبر الجندى المجهول باسم « أمير برقة » (٢) ولعل ذلك كان رد الواقع والحقيقة المرة على من تركوا فى طرابلس وبرقة يعللون النفس بأمانى الوحده والاستقلال ويعلقون الآمال على السادة فى لندن .

وقد أخذ السيد بشير السعداوى منذ عودته هذه يعمل على التقريب بين الهيئات السياسية لتجتمع فى المؤتمر الوطنى ، وتقف نشاطها المحدود ، وقد أعاد تنظيم المؤتمر فأصبح هو رئيسا له وصار السيد مصطفى ميزران رئيس الحزب الوطنى والشيخ محمد أبو الاسعاد مفتى طرابلس وكيلين له ، وقام برنامج المؤتمر على الدعوة للاستقلال والوحدة تحت التاج السنوسى ، ووقفت الكتلة الوطنية الحرة موقف المعارضة من المؤتمر فاقتصرت على الدعوة للاستقلال والوحدة وتركت ماعدا ذلك للشعب يقرره ممثلوه المنتخبون ، وألف فى هذه الفترة أيضا حزب « مصباح الاستقلال » برياسة السيد سالم منتصر بعد أن دخلت الجبهة الوطنية المتحدة فى المؤتمر الوطنى .

وعاد السيد إدريس من رحلة لندن بعد أن قضى شهرين يستجم فى أوربا واستقبله أيضا السيد بشير السعداوى واحتفل به المؤتمر الوطنى وتحمس السيد السعداوى فقال من شرفة قصر المؤتمر : « لتعلم الدول الأجنبية وهيئة الأمم أننا نطالب باستقلالنا ووحدتنا وأننا نضحى فى هذا السبيل بكل مرتخص وغال وأننا لا نريد هما من هيئة معينة بل سننتزعهما انتزاعا » . ورد عليه

---

(١) الاهرام ٤٩/٧/١٧ .
(٢) الاهرام ٤٩/٧/١٩ .

الأمير شاكرا وقال « نعم ننتزع استقلالنا انتزاعا فقد ضحينا فى سبيله وسفكنا دماءنا مدة طويلة من الزمن وسيتم لنا هذا بوحدتنا وتعاضدنا » (١)

ووصل السيد إدريس إلى بنغازى فأقامت له الادارة البريطانية والمؤتمر الوطنى حفلة استقبال كبيرة ، وأطلقت المدافع إيذانا بمقدمه ، ثم افتتح المستر دى كاندول رئيس الادارة البريطانية الحفلة فأعرب عن سرور رجال الادارة والجالية البريطانية فى برقة باشتراكهم فى الترحيب بعودة الأمير ووجه الخطاب إلى الأمير فقال « إن لزيارته للندن عظيم الأهمية فى توثيق أواصر الصداقة والتعاون بين الشعبين وأعرب عن أمله فى أن يستمر التفاهم حتى يتيسر القيام بالاتفاقات التى جرت فى لندن لتحويل السلطة من الادارة البريطانية إلى سمو الأمير . ورد الأمير السنوسى بقوله « إنه بذل قصارى جهده ليكلل أعماله بالنجاح وأنه يهيب بالشعب أن يضم صفوفه للتعاون معه على تحقيق آمال برقة ومطالبها (٢).

وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٠ أصدر المستر دى كاندول رئيس الادارة البريطانيه المنشور رقم ١٨٧ ويسمى منشور نقل السلطة (٣) ، وبه يخول للسيد إدريس أن يصدر مرسوما أميريا بسن دستور برقة على أن يسرى مفعوله من التاريخ الذى يعلنه فيه رئيس الادارة (بند ٢) ويكون السيد رئيسا للحكومة وكل تعديل فى الدستور يسرى مفعوله من التاريخ الذى يعلنه المعتمد البريطانى (بند ٢ أيضا) .

وينص الدستور على تشكيل مجلس وزراء يعينه الأمير وله أن يلغيه

---

(١) الاهرام ٤٩/٦/٥ .

(٢) الاهرام ٤٥/٩/٨ .

(٣) نظام المستعمرات الايطالية السابقة — برقة — الجمعية المصرية للقانون الدولى الرسالة التاسعة يونيو سنة ١٩٥٠ ص ٣ — ٩

(بند ٣) وتشمل سلطاته التشريعية والادارية التى خولها الدستور كافة الشئون الداخلية المختلفة (بند ٤) .

احتفظ المعتمد البريطانى بالشئون الخارجية والدفاع بما فيه صيانة الأمن والنظام إذا كانت السلطات المحلية غير قادرة على الاضطلاع بها وله الأشراف وتنظيم الملاحة الجوية واستعمال الأرض والمبانى والتسهيلات اللازمة لها على أن يدفع تعويض مناسب عنها بالاتفاق مع سمو الأمير ، والمسائل التى تمس القوات البريطانية وتغيير العملة ووسائل الاتصالات الخارجية والمهاجرة ومنح تأشيرات السفر وتسليم المجرمين وتعيين مستشار قضائى ومستشار مالى بالاتفاق مع الأمير وجعل اللغة الانجليزية على قدم المساواة مع اللغة العربية كلغة رسمية واعتماد أحكام الاعدام ونقل ملكية المعادن وتنظيم شئون خدمة موظفى الحكومة البرقاوية وإيقاف الدستور (بند ٥) .

وألحق بالمنشور جدول يجعل للمستشار حق الاتصال المباشر بوزير العدل أو المالية وبرئيس الوزراء ، والمستشار القضائى تحال عليه كافة القوانين المنوى إصدارها ولا يجوز تمريرها إلا بعد موافقته ويقترح تعيين أو فصل القضاة ويستشيره الأمير قبل التصديق على الأحكام . والمستشار المالى يحضر اجتماع مجلس الوزراء ويوافق على التشريعات المالية قبل عرضها على المجلس وإذا خالف مجلس الوزراء مقترحاته اتصل بالأمير وبالمعتمد البريطانى « وعندئذ يجرى البحث فى الموضوع بين المعتمد البريطانى ورئيس الوزراء وبعد بحث الموضوع يأخذ سمو الأمير برأى المعتمد البريطانى »[1] .

هذه خلاصة ما اتفق عليه السيد إدريس مع الحكومة البريطانية ، ولم

---

(١) المصدر السابق ص ٨ — ٩

يلبث أن صدر من المعتمد البريطانى المنشور ١٨٨ الذى يحدد سريان الدستور ابتداء من ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٩ .

ينص الدستور البرقاوى على أن دين الدولة الاسلام ولغتها العربية وأن الأفراد جميعا متساوون أمام القانون ويتمتعون بالحرية الشخصية وحق الملكية (الباب الثانى) .

وينص على أن السلطة التنفيذية يرأسها السيد إدريس وعلى توارث الأمارة وتأليف مجلس وصاية فى غيبة الأمير أو عجزه وحق الأمير فى التصديق على أحكام الاعدام وإصدار العفو وعلى أن أملاك الحكومة البرقاوية وديعة فى يد الأمير وهى تشمل كل الموارد المعدنية الظاهرة والباطنة فى أرض برقة وأن الأمير فوق القانون (بنود ١٢ — ٢٥) . والأمير يعين مجلس الوزراء ويقبله والمجلس مسئول مسئولية جماعية أمام الأمير (بنود ٢٦ - ٢٩)

أما السلطة التشريعية فتتألف من مجلس نيابى أعضاؤه معينون ومنتخبون ويصدر بعددهم وتوزيعهم قانون خاص ، ويشترط فى عضو المجلس أن تكون سنه فوق الثلاثين وليس من أقارب الأمير . وللبرقاوى البالغ ٢١ عاما حق الانتخاب وسلطة المجلس النيابى استشاريه غير ملزمة ، وللأمير حق دعوة المجلس وفضه وحله (الباب الرابع . بنود ٢٠ — ٥٢) .

وتتألف السلطة القضائية من محاكم وطنية وشرعية (الباب الخامس ٥٣-٥٩) ويعرض الباب السادس للمالية والسابع للخدمة المدنية التى ينظمها قانون خاص والثامن للجيش والبوليس فينص على أن الأمير هو قائد القوات المسلحة وينص الباب التاسع على أن للأمير حق إلغاء الدستور وتعطيله وإعلان حالة الطوارىء [١] .

---

(١) المصدر السابق P. pp. 7-28

وفى نفس اليوم الذى صدر فيه الدستور تألفت فى برقة وزارة برياسة عمر باشا الكخيا .

واضح مما سبق أن السلطات العليا فى برقة تركت للادارة البريطانية ولها حق سحب ما دونها من سلطات وحتى السلطة المحلية المحدودة من تنفيذية وتشريعية بعيدة عن الديمقراطية مركزة فى يد الامير ، فالوزارة مسئولة أمامه والهيئة النيابية استشارية فحسب والدستور نفسه يلغى بجرة قلم . وعلى هذا النحو تضمن بريطانيا لنفسها المركز الممتاز فى برقة ولا تترك لأهل البلاد شيئاً . وقد حدث هذا كله وقضية البلاد معروضة على هيئة الأمم ، فكأن الامور فى برقة كانت تدبر بحيث تضع الامم المتحدة أمام الامر الواقع وإن كان فى ذلك التخلى عن أمانى أهل البلاد فى الوحدة والاستقلال وكان إقرار هذا النظام فى برقة ورضا السيد إدريس عنه الأساس الذى اعتمدت عليه بريطانيا فى مقاومة قرار الامم المتحدة ونقطة البدء فى السياسة الاستعمارية التى سارت عليها سلطات الاحتلال لإبطال قرار الامم المتحدة وتعطيل المجلس الدولى فى ليبيا والعمل على تبديد وحدة البلاد واستقلالها على نحو ما نبينه فى الفصل التالى .

الفصل الخامس

قرار الأمم المتحدة فى عام

كان قرار هيئة الأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ بداية مرحلة جديدة حاسمة فى قضية ليبيا ، هى مرحلة الانتقال التى تنتهى فى أول يناير سنة ١٩٥٢ باعلان استقلال ليبيا وانضمامها إلى هيئة الأمم المتحده .

وأبرز مانص عليه القرار فى مرحلة الانتقال هذه هو ايفاد مندوب لهيئة الأمم يعاونه مجلس استشارى للعمل على مساعدة أهل ليبيا فى وضع دستور وإقامة حكومة مستقلة على يد ممثلى السكان فى طرابلس وبرقة وفزان ، ومن جهة أخرى يكون على الادارات القـــائمة أن تعمل على نقل سلطاتها إلى الحكومة الجديدة وتعاون على إقامة وحدة ليبيا واستقلالها .

ولا يخفى أن صدور القرار وحده ما كان ليصرف الدول الاستعمارية عن التربص بوحدة ليبيا واستقلالها ، فان الادارة العسكرية لا زالت قائمة ولم يلغها القرار وقد مكنت لها سنوات الاحتلال فى البلاد وهيأت لها فرصة العمل لتحقيق مصالحها ولا زالت قوات الاحتـــلال والقواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية والفرنسية قائمة فى طرابلس وبرقة وفزان ولم ينص القرار على سحب القوات أو تصفية تلك القواعد بل تنقل الانباء أن القوات الأمريكية شرعت فى تعزيز قاعدتها فى طرابلس والظهران وغيرهما وستنفق فى ذلك ٢٣٩ مليون دولار[1] . وقالت وكالة الأنباء المتحدة (ا . ب)

---

(١) الأهرام ٢٤ / ٣ / ١٩٥٠ .

« والمعروف أن القاعدة الجوية الوحيدة للولايات المتحدة فى أفريقيا هى هويلس فيلد القريبة من طرابلس وهى البقعة التى وقع عليها اختيار الأمريكيين لتكون مقرا لنشاطهم الحربى فى البحر . وتحتفظ الولايات المتحدة فى هويلس فيلد بنحو ألفين من جنودها لحماية المنشآت العسكرية فيها بعد أن أكد خبراء أفريقيا العسكريون أن هذا الميناء الجوى هو البقعة الوحيدة التى تستطيع أن تأوى إليها الطائرات الأمريكية إذا ما تعرضت لهجوم مفاجىء من جانب روسيا السوفيتية فى أوربا فضلا عن أنها القاعدة الوحيدة القريبة من أوربا التى تحتمل أرضها نزول القلاع الطائرة الضخمة (١) ».

وقد مر بنا تصريح شنويل عن بقاء القواعد البريطانية وأهمها كاستيل بنيتو فى طرابلس وطبرق فى برقة . وقد وقفت فرنسا وبريطانيا موقفا مريبا من وحدة ليبيا فلازالت بريطانيا تعمل على الفصل بين مناطقها وتستوحى مشروع بيفن — سفورزا ، وقد مضت تتحدى هيئة الأمم فأيدت حكومة السنوسى ولا زالت تدعم أركانها ، وقد تابعتها فرنسا فى فزان فأقامت حكومة ذاتية ، بل لقد أصدر مجلس الجمهورية الفرنسية يوم ١٦ / ٣ / ١٩٥٠ قرارا يستنكر فيه قرار الجمعية العامة لهيئة الأمم باقامة دولة مستقلة فى ليبيا تضم برقة وطرابلس وفزان . وجاء فى قرار مجلس الجمهورية أن إنشاء دولة مستقلة فى ليبيا لا يلائم تطور السكان ولا يحقق آمالهم ولا يتمشى مع الظروف الجغرافية والتاريخية والاقتصادية . أما فيما يختص بفزان فان قرار هيئة الأمم إنشاء دولة فى ليبيا يعارض مصلحه فرنسا ويناقض رغبة السكان التى أعلنتها أغلبيتهم »(٢) . ولو بقى شك بعد هذا الموقف لازاله تصريح روبير شومان قال « ان فرنسا وبريطانيا تتعاونان على الاحتفاظ بكيان كل منطقة ومنع

---

(١) الأهرام ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ .
(٢) الأهرام ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ .

الوحدة وتحاول أن تجعل لايطاليا مقعدا فى إدارة الوصاية لأن هناك جالية إيطالية كبيرة فى طرابلس وللايطاليين فوق ذلك خبرة بالحالة فى تلك البلاد(١) .

وقد أوصت هيئة الأمم بتأليف مجلس استشارى ، فاعترضت بريطانيا على إنشائه ثم أقرت الجمعية العامة تكوينه من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا والباكستان ومصر وثلاثة مندوبين عن مناطق ليبيا وواحد عن الأقليات . والمجلس على هذه الصورة يجعل الرجحان للدول الكبرى ذات المصلحة المباشرة التى تتناقض فى أكثر من موضع مع مصالح السكان وخاصة إذا أدركنا تأثيرها فى اختيار المندوبين المحليين ولم يبق من الدول التى يعتمد عليها فى الأخذ بقرار هيئة الأمم نصا وروحا سوى مصر والباكستان وهما أقلية . وكان الأجدر أن يؤلف المجلس من الدول الصغرى التى لا مصلحة مباشرة لها فى ليبيا أو على الأقل يراعى التوازن بين الدول الكبرى حتى لا يتعرض قرار هيئة الأمم للخطر نتيجة سيطرة كتلة واحدة من الدول الكبرى .

ثم أن تأليف المجلس مع بقاء الادارة المؤقتة البريطانية والفرنسية يفسح المجال لتعارض السلطات . ومن المشكوك فيه أن تعاون الادارة المجلس على أداء مهمته ، بل نحن نقرأ للمستر بلا كلى رئيس الادارة البريطانية بطرابلس قوله « إن الادارة البريطانية فى طرابلس ستتقيد برأى المجلس ونصيحته ولكن يجب ألا يغرب عن البال أن المجلس استشارى محض ولن يكون له رأى مباشر فى شئون الإدارة البريطانية ، وإن كان سيرفع بطبيعة الحال تقارير إلى هيئة الأمم عن شئون البلاد(٢) .

---

(١) الأهرام ١٨ / ٣ / ١٩٥٠ .
(٢) الأهرام ٤ / ١ / ١٩٥٠ .

وكانت صفة المجلس الاستشارية موضع انكار من مندوبى الباكستان ومصر . قال مندوب الباكستان « وحدد القرار كذلك مسئوليات الحكومات القائمة بالاداره فى أقاليم ليبيا الثلاثة ، ولن تكون هناك أية قوة تستطيع الوقوف لعرقلة قرار هيئة الأمم »(١) وقال مندوب مصر « أما تسمية المجلس بالمجلس الاستشارى فذلك على سبيل التجوز لأن رأيه وقراراته واجبة التنفيذ »(٢) .

ولاشك أن تفسير العضوين مستمد من قرار هيئة الأمم ، ولكن ذلك لايمنع من القول بأن المجلس لايملك إزاء الادارة القائمة إلا الرجوع إلى هيئة الأمم وطلب تدخلها . وقد أوضح ذلك مندوب الباكستان بقوله « والمجلس يتقدم بنصائحه وتوصياته للادارات القائمة فى المناطق الليبية فاذا ما علم أن هذه الادارات قد اتخذت خطوات لاتحقق قرار هيئة الأمم المتحدة وتعمل على تعطيل وحدة ليبيا واستقلالها فالمجلس إذ ذاك يضطر — بعد الاتصال بالادارات لمحاولة اقلاعها عن ذلك العمل — أن يرفع الأمر إلى الجمعية العامة موضحا لها الأعمال التى تقوم بها الحكومات المسئولة عن الادارة منافية لما قررته الجمعية العامة »(٣) .

هذه مخاوف كانت تحوط قضية ليبيا فى النطاق الدولى ، وتدعو إلى فرط الحيطة والحذر وتلزم الليبيين فى نواحى البلاد بالاتحاد والعمل المجدى فى سبيل وحدة البلاد واستقلالها . وسنعرض فى هذا الفصل إلى تطور الحوادث فى داخل ليبيا منذ صدور قرار الأمم المتحدة : هل أفلحت تجربة الأمم المتحدة ونجح مجلس ليبيا الدولى ؟ هل استهدفت سلطات الاحتلال تحقيق قرار الأمم المتحدة ؟ وأين وقف الليبيون أنفسهم بين هذه التيارات ؟

---

(١) الأهرام ١٤ / ٥ / ١٩٥٠ .
(٢) الأهرام ٨ / ٥ / ١٩٥٠ .
(٣) الأهرام ١٤ / ٥ / ١٩٥٠ .

(١)

عينت هيئة الأمم المتحدة مسيو ادريان بلت Adrian Pelt مندوبا لها فى ليبيا . ومسيو بلت سياسى هولندى كان يشغل منصب مساعد السكرتير العام للهيئة لشئون المؤتمرات والخدمات العامة وكان من قبل مديرا لمكتب الأنباء والنشر فى عصبة الأمم(١) .

وعينت مصر محمد كامل سليم بك السفير وسكرتير مجلس الوزراء المصرى سابقاً وانتدبت الباكستان الكولونيل عبد الرحيم خان مندوبها السابق فى الهيئة وفرنسا مسيو جورج بالاى Balay الوزير المفوض السابق فى بغداد وأمريكا مستر لويس كلارك Clark سفيرها السابق فى الصين وبريطانيا سير سير هيو ستونهيوربيرد Stonehewer Bird سفيرها السابق فى بغداد ، وايطاليا البارون كنفالونيرى Confalonierry السفير ومندوبها فى المكتب الأوربى لهيئة الأمم . وبقى أن يختار مندوب الهيئة بمشاورة هؤلاء الاعضاء وحكومتى الادارة الأعضاء الاربعة الباقين عن السكان والأقليات .

وقد وصل مستر بلت إلى طرابلس فى ٢١ يناير سنة ١٩٥٠ وبدأ اتصالاته مع الهيئات السياسية فى طرابلس وبرقة وفزان ثم جاء إلى القاهرة حيث اجتمع برجال الجامعة العربية والمهاجرين الطرابلسيين بمصر وصرح مستر بلت فى القاهرة بقوله « اننى سأتمسك بقرار هيئة الأمم كدستور لا أحيد عنه لأحقق استقلال ليبيا ووحدتها ، وأن سكانها أصحاب الحق فى تقرير مصيرهم واختيار نوع الحكم الذى يرتضونه واننى سأتعاون مع السلطات المحتلة لإقامة جمعية تأسيسية واحدة وإقامة حكومة ليبية مستقلة(٢) .

---

(١) International who is who, 1949.

(٢) الأهرام ١١ / ١٢ / ١٩٥٠ .

مندوب الأمم المتحدة مستربلث يجتمع بعزام باشا وكامل سليم بك فى القاهرة

واتصل مستر پلت من جهة أخرى بحكومات لندن وباريس وروما وواشنطون ودوائر هيئة الأمم بليك سكسس ثم عاد إلى طرابلس فى ١٨ مارس سنة ١٩٥٠ تمهيداً لاجتماع أعضاء مجلس ليبيا الدولى فى جنيف فى ٤ أبريل سنة ١٩٥٠ وفى هذا الاجتماع تقرر اختيار السيد مصطفى ميزران عن طرابلس والسيد على الجربى عن برقة والسيد أحمد سوفو السنوسى عن فزان والسنيور ماركينو الإيطالى عن الأقليات .

واجتمع مجلس ليبيا الدولى لأول مرة فى طرابلس الغرب يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٠ وعقد ٥٢ جلسة إلى سبتمبر سنة ١٩٥٠ .

مجلس ليبيا الدولى : من اليمين مسيو بالاي (فرنسا) احمد سوفو (فزان)
كامل سليم (مصر) ، على الجربى (برقة)

وقد بدأ المجلس جلساته بوضع لائحة داخلية ، فجعلت رياسة الجلسات بالتناوب بين الأعضاء كل لمدة شهرين على ترتيب الحروف الهجائية وابتدئ

بالسيد عبد الرحيم خان مندوب الباكستان وتلاه فى أول يولية مندوب برقة ثم مندوب مصر فى أول سبتمبر سنة ١٩٥٠ . وقرر المجلس أولا : أن تكون طرابلس مقره الدائم وكان هذا الأمر الذى يبدو طبيعياً محل اعتراض من انجلترا وفرنسا خاصة بقصد ابعاد المجلس عن ما جريات الأحوال بالبلاد وقطع صلته بالسكان وقد أشار إلى ذلك السيد مصطفى مزران فى خطبته يوم افتتاح المجلس .

ثانيا : أن تكون الجلسات علنية وقد كانت هذه النقطة أيضا محل اعتراض من المندوب الفرنسى ولا شك أن علنية الجلسات قد جعلت الناس على بيّنة من المناورات الاستعمارية التى كانت تدور داخلة والتى ترجع إلى طبيعة تكوينه كما أشرنا من قبل .

واعتمد المجلس اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب الانجليزية والفرنسية وقرر تأليف خمس لجان فرعية هى (ا) لجنة اللائحة الداخلية (ب) لجنة تنظيم رحلات الأعضاء (جـ) لجنة الاستعلامات (ء) لجنة المساعدة الفنية لليبيا (هـ) لجنة تنظيم المسائل المالية .

أما عن الموضوعات التى ناقشها المجلس والأعمال التى قامت بها لجانه الفرعية فكان أهمها (١) :

أولا : تنظيم الأنباء التى تنشر عن المجلس على نطاق واسع يسمح للسكان وللعالم بمتابعة الخطوات التى يخطوها المجلس فى تنفيذ قرار هيئة الأمم وقد انتهز مندوب الباكستان فرصة أتاحها مندوب فرنسا بتقديم اقتراح بإنشاء

---

(١) راجع تقرير بلت Rapport Annuel du Commisaire des nations unsies en Libye (A / 1340 — 1950)

لجنة فرعية لنشر الأنباء وتوزيعها مؤقتا فأضاف تعديلين بأن تقوم اللجنة بتقديم اقتراحات بشأن السبل والوسائل التى تساعد على نشر أنباء أعمال المجلس والمندوب نشراً كاملا فى ليبيا وخارجها وأن تقوم اللجنة بأعداد السبل والظروف التى تساعد على تحسين طرق النشر الموجودة والاعلان عن أعمال المجلس فى ليبيا وإبداء المساعدة لسكان ليبيا على فهم استعمال حرية الرأى(١) .

وتدخل مندوب مصر فأيد التعديلين وبين أن البلاد تعانى وطأة الأحكام العرفية وأن الادارة البريطانية لم توافق على منح رخص للأحزاب السياسية لإصدار جرائد وأكد حق الأحزاب فى ذلك وقال « أن الحالة الحالة الحاضرة يمكن تلخيصها فيما يأتى : توجد أحزاب فى ليبيا بدون صحف تعبر عن وجهات نظرها والصحيفة الوحيدة فى طرابلس تحت جناح الادارة البريطانية وإشرافها الكامل وهذه الحالة معرضة للانتقاد الشديد من الرأى العالمى . وأظن أن بريطانيا وهى أم الديموقراطية يمكنها أن تسمح للصحف بالصدور . وبلاد على عتبة الاستقلال بدون صحف حرة وضع لايمكن أن يفخر به أحد » (٢) .

ولم يستطع مندوب بريطانيا أن يدفع الهجوم فقال « يوجد تشريع خاص يسمح للحاكم العام أن يعلن الأحكام العرفيـــة وحالة الطوارىء وإصدار صلاحيات خاصة فى قضية معينة » وقال أن الادارة بسبيل إصدار قانون للصحافة وقد وصلت إلى الادارة طلبات حقا وهى تحت الدرس حتى صدور القانون . وحاول مندوب فرنسا سحب اقتراحه بحجة أن الجلسات أصبحت علنية فلا موضع له ، وأراد مندوب أمريكا تحديد عمل اللجنة الفرعية بنشر أعمال المجلس ولم يقر التعديل الباكستانى الثانى . وقد انتهى الأمر بالموافقة

---

(١) طرابلس الغرب ١٣ / ٥ / ١٩٥٠ .
(٢) طرابلس الغرب ١٣ / ٥ / ٥٠

على اقتراح فرنسا بتأليف اللجنة الفرعية مع تعديل الباكستان وذلك بأغلبية تسعة أصوات ضد لاشيء وامتناع واحد .

ولا شك أن اطلاق حرية التعبير وإصدار الصحف من أهم الوسائل فى تنوير الرأى العام وكشف المؤامرات الاستعمارية وتوجيه الشعب الوجهة الصالحة ومقاومة الضغط الواقع على البلاد ويكفى أن نورد فى ذلك ما قاله مندوب الباكستان فى تصريح لمندوب الأهرام بطرابلس « ولا يسعنى إلا أن أقول أن الحالة فى مدينة طرابلس أشبه أن تكون تحت ظروف حربية من أن تكون فى ظروف سلمية فلاتوجد هناك صحافة حرة والحكم يقوم على إصدار المراسيم والأوامر ، وتكاد جميع المبانى تستخدمها قوات الجيش والضباط المدنيون»(١)

وجاء فى قرار المجلس : —

(١) يطلب المندوب من دولة الادارة فى طرابلس أن تسمح بإصدار الصحف فى ظل القانون القائم بدلا من إرجاء ذلك حتى يعدل القانون .

(٢) يطلب المندوب من المستشار القانونى دراسة مشروع قانون الصحافة فى طرابلس وكذلك التعديلات المقترحة تطبيقا للمبادىء التى درستها اللجنة الفرعية .

(٣) يطلب من السكرتارية أن تيسر على نطاق واسع نشر مطبوعات الهيئة بالاتصال بمكتب الأمم المتحدة بالقاهرة أو غيره حتى يحاط الليبيون علما بنشاط الأمم المتحدة .

(٤) يطلب من السكرتارية أن توزع البيانات على الصحف وعلى الأفراد والأحزاب كل القرارات والمناقشات الهامة للمجلس وتقارير المندوب وغيرها.

---

(١) الأهرام ١٤ / ٥ / ٥٠

(٥) يطلب أن توزع الوثائق الخاصة بالمجلس كما أشير فى الفقرة السابقة إذا رأى المجلس ذلك[١] .

(ثانياً) معاونة ليبيا على إيجاد جهاز إدارى للدولة الجديدة والاستعانة فى ذلك بالمؤسسات التابعة للأمم المتحدة ، وقد لخص المندوب ذلك فى مذكرة قدمها للمجلس فى ١٥ ابريل سنة ١٩٥٠ بقوله : « واضح أنه من الضرورى اعداد الموظفين لإدارة البلاد والمحافظة على الأمن العام وإيجاد مصالح للميزانية والضرائب وترقية الزراعة والرعى وتنظيم البيع واستخدام موارد الأرض والمياه والغابات وتوسيع نطاق التعليم وتحسين الخدمات الصحية العامة[٢] .

وعمل المندوب من جانبه على الاتصال بمؤسسات الأمم المتحدة فانتدبت السكرتارية العامة عدداً من المستشارين فى الشئون الزراعية والنقل والبنوك وتنظيم الميزانية والادارة ونظام الضرائب . كما انتدبت سكرتير الهيئة أيضاً من يبحثون فى وسائل المساعدة الفنية . وقامت هيئة اليونسكو بدراسة مشروع للتعليم والهيئة الصحية ببحث الحالة الصحية . واتصل المندوب بالمجلس الاقتصادى والاجتماعى لتستفيد ليبيا من المساعدة الفنية بعد إعلان استقلالها وقد تقدم المجلس باقتراح فى ذلك للجمعية العامة .

وقرر المجلس الدولى تأليف لجنتين فرعيتين : الأولى لدراسة احتياجات ليبيا من المساعدة الفنية والثانية لبحث الوسائل لتمويل هذه الاحتياجات . وعملت هاتان اللجنتان مع خبراء الأمم المتحدة ومندوب الهيئة .

وأصدر المجلس الدولى فى ٢ أغسطس سنة ١٩٥٠ قراراً يطلب من المندوب : —

---

(١) ملحق رقم ٧ من تقرير مستر بلت .
(٢) ملحق رقم ٤ من تقرير مستر بلت .

١ — أن يدرس مع الأخصائيين من أعوانه ومن رجال الأمم المتحدة للمساعدة الفنية الموارد الاقتصادية والمالية المحتملة والمصروفات الفردية للحكومة الليبية المستقبلة حتى يكون بين يدى الجمعية الوطنية الليبية المعلومات الضرورية لمعاونتها على تحديد شكل الحكومة الليبية المستقبلة .

٢ — أن يبحث على وجه السرعة فى دراساته للمعاونة الفنية فى الادارة والتقدم الاقتصادى الموضوعات الآتية : البنوك والنقد والمسائل التجارية والزراعية ، والتعليم بما فيه التعليم الفنى والبعثات والصحة العامة .

٣ — أن يطلب من السكرتير العام أن يفعل ما فى وسعه بناء على طلب حكومتى الادارة تنفيذ توصيات البعثة التمهيديه للمساعدة الفنية لليبيا .

٤ — أن يطلب من السكرتير العام ابلاغ المجلس قرارات مكتب للمساعدة الفنية بعد توصيات البعثة والمشاورات اللازمة مع السكرتير ودولتى الادارة .

ومن جهة أخرى قرر المجلس أن تقوم اللجنة الفرعية لاحتياجات ليبيا بالاتصال بالشخصيات الليبية لمعرفة آرائهم فى احتياجات ليبيا حتى يمكن أن تقدم للخبراء قائمة بما يراه الليبيون فى هذا الشأن(١) .

(ثالثا) العلاقة بين مندوب الأمم المتحدة والمجلس الدولى ودولتى الادارة وقد أوضحت المناقشة التى أثارها مندوب الباكستان حول هذه النقطة الاختلاف فى تفسير قرار الأمم المتحدة وإصرار دولتى الادارة والمندوب على الصفة الاستشارية للمجلس ، فى حين تمسك مندوب الباكستان ومصر على ضرورة تقيد المندوب بآراء المجلس .

أفتتح مندوب الباكستان المناقشة فى الجلسة التاسعة والعشرين يوم

---

(١) الملحق ٢٤ من تقرير بلت .

٢٢ يوليه سنة ١٩٥٠ فقال ان قرار الأمم المتحدة فى رأيه يدعو دولتى الادارة إلى البدء فى نقل السلطة تدريجيا فى فترة الانتقال حتى قبل تكوين الحكومة الليبية الممثلة للشعب . وما دامت الأمم المتحدة رأت أن ليبيا أهل للاستقلال فواجب على دولتى الادارة أن تتشاور مع أهل البلاد فى كل الخطوات التى تتخذ فى فترة الانتقال . ولذلك فقد انتقد الادارة البريطانية فى طرابلس لأنها لم تستشر الزعماء السياسيين فى الخطوات التى اتخذتها أو تزمع اتخاذها . و نعى عليها أنها لم تقم بهذه المشاورة فى تأليف المجلس الادارى ولا فى اختيار موظفى الاداره . وقال انه إذا كانت قد حدثت مشاورات بين الادارة والمندوب دون اطلاع المجلس كان معنى ذلك أن المندوب والادارة يفسران الفقرتين ا ، ب من البند العاشر من قرار الأمم المتحدة على أساس أنه لاحاجة إلى إطلاع المجلس على حين أنه يرى أن المندوب ينبغى أن يستشير المجلس ويستهدى آرائه فيما يتصل بتعاونه مع الادارة . وقد أيد مندوب مصر وطرابلس والأقليات مندوب الباكستان فى هذه النقطة .

ورد مندوب بريطانيا بأنه يرى أن المجلس لا دخل له فى الاجراءات الادارية للدول المحتلة . والمملكة المتحدة غير مسئولة أمام المجلس .

وقال مندوب فرنسا أن المجلس ليس محكمة أو لجنة تفتيش . وأن الاجراءات التى اتخذت كانت على أساس التشاور بين الادارة والمندوب دون تدخل المجلس . وقد أيد المندوب الأمريكى ما قاله زميلاه .

وازاء ذلك لم يجد مستر بلت بدا من أن يشرح وجهة نظره فقال أن دولتى الادارة مسئولتان عن أعمالها أيام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وأن الدولتين استشارتاه فى كل الخطوات التى اتخذت . وأن نقل السلطة لايكون إلا بعد تأليف حكومة ليبيا وأنه وأن كان يعترف بواجبه فى استشارة المجلس إلا أنه يرى أنه ليس مجرد أداة لتنفيذ توصياته .

وقد وجد تفسير المندوب معارضة من الباكستان ومصر فقال مندوب الباكستان أن الفقرة الثانية تؤكد ضرورة مشاورة المندوب للمجلس فى كل خطوة يتخذها مع الاداره وقال مندوب مصر أن من واجب المندوب بناء على الفقرة الثامنة أن يقبل ويتبع رأى المجلس فى كل الأحوال وطالب أن يعرض المندوب هذا الخلاف فى وجهات النظر فى تقريره إلى السكرتير العام(١)

على هذا النحو وضحت الرغبة فى عزل المجلس الدولى عن المشاركة الفعالة فى تدبير أمور ليبيا . وفسر نص الفقرة الثامنة من قرار الأمم المتحدة التى تقضى بأن يستشير المندوب أعضاء المجلس ويسترشد بهم ، تفسيرا بعيدا عن روح النص ولفظه ، وانفراد المندوب بالعمل على وفق الخطط التى تضعها دولتا الادارة .

رابعا : التطور الدستورى فى ليبيا ، وهذه أخطر مسألة تعرض لها المجلس وأبعدها أثرا فى مستقبل ليبيا وقد بدأ النقاش فيها على أثر مذكرة تقدم بها المندوب فى ١٦ أبريل سنة ١٩٥٠ (٢) يقترح فيها أسس التطور الدستورى فى ليبيا كما أتفق عليها مع بريطانيا وفرنسا وأمريكا ومع السيد السنوسى والأستاذ السعداوى وأحمد بك سيف النصر على النحو التالى :

١ — تنتخب المجالس المحلية فى برقة وطرابلس خلال سنة ١٩٥٠ .

٢ — تؤلف لجنة تحضيرية للجمعية الوطنية فى موعد غايته يوليه ١٩٥٠ وتقوم بتحديد طريقة انتخاب الجمعية الوطنية وتأليفها ووضع مشروع للدستور .

٣ — تنتخب الجمعية الوطنية الليبية خلال خريف ١٩٥٠ .

٤ — تؤلف الجمعية الوطنية حكومة مؤقتة فى الشهور الأولى من ١٩٥١

---

(١) تقرير مستر بلت ص ١٧ — ١٨ والملحق رقم ١١ .

(٢) تقرير بلت الملحق الخامس .

٥ — تقر الجمعية الوطنية الدستور وتقر شكل الحكومة فى ١٩٥١ .

٦ — يعلن استقلال ليبيا وتأليف حكومة ليبية نهائية قبل أول يناير سنة ١٩٥٢.

وقد وجدت مقترحات المندوب ترحيبا من المندوب الأمريكى على حين عارضها مندوبا مصر وباكستان فطالب مندوب مصر بتوحيد أساس التمثيل فى المناطق الثلاث وجعله يتناسب مع عدد السكان . أما مندوب الباكستان فعارض الانتخاب نظرا لسيطرة الادارة البريطانية فى الجهاز الادارى ورأى أن يعين مندوبو طرابلس بمشاورة الأحزاب السياسية .

وإزاء اختلاف الآراء اقترح المندوب تأجيل الجلسات شهرا يزور فيه الأعضاء مناطق ليبيا الثلاث ، وقد أقر المجلس الاقتراح برغم اعتراض المندوب المصرى .

وعندما استأنف المجلس اجتماعه يوم ١٢ يونيه ، كان مستر بلت قد عدّل مشروعه الأول على أساس أن تنتخب المجالس البلدية ثلاثة أعضاء من ممثلى طرابلس وتعين الادارة الاثنين الباقيين بالتشاور معه ، وكان لهذا التعديل خطره فهو يعتمد على المجالس البلدية الخاضعة للادارة ، فضلا عن أنه يجعل للادارة تعيين أحد الأعضاء .

ولقى هذا المشروع معارضة شديدة من مندوبى طرابلس ومصر وباكستان على أساس أنه يجعل للجنة التحضيرية سلطة وضع مشروع الدستور وهذا حق الجمعية الوطنية بنص قرار هيئة الأمم ، ثم ان تكليف اللجنة التحضيرية بوضع الدستور يعطل استقلال البلاد لأنها قد تستغرق فى عملها أشهرا طويلة قبل قيام الجمعية الوطنية ، هذا فضلا عن أن الطريقة المقترحة لتمثيل طرابلس لا تعبر عن أهل البلاد .

ولمقابلة اقتراح المندوب عن اللجنة التحضيرية وموافقة إيطاليا وفرنسا

وأمريكا على الاختصاصات الموضوعة لها تقدم مندوب الباكستان بمشروع قرار عن اللجنة التحضيرية جاء فيه :

(ا) يقترح الأمير السنوسى أسماء ممثلى برقة السبعة .

(ب) يقوم المندوب بالتشاور مع زعماء طرابلس السياسيين لاقتراح ممثلى طرابلس وتقديم أسماء السبعة الذين يتفق عليهم إلى المجلس لاعتمادها .

(حـ) يقترح أحمد بك سيف النصر ممثلى فزّان السبعة .

(د) يجتمع ممثلو المناطق الثلاث فى طرابلس يوم أول يولية على الأكثر لوضع خطة تمكن ممثلى برقة وطرابلس وفزّان من الاجتماع على شكل جمعية وطنية (١)

وقد أقر المجلس هـذا الاقتراح فى ١٤ يونيو وعارضه مندوبو انجلترا وفرنسا وأمريكا وأيده مندوب إيطاليا والأقليات فى مقابل أن يكون أحد مندوبى طرابلس السبعة من الايطاليين .

وقد اكتنف تأليف لجنة الواحد والعشرين عدة عقبات أهمها :

أولا : الخلاف حول تمثيل الأقليات ، وخاصة الطليان ، فى اللجنة . وقد عارض فى ذلك الأمير السنوسى وأحمد بك سيف النصر ثم قبلا بعد مشاورات المندوب وعلى أن لا يترتب على اشتراك الطليان أى التزام فى المستقبل .

ثانيا : اختيار ممثلى طرابلس ، فقد اتصل المندوب بالهيئات السياسية وطلب أن تقدم كل منها قائمة فتعاونت معه فى ذلك خمسة أحزاب ورفض حزب الاستقلال والكتلة الوطنية الحرة الاشتراك فى الأمر على أساس

---

(١) تقرير بلت ص ٢٣ والملحق رقم ١٥ .

رفض المساواة فى الممثلين للأقاليم الثلاثة . وقد قدم المندوب قائمة بأسماء ممثلى طرابلس أعدها مع حزب المؤتمر الوطنى وحزب الأحرار والحزب الوطنى والجبهة الوطنية المتحدة والاتحاد المصرى الطرابلسى والادارة البريطانية وقد اعترض مندوبا مصر والباكستان على إيراد اسم المفتى محمد أبو الاسعاد لأن حزب المؤتمر الوطنى لم يرشحه . ولكن المجلس انتهى فى ١١ يولية إلى إقرار قائمة المندوب — بأغلبية ستة أصوات وامتناع أربعة بعد إضافة السيد على رجب رئيس حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى وحذف عمدة مصراته لأنه من رجال الادارة .

وفى ٢٥ يولية سنة ١٩٥٠ دعا المندوب لجنة الواحد والعشرين إلى الاجتماع وعقدت أول اجتماعاتها فى ٢٧ يوليو فى مكتب المندوب بطرابلس وبعد أن أقرت اللجنة لائحتها الداخلية وهى تنص بأن تكون القرارات بأغلبية الثلثين ولا يخفى أن هذه الأغلبية تتوفر بأصوات فزان وبرقة وهى فى الواقع أقلية إذا ذكرنا أن سكان برقة وفزان حوالى ٣٠٠ ألف على حين أن سكان طرابلس ٨٠٠ ألف نسمة . هذا فضلا عن أن أعضاء لجنة الواحد والعشرين معينون لم ينتخبهم الشعب انتخابا حراً . وقد انتخبت اللجنة الشيخ محمد أبو الاسعاد المفتى رئيسا ، وكان جدول الأعمال يشمل النقاط التالية : (١)

١ — عدد الجمعية الوطنية .

٢ — أيكون التمثيل فى الجمعية الوطنية تبعا لنسبة السكان أم يتساوى عدد الممثلين عن المناطق الثلاثة ؟

٣ — أتكون الجمعيه الوطنية بالانتخاب أم بالتعيين ؟

٤ — كيف يعين الممثلون إذا أخذ بمبدأ التعيين ؟

---

(١) الملحق الأول لتقرير مستر بلت A /1405

٥ — متى وأين تجتمع الجمعية الوطنية ؟

وقد قرّرت اللجنة فى جلسة ٧ أغسطس أن تتألف الجمعية الوطنية من ستين عضوا على أساس المساواة فى العدد بين المناطق الثلاث .

وفى نفس الجلسة نوقشت مسألة الانتخاب والتعيين ، وقد اختلفت فيها الآراء فتمسك الفزانيون بالانتخاب لأنه الوسيلة الوحيدة لمعرفة آراء الشعب وأمانيه . وأيد الطرابلسيون التعيين لصعوبة إجراء انتخابات مع عدم وجود حكومة وخشيه تدخل الادارة . وأيد ممثلو برقة زملاءهم الطرابلسيين وعند الاقتراع نال التعيين ١٣ صوتا والانتخاب ٤ أصوت فلم تتوفر أغلبية الثلثين وأصر الفزانيون على موقفهم فى جلسات ٢٩ ، ٣٠ أغسطس ، ٧ سبتمبر ، واستدعى الأمر تدخل المندوب فاتصل بالأمير السنوسى فى بنغازى وبأحمد بك سيف النصر فى سبهه ، وكان من أهم ما ذكره أحمد بك سيف النصر أن ممثلى طرابلس قد اختير ستة منهم من المؤتمر الوطنى والأحزاب المتخالفة معه وأنهم بذلك يبعد أن يمثلوا أهل طرابلس . ولما لم يستطع المندوب فض الخلاف أجلت جلسات لجنة الواحد والعشرين إلى ٩ أكتوبر .

وحين استأنفت اللجنة اجتماعها أصدرت بجلسة ٢٢ أكتوبر بالإجماع القرار التالى :

« تألفت لجنة الواحد والعشرين من سبعة أعضاء عن كل من الأقاليم الثلاثة التى تتألف منها ليبيا : برقه وطرابلس وفزان ونص قرار مجلس الأمم المتحدة لليبيا فى جلسته التاسعة عشرة المنعقدة فى ١٤ يونيو سنة ١٩٥٠ أن تقوم لجنة الواحد والعشرين بتحديد طريقة تأليف الجمعية الوطنية التى تنص الفقرة الثالثة من قرار الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ على أن تقوم باعداد دستور صالح لليبيا وتعيين شكل الحكومة . وقد انعقدت اللجنة فى طرابلس ودرست نظام تأليف الجمعية الوطنية الذى يسمح فى الظروف

الحالية بالوصول بسرعة إلى الأهداف المرجوه وتحقيق الحل المنشود . وبعد دراسة المسألة ومناقشتها وجمع قراراتها المختلفة قررت اللجنه بالاجماع المبادىء الآتية التى تقوم عليها خطة الجمعية الوطنية تنفيذا لقرار الأمم المتحدة المذكور آنفا :

(ا) تتكون الجمعية الوطنية من ٦٠ عضواً

(ب) يكون تمثيل الاقاليم الثلاثة فى الجمعية الوطنية على قدم المساواة أى بعشرين ممثلا للاقليم .

(ﻫ) يكون التمثيل فى الجمعية الوطنية بالاختيار وينبغى - وخاصة فيما يتصل بطرابلس - أن يكون من الأحزاب العربية الوطنية بالأقاليم المختلفة ومن المستقلين والشخصيات البارزة .

(ﻭ) يختار سمو السيد محمد إدريس السنوسى ممثلى برقة وسعادة أحمد سيف النصر ممثلى فزان أما اختيار ممثلى طرابلس فيقوم به - وفقا لاقتراح مقدم إلى لجنة الواحد والعشرين من ممثلى طرابلس بالاجماع - سعادة الرئيس محمد أبو الاسعاد العالم بعد المشاورات والمحادثات اللازمة . وتقدم قائمة الشخصيات المختارة إلى لجنة الواحد والعشرين فى موعد أقصاه ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٠ وترفع نسخة من القرار الحالى إلى سمو الأمير وسعادة أحمد سيف النصر.

(ﻫ) الأقليات من غير الوطنيين لا يسمح لهم بالاشتراك أو التمثيل فى الجمعية الوطنية . ومع ذلك فالرأى العام يرغب رغبة صادقة فى أن يوفر دستور ليبيا المستقبل جميع الحريات المدنية أو الدينيه والاجتماعية لكل الأقليات وكل الأجانب وتعتقد اللجنة أن الجمعية الوطنية ستأخذ هذا المبدأ بنظر الاعتبار

عندما تضع الدستور على طراز دساتير البلاد المتمدينة .

(و) تعقد الجمعية الوطنية أولى جلساتها فى طرابلس فى الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٠ ولها - إذا رأت ذلك - أن تعقدها فى مكان آخر [١]

« ٢ »

وقد سارت دولتا الادارة فى العام الأول من صدور قرار الأمم المتحدة على الخطة التى وضعتها قبل صدوره، فلم يبد فى تصرفاتها تغير جوهرى أو اتجاه إلى تنفيذه تنفيذاً جديا . بل عملت فرنسا على توطيد نفوذها فى فزان كما جرت بريطانيا فى برقة على توطيد الحكم الذاتى الذى وضعت أسسه قبل صدور قرار الأمم المتحدة ، واتخذت فى طرابلس خطوات ترمى بها إلى الحكم الذاتى أيضا . وأيدت الدولتان على أية حال قيام النظام الفدرالى الذى يصون مصالحهما الاستعمارية فى المناطق الثلاث ويفرض على البلاد سيطرة الأقلية التى تتعاون معهما .

وقد مرت بنا مراحل تأليف حكومة برقة عشية نظر القضية فى هيئة الأمم، ولم تتغير خطط البريطانيين فى برقة على أثر صدور قرار الأمم المتحدة بل أخذوا يستخدمون مجلس ليبيا ومندوب الأمم المتحدة فى تنفيذ أغراضهم التى ترمى إلى إنشاء أنظمة مماثلة فى طرابلس وفزان .

ومنذ وصول مندوب الأمم المتحدة إلى بنغازى فى يناير سنة ١٩٥٠ أعلن الأمير السنوسى رغبته فى الإسراع بنقل السلطة إليه ، ووافقت الإدارة البريطانية على ذلك ، وأفهم المندوب أن نقل السلطة لا يعنى تخلى بريطانيا عن السيادة وإنما عن السلطة المحلية ، وأن كل اتفاق بين بريطانيا والأمير محدود بآخر ديسمبر سنة ١٩٥١ وهو الموعد الذى صرح به قرار الأمم المتحدة

---

(١) الملحق الثانى لتقرير مندوب الأمم المتحدة A/1456

لقيام استقلال ليبيا . وأكد الأمير أيضا للمندوب أن وحـــدة ليبيا لا يمكن أن تتحقق إلا فى نطاق النظام الفدرالى فيكون لكل منطقة حكومتها وبرلمانها وتنشأ حكومة مركزية للاتحاد .

وفى ٥ أبريل سنة ١٩٥٠ صدر قانون انتخاب على أساس تقسيم البلاد إلى سكان المدن وقبائل البادية .

وفى ٥ يونية سنة ١٩٥٠ أجريت الانتخابات فى برقة وتألفت جمعية وطنية برقاوية من خمسين عضوا يضاف إليهم عشرة يعينهم الأمير ـ وعقدت الجمعية أول اجتماعاتها فى ١٢ يونية . ولا يعرف أن مندوب الأمم المتحدة أو مجلس ليبيا الدولى قد استشيرا أو ساهما فى إعداد قانون الانتخاب أو إجراء الانتخابات وإنما تم ذلك بالاتفاق المباشر بين الأمير والإدارة .

وقد بقى موظفو الإدارة البريطانية — وهم يزيدون عن خمس موظفى حكومة برقة — فى مناصبهم ولكن على أنهم موظفون بعقود فى الحكومة الجديدة .

وقد عينت الإدارة مستشارا بريطانيا للتعليم وكانت المدارس الموجودة فى نهاية عام ١٩٤٩ احدى عشرة مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية واحدة وقامت الإدارة أيضا بدراسة الخدمات الصحية فى برقة فى مارس سنة ١٩٥٠ لاعداد الممرضين والقوابل والزائرات الصحيات ، كما نظمت البوليس والسجون [١].

* * *

وإذا انتقلنا بعد هذا إلى طرابلس وجدنا الادارة البريطانية خطة اخرى

---

(١) تقرير الادارة البريطانية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة A/1390. pp. 4-8

وتعترف بريطانيا باختلاف الخطتين فى تقريرها إلى الأمم المتحدة إذ تقول «فى برقة - على عكس طرابلس - أساس قوى للتطور السياسى ولكنها أقل من حيث الموارد والعمال المهرة الأكفاء . وطرابلس أغنى أو أقل فقرا فى الموارد والأيدى العاملة ولكنها تعانى عدم استقرار سياسى»[1] ولو شئنا أن نسمى الأشياء بأسمائها لقلنا إن الإدارة لم تجد فى طرابلس من الاستجابة لخططها ما وجدته فى برقة .

فى يناير سنة ١٩٥٠ وضعت الإدارة البريطانية فى طرابلس خطة لإنشاء حكومة طرابلسية ذاتية على مراحل ثلاث :

(ا) إنشاء مجلس تنفيذى . (ب) تأليف جمعية تشريعية .

(جـ) نقل السلطة السلطة تدريجا إلى المجلس التنفيذى والجمعية التشريعية .

ويتألف المجلس التنفيذى من خمسة بريطانيين منهم ثلاثة مستشارين قانونيين، وخمسة إلى سبعة ليبيين وايطالى ويهودى . ويكون المجلس استشاريا فى البداية وتعد قوائم انتخابية لدعوة جمعية تشريعية وتطبيق سياسة احلال الليبيين محل البريطانيين فى الإدارة .

وتنشأ الجمعية التشريعية فى خلال ستة أشهر من ثلاثة مستشارين قانونيين بريطانيين و ٢٥ - ٤٠ نائبا طرابلسيا وعشرة أعضاء معينين وتقر الجمعية القوانين بعد موافقة رئيس الادارة ، ولا يحق لها مناقشة مسألة القوات البريطانية فى طرابلس أو التطور الدستورى فى ليبيا أو مدى سلطات الجمعية نفسها . وعند إنشاء الجمعية يتألف المجلس من ثلاثة أعضاء قانونيين بريطانيين ويختار رئيس الادارة باقى أعضائه من نواب الجمعية وبذلك يشبه المجلس التنفيذى مجلس وزراء يحمل أعضاؤه مسئوليات وزراية .

---

(١) المصدر السابق p. 3.

والخطوة الثالثة توسيع سلطات المجلس والجمعية حتى تكون لها السلطة الكاملة فى الموعد الذى حددته الجمعية العامة .

وقد اعترض المندوب على هذه الخطة بأن انشاء الحكومات الاقليمية وخاصة دون استشارة أهل البلاد يحدد حرية الجمعية الوطنية الليبية التى عليها أن تعين شكل الحكومة . ولا يقتضى تنفيذ النظام الاقليمى فى برقه أن ينشأ مثله فى طرابلس ، ومن جهة أخرى قرر المندوب ضرورة اشتراك الليبيين فى الحكم بأسرع ما يمكن .

على أن خلاف المندوب مع الادارة لم يلبث أن سوى بعد مشاوراته مع رئيس الادارة ووزارة الخارجية البريطانية فعقد فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٠ اتفاق جاء فيه :

(أولا) يسمى المجلس المقصود « المجلس الادارى » لا التنفيذى .

(ثانياً) يشكل المجلس على النحو المقترح على أن تكون الأغلبية للطرابلسيين وأن يختاروا من ذوى الكفاية

(ثالثاً) لاتتعدى سلطات المجلس النواحى الادارية ، فلا يتدخل فى مسألة التطور الدستورى فى ليبيا كلها .

(رابعاً) إنشاء الجمعية التشريعية خطوة طيبة فى سبيل تمرين الطرابلسيين على مباشرة السلطة التشريعية وعند إنشائها يشترك فى بحثها المندوب والادارة .

(خامساً) تشجع الادارة احلال الليبيين محل البريطانيين ويطلب المندوب مساعدة الأمم المتحدة فى ذلك .

ولم تقبل بريطانيا أن يكون رئيس المجلس منتخبا من بين أعضائه الطرابلسيين بل جعلت الرياسة لرئيس الادارة فهو يختار الأعضاء ويحل المجلس ويدعوه للاجتماع ويحدد له جدول الأعمال . وقد تألف المجلس

من عشرة أعضاء معينين منهم ثمانية طرابلسيين وايطالى ويهودى وعقد أول اجتماع له فى ١٥ مايو سنة ١٩٥٠ ونظر فى بعض القوانين كقانون الهجرة وقانون الصحافة الجديد ومستقبل صناعة زيت الزيتون ومساعدة اللاجئين الفلسطينيين ومشروع قانون الانتخاب .

أما الجمعية التشريعية فلم تخرج إلى حيّز التنفيذ . وقد جاء فى تقرير مستر بلت أن ذلك يرجع إلى صعوبة إجراء الانتخابات فى الصيف وان اعداد قانون الانتخاب والسجلات الانتخابية ومشكلة الأقليات أمور تحتاج إلى وقت . وعند عرض قانون الانتخاب على المجلس الدولى قرر مندوب بريطانيا أن الادارة البريطانية لاتستطيع إجراء الانتخابات قبل أن تضع الجمعية الوطنية الليبية دستور ليبيا المستقبل(١) . وليس لهذا التصريح معنى إلا أن بريطانيا قررت ابقاء حكمها المباشر لطرابلس والعدول عن اشراك أهل البلاد على أية صورة فى الحكم ، وذلك نتيجة المعارضة التى قوبل بها انشاء المجلس الادارى من أغلبية الطرابلسيين ومن المجلس الدولى لليبيا .

وقد خطت بريطانيا خطوتها فى طرابلس بما فيها من خروج سافر على قرار الأمم المتحدة ، واشترك معها المندوب دون المجلس الدولى . وقد عارض فى ذلك مندوب الباكستان فأخذ على الادارة أنها لم تستشر الطرابلسيين وأنها تتعدى سلطاتها حين تقر هذه التطورات الدستورية فى طرابلس وأن المجلس الادارى غير شرعى ولا يرضى عنه الطرابلسيون والجمعية التشريعية تخرج عن سلطة الادارة(٢) .

***

---

(١) تقرير بلت P. 12 ، تقرير الادارة البريطانية P. 8-9 .

(٢) تصريح مندوب الباكستان فى المجلس الدولى يوم ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٠ — تقرير بلت P. 55-62 .

ولم تكن الادارة الفرنسية فى فزّان أقل انفراداً بالعمل من الإدارة البريطانية . فقد وضعت لفزّان نظاماً انتقالياً ، منذ بداية سنة ١٩٥٠ لتطبيق قرار الأمم المتحدة ، ففى ٢٤ يناير سنة ١٩٥٠ أصدر المقيم الفرنسى بفزان أمره إلى الرؤساء والجماعة (رؤساء العائلات) فى القرى أن يجتمعوا لانتخاب ثلاثة عن كل مديرية من مديريات فزان السبعة عشرة وثلاثة عن غدامس . واجتمع المندوبون فى سبها يوم ١٢ فبراير لانتخاب رئيس المنطقة فأسفر الانتخاب عن اختيار أحمد بك سيف النصر باجماع المندوبين الثمانية والخمسين .

وجاءت الخطوة الثانية بأن أصدر المقيم الفرنسى فى ١٢ فبراير أمره باقامة نظام مؤقت للمنطقة يقوم على ما يلى :

أولا : تأليف السلطات العامة . يعلن المقيم الفرنسى أحمد بك سيف النصر رئيسا لمنطقة فزان ويعاونه :

(ا) ستة مستشارين محليين يختارهم للعدل والمالية والشئون الاقتصادية والزراعية والداخلية والصحة العامة والمعارف .

(ب) جمعية استشارية مؤلفة من ممثلين منتخبين عن الجماعة ومجالس القبائل البادية وتجتمع بدعوة من رئيس المنطقة والمقيم الفرنسى .

ثانياً : فى فترة الانتقال يكون لحكومة فزان التصرف فى المسائل الداخلية السياسية والتنظيمية والادارية وهى القضاء والبوليس والتوظيف والتعليم والنقل والصحة والزراعة الخ .

ثالثاً : يحتفظ المقيم الفرنسى فى فترة الانتقال بشئون العلاقات الخارجية والدفاع والسيطرة على الملاحة الجوية والمطارات والأمور المتصلة بالقوات الفرنسية ووسائل المواصلات البريدية والبرقية وغيرها مع الخارج ومسألة العملة وتأشيرات السفر ولا يعقد اتفاق عن استغلال الموارد المعدنية لفزان إلا بموافقة المقيم الفرنسى .

ونص النظام الانتقالى أيضا على تعيين مستشارين فرنسيين لمعـــاونة المستشارين الفزانيين وجعل الفرنسية لغة رسمية مع العربية وعلى أن تغيير النظام يكون بالاتفاق بين رئيس المنطقة والمقيم الفرنسى(١).

(٣)

وقد كان لهذه السياسة التى فرضتها الدول الاستعمارية على المجلس الدولى وسارت عليها إدارة الاحتلال فى مناطق ليبيا ، أثرها فى الرأى العام الليبى فاعتنقها وروج لها دعاة آثروا المصالح الشخصية والمنافع العاجلة على وحدة الوطن واستقلاله . وكانت البلاد خارجة من الحكم الايطالى الغاشم ولا تزال صورته ماثلة فى الأذهان تفت فى العضد وتكسر الشوكة ولا يزال الأمر إلى من تربوا فى كنفه وعاشوا على فتات موائده ، أما المجاهدون المخلصون فقد استشهد منهم من استشهد ومات منهم من مات غريباً أو استقرت به الحال فى المنفى ، وأما الشباب فقد وقع عليه أكثر العبء ولما يزل فى حاجة إلى استكمال العدة والخبرة ولكنه معقد الرجاء فى المستقبل القريب . وقد دفع هذا كله مندوب الباكستان إلى أن يقول « أن أصدقاء ليبيا أحنى عليها من بعض أبنائها » .

كان السيد إدريس السنوسى صريحا غاية الصراحة فى موقفه ، فقد أعلن نفسه أميرا لبرقة وقبل أن يكون ملكا على ليبيا مع إقامة حكومات ذاتية فى المناطق الثلاث ترتبط فيما بينها على أساس فدرالى . ولا يمارى أحد فى أن السيد ادريس من أكبر الشخصيات ذات النفوذ فى ليبيا إن لم يكن أكبرها ، ولو أنه تزعم حركة الجهاد المشترك لوفر على البلاد كثيرا من دواعى الخلاف

---

(١) تقرير الادارة الفرنسية إلى الأمم المتحدة p. 23/24

والشقاق ولكنه تخلى غير مرة عن الطرابلسيين رغم أنهم سلموا له بالامارة . وقد كانت حجته فى الانفصال بالعمل أن برقة تخلو من الطليان على حين يوجد منهم عدد قد يبلغ الثمانين ألفا فى طرابلس ولكن هذه الحجة لم يعد لها قيمة بعد صدور قرار الأمم المتحدة فضلا عن أن الطليان أقلية لا يمكن أن تتحكم فى مصائر البلاد .

وقد أهمل السيد ادريس قرار الأمم المتحدة ومضى فى السياسة الانفصالية فأصدر قانونا للجنسية البرقاوية واتجه إلى تأليف جيش خاص ببرقة يتألف من خمسة آلاف رجل يدربهم الانجليز ويمدونهم بأحدث أنواع العتاد ، وسمح للبريطانيين بان ينشئوا فى البلاد القواعد البرية والجوية والبحرية وأن يسيطروا على مرافقها ويتصرفوا فى خاصة شئونها وقد أثارت هذه الأعمال رجال المؤتمر الوطنى البرقاوى على وزارة عمر باشا الكيخيا فاستقالت وحلت محلها وزارة محمد ساقزلى ولكن السياسة المرسومة لم تتغير فحل السيد المؤتمر وأعلن عن انتخابات جديدة لمجلس نيابى برقاوى . ولكن هـــذا المجلس وأكثره من ممثلى القبائل البادية وأقله من المستنيرين من سكان المدن لا يملك إلا السير على الخطة المرسومة التى تضعها الادارة البريطانية وتستخدم نفوذ السيد لإقرارها .

على أن هذا الاتجاه الرسمى فى برقة يلقى معارضة قوية تتكتل حول الجمعية الوطنية (جمعية عمر المختار سابقا) وتنادى بالوحدة الليبية والحرص على تنفيذ قرار الأمم المتحدة ، وقد عبرت الجمعية عن هذا الاتجاه فى مذكرة تقدمت بها إلى مجلس ليبيا الدولى جاء فيها : —

« من سبع سنوات أى فى الوقت الذى تولى فيه البريطانيون شئون الادارة فى برقة عمل الانجليز على تنفيذ خطتهم الاستعمارية بتجزئة ليبيا وإضعافها اقتصاديا تمهيدا للسيطرة عليها سياسيا وعسكريا ، فى حين أخذ البريطانيون

الرسميون يذيعون تصريحات مناقضة لما يحدث فى ليبيا ، وقد باتت الخطة البريطانية غير خافية حين عرض مشروع بيفن - سفورزا على هيئة الأمم ، حيث قامت الحكومة البريطانية بمناورة سياسية اعترفت فيها باستقلال برقة الذاتى دون بقية البلاد ، رغبة فى ستر فشلها فى المشروع السالف الذكر ، ولكن المركز العام للجمعية الوطنية لم يسكت على هذا فقدم إلى المعتمد البريطانى فى برقة مذكرة فى سبتمبر الماضى أكد فيها أن هدف البلاد هو الاستقلال التام لليبيا بحدودها الطبيعية ، وأن الأجراء الذى قامت به بريطانيا يجب أن يكون اجراء مؤقتا مادام مصير البلاد سيقرر بوساطة هيئة الأمم.

هذا ولما صدر قرار هيئة الأمم فى نوفمبر الماضى بشأن استقلال ليبيا ووحدتها أظهر البريطانيون عدم رغبتهم فى تنفيذ القرار ، بل مضوا فى تدعيم الوضع الشاذ للبلاد تنفيذا لخطتهم المرسومة ، فأنشأوا حكومة محلية صورية من البرقاويين ، وحشدوا فيها كثيرا من المستشارين والموظفين البريطانيين ، وأصدروا باسم هذه الحكومة طائفة من القوانين المرتجلة ، كقانون الجنسية وقانون تأليف المجالس البلدية والغرف التجارية بالتعيين ، كما أثقلوا كاهل الميزانيه بسبب الاغداق على مؤيديهم وموطنيهم ، ومهدوا لإنشاء جيش برقاوى . ولوحوا بعقد معاهدة بين بريطانيا وبرقة ، وبتأسيس مجلس نواب بدلا من انتظار تأليف الجمعيه التأسيسية الليبية التى نص عليها قرار هيئة الأمم ، ثم قاموا باضطهاد الأحرار والاعتداء على حرية الرأى واغلاق دور الصحف ومن بينها جريدة الوطن لسان حال الجمعية ، . وختمت الجمعية مذكرتها بمطالبة مجلس هيئة الأمم بالعمل على إنهاء الوضع الشاذ فى ليبيا والحد من تصرفات الادارة البريطانية . واعتبار الحكومة البرقاوية الراهنة وسيلة لتدريب الوطنيين على ممارسة الادارة لا أداة لتدعيم فكرة

الانفصال ، ووضع العقبات فى سبيل تنفيذ قرار هيئة الأمم (١) .

وقد عارضت الجمعية الوطنية إنشاء جيش فى برقة فى ظل الادارة البريطانية وأرسلت مذكرتين إلى الأمير السنوسى ورئيس الادارة البريطانية . ومما ورد فى مذكرة الجمعية للأمير « أن الوضع السياسى للبلاد تقرر من قبل هيئة الأمم المتحدة بأن تكون ليبيا مستقلة ذات سيادة قبل مطلع سنة ١٩٥٢ . وبذلك أصبحت فترة الانتقال التى تعيش فيها البلاد الآن لا تحتمل أكثر من عملية انتقال السلطات من أيدى الأجانب إلى أيدى الوطنيين وهى عملية خطيرة الشأن ، وأول ما تتطلبه هو أن تظهر البلاد فى حالة من الكفاءة المعنوية بقدرة رجالها على إدارة دفة حكومتها والاكتفاء المادى بوجود التوازن اللازم بين الانتاج والاستهلاك أى بين الداخل والخارج فى الميزانية . . لذلك فإن تأسيس الجيش فى الوقت الحاضر سبب انهيارا خطيرا فى كيان البلاد الاقتصادى وهى تضحية لا مبرر لها بعد أن أقرت لنا دول العالم بالاستقلال وأصبحنا فى ضمانة هيئة الأمم المتحدة إلا أن هناك مايؤكد أن تكاليف هذا الجيش ستقوم بتسديدها الحكومة البريطانية الأمر الذى ينتقل بموضوع الجيش إلى ميدان غير وطنى بل ينتقل بالوطن إلى ميدان إستعمارى لأن الغاية من وراء هذا التبرع الانجليزى واضحة فى أنها ترمى إلى استمرار احتلال البلاد وعرقلة تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة وتطبيق اتفاقية مشروع بيفن - سفورزا الذى يقضى بالوصاية البريطانية على برقة تحت شعار الجيش الوطنى ومع الأسف بمشاركة كبار المسئولين الوطنيين (٢) .

ومما ورد فى المذكرة المقدمة إلى رئيس الادارة البريطانية « إننا لانخفى ارتيابنا ودهشتنا من هذه الحركة المفاجئة التى برزت فجأة فى جو غامض

---

(١) الأهرام ١٩٥٠/٥/٧ (٢) الوطن ١٩٥٠/٣/١٤

يجعلنا نجزم بأن وراء اقتراح حكومتكم على انفاق مالا يقل عن المليونى جنيه سنويا على الجيش البرقاوى هدفا منشودا هو بدون شك تثبيت قدم احتلال حكومتكم لهذه البلاد وعرقلة تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة»(١)

وهكذا تحرص الجمعية الوطنية على فضح الخطط الاستعمارية والاتجاهات الرجعية فى برقة ، فهى تهاجم الإدارة البريطانية ومعاونيها ، وقد لخصت جريدة الوطن جناية الوضع الحالى فى برقة فى أنه أدى إلى (١) إنحلال فى المجتمع القومى وانهيار فى الكيان الاقتصادى (٢) قطيعة مع الأمم العربية وانفصال عن جسم الوطن . (٣) جعل برقة محمية بريطانية تمر بنفس الأدوار التى مرت بها شرق الأردن(٢). وتقف الجمعية أيضا بالمرصاد لكل حركة رجعية كتلك التى دعا إليها بعض كبار الموظفين من جعل مجلس النواب بالتعيين لا بالانتخاب والاتجاه إلى تقييد حق الانتخاب باقامة عشر سنوات فى برقة قبل صدور قانون الانتخاب وبذلك يحرم كثير من المهاجرين الليبيين وأبنائهم الذين إضطروا إلى الهجرة تحت ضغط الطغيان الايطالى .

لاشك أن الجمعية الوطنية إنما تمثل الاتجاه الوطنى الصادق الحريص على حرية البلاد ووحدتها واستقلالها ورغبة الشعب الليبى فى التمسك بقرار هيئة الأمم وتنفيذه نصا وروحا فى فترة الانتقال الحالية واقرار النظام البرلمانى الدستورى فى ليبيا الموحدة على أساس ديموقراطى فى أمة حرة تسيطر على شئونها الداخلية والخارجية سيطرة بريئة من التأثير الأجنبى والاتجاهات الرجعية .

* * *

---

(١) الوطن ١٤ / ٣ / ١٩٥٠
(٢) الوطن ٢١ / ٣ / ١٩٥٠

وللسيد إدريس السنوسى تصريح يوضح جانبا من الاتجاهات السياسية فى طرابلس قال : « قررت هيئة الأمم أن تكون ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة ولكنها لم تحدد كيف تتكون الدولة الليبية وتركت هذه المسألة لشعب ليبيا ليقرر المصير الذى يرضاه . وقد اتفقت أخيرا مع بشير بك السعداوى على إقامة حكومة فى طرابلس تشبه حكومة برقة وتركت له حرية الاتفاق مع سكان طرابلس والادارة البريطانية على إنشاء حكومة . ودعانى بشير بك إلى أن أذهب إلى طرابلس لأعلن إقامة الحكومة ووعدته بالذهاب إذا سمحت حالتى الصحية بعد أن يتفق مع الطرابلسيين والادارة » (١)

وبرغم مافى الشطر الأول من هذا التصريح من تجاهل لقرار الأمم المتحدة الذى ينص على أن الدولة الليبية الجديدة تتكون على نحو مايتفق عليه ممثلو السكان فى الأقاليم الثلاثة المجتمعون على هيئة جمعية وطنية ، فإن الشطر الثانى يوضح السياسة التى انتهجها السيد بشير السعداوى والمؤتمر الوطنى لطرابلس ، والتى تتلخص فى الاعتراف بالسيد السنوسى أميرا أو ملكا على ليبيا وقيام حكومات ذاتية فى الأقاليم الثلاثة على أسس فدرالى . وقد صرح السيد بشير السعداوى لمراسل وكالة الأنباء المتحدة الأمريكية بقوله : « أنه سيكون من الضرورى على حكومة ليبيا حين تتشكل أن تتعاون مع الدول الصديقة كما أنه لن يحكم سوى الأمير السنوسى مهما كان نوع الحكومة الليبية الجديدة فدرالية أو موحدة . » (٢)

وقد قام السيد بشير السعداوى بمعاونة مستشاره الدكتور فؤاد شكرى على بث الدعاية لهذا الاتجاه السياسى بين صفوف الشعب الطرابلسى خاصة ، ومما يلفت النظر أن الادارة البريطانية أطلقت له حرية العمل وقدمت له أنواع

---

(١) الاهرام ١٣/٢/١٩٥٠ (٢) الاهرام ٢٥/٢/١٩٥٠

المساعدات على حين يعاني حزب الكتلة الوطنية الحرة مثلا صنوف الاضطهاد والتضييق ، وكان أبرز مظاهر هذه الدعاية اجتماع الدورة الثالثة للمؤتمر الوطني الطرابلسي الذي عقد بمسجد مراد أغا في ناحية تاجوراء يوم ٢٥ مارس سنة ٩٥٠ وقالت جريدة طرابلس الغرب التي تصدرها الادارة البريطانية أنه قد حضره ثمانية آلاف نسمة[١] .

نص القرار الأول على « التقدم برفع آيات الشكر والولاء لحضرة صاحب السمو أميرنا المعظم السيد محمد ادريس المهدي السنوسي على كلمة سموه الجليلة وعلى نصائح وإرشادات وتوجيهات سموه الجليلة الثمينة » ونص القرار الثاني على إبلاغ مندوب هيئة الأمم ومجلسه الاستشاري رغبة الشعب الطرابلسي في أن يجتمع المجلس الوطني بأقصى سرعة حتى إذا تم وضع دستور البلاد تألفت الحكومة الوطنية في دولة ليبيا المستقلة « وثالثا » إبلاغ سعادة رئيس الادارة البريطانية القائمة في طرابلس رغبة الشعب الطرابلسي العميقة في تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة . « ورابعا » إبلاغ المندوب شكاوى أهل فزان عرقلة الادارة الفرنسية لقرار هيئة الأمم ورجاء المندوب في التوسط للسماح لوفد المؤتمر الوطني بزيارة فزان . « وسادسا » شكر الدول أعضاء الجامعة العربية على مساعدة الشعب الليبي . وفي القرارين الثامن والتاسع مهاجمة لأمين الجامعة العربية واتهام له بأنه يخرج عن سياسة الجامعة العربية . وفي الواقع أن الجامعة العربيه — على نحو ما ذكرنا — وقفت موقف التأييد لاستقلال ليبيا ووحدتها ، وكان للأمين العام فضل لا ينكره الشعب الليبي في توجيه القضية بل ان تأليف هيئة تحرير ليبيا وبيانها الذي نقلناه يحدد الاتجاه للعمل ، ولا نعرف عن الأمين العام خروجاً على هذا التوجيه كما أن هيئة تحرير ليبيا قد التزمته . ولكن السيد بشير السعداوي أو السياسة التي

---

(١) طرابلس الغرب ١٩٥٠/٣/٢٦ .

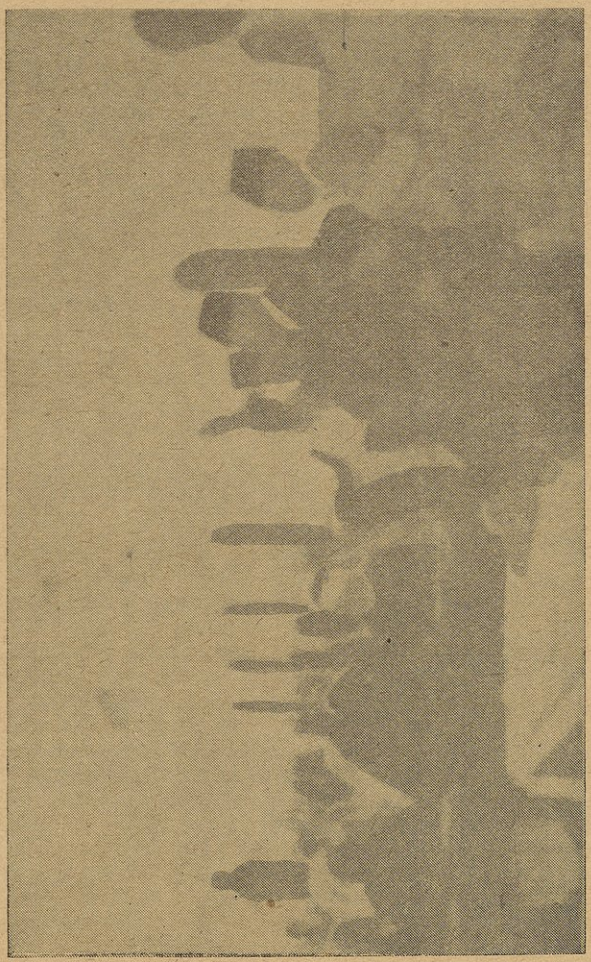

مؤتمر ناجوراه

يدعو لها هى التى ينبغى أن تكون محل التساؤل . وإذا كان لنا أن نخرج من هذين القرارين بشىء فهو أن السيد بشير السعداوى قد اتجه وجهة خاصة به ولم يعد على صلة طيبة بتوجيهات أو سياسة الأمين العام التى هى سياسة الجامعة العربية . ونص القرار الحادى عشر على حل هيئة تحرير ليبيا وهى الهيئة التى اعترفت بها الجامعة العربية وأيدتها ماديا وأدبيا وكان السيد السعداوى يتكلم باسمها إلى حين قريب وقد اعترفت هيئة الأمم المتحدة بتمثيلها للشعب الليبى ، كل هذا لايكفى لإلغائه خروج السيد بشير السعداوى من الهيئة . وتضمنت القرارات الثلاثة الباقية شكر الحكومة المصرية وجامعة فؤاد الأول على إعارة الدكتور فؤاد شكرى والرغبة فى استمرار بقائه ، وأخيرا منحه لقب « مواطن ليبى » بناء على اقتراح سماحة مفتى طرابلس .

ومضى المؤتمر الوطنى فى تأييد الخطة التى وضعتها الادارة البريطانية فتقدم فى أوائل مايو سنة ١٩٥٠ بمشروع للمجلس الادارى لم تأخذ به الادارة فقاطع المؤتمر المجلس ولكنه لم يلبث أن عقد جلسة فوق العادة وأصدر القرار التالى : حيث أن المؤتمر الطرابلسى العام قد أخذ بعين الاعتبار حقيقة أن سلطة وصلاحية المجلس الادارى كما يحددها المنشور العام الذى أصدره رئيس الادارة البريطانية لانشاء مجلس إدارى — تقصر مهمه المجلس الادارى على أن تكون استشارية فى شئون الادارة الداخلية المحضة ولا تخوله أى صلاحية سياسية أو دستورية . لذلك قرر المؤتمر الوطنى العام أنه لا يرى مانعا من أن يقبل أعضاؤه الذين دعوا للعمل كأعضاء بالمجلس الادارى هذه الدعوة على أن يكون ذلك بصفتهم الشخصية فقط لا بوصفهم ممثلين للمؤتمر الوطنى . والمؤتمر عند إجازته هذا القبول لايعنى بحال من الأحوال أن يتحمل مسئولية ما أعطيه المجلس من سلطة وصلاحية[1] .

---

(١) الأهرام ٢٣ / ٥ / ١٩٥٠ .

على أن هـذا المجلس الادارى ما افتتح جلساته - كما سبق - فى ١٥ مايو سنة ١٩٥٠ حتى جاء فى كلمة الافتتاح التى ألقاها رئيس الادارة مايدل على أن المجلس وان لم ينظر بصفة مباشرة فى مسألة التطور الدستورى إلا أنه سوف يستشار فى كل تشريع أوقانون يعتزم رئيس الادارة إصداره . وبرغم مخالفه هذا لبيان المؤتمر الوطنى فقد استمر أعضاوه فى التعاون مع هذا المجلس .

وأيد المؤتمر الوطنى الخطوات التى اتخذها المندوب بالاتفاق مع الادارة فيما يتصل بالتطور الدستورى فى ليبيا ، فكان من أعضائه أغلبية ممثلى طرابلس فى لجنة الواحد والعشرين ، وبانشاء هذه اللجنة ترى الادارة البريطانية أنه قد آن لها أن تغير رجلها فى طرابلس وتتخلص من التزاماتها نحو السيد بشير السعداوى فتقدم الشيخ محمد أبو الاسعاد مفتى طرابلس وتعمل على اختياره بين مندوبى طرابلس وان لم يرشحه المؤتمر الوطنى وتنجح فى تنصيبه رئيسا للجنة الواحد والعشرين ثم للجنة الستين . ويكون ذلك بداية انشقاق السيد بشير السعداوى ومن سايره من أعضاء المؤتمر الوطنى ، ومعارضته لاتجاه المؤتمر الفدرالى وعودته إلى الدعوة إلى وحدة ليبيا . ولعل الأستاذ السعداوى هو وحده الذى يستطيع أن يفسر موقفه الجديد ، فان تطورات الأحداث فى السنوات الأخيرة لم تكن تنبىء به .

على أن المعارضة الطرابلسية القوية البعيدة عن المطاعن هى التى تمثلها الكتلة الوطنية الحرة برياسة السيد على بن الفقيه حسن ، وقد كان هذا الحزب محل اضطهاد مستمر من الادارة البريطانية فهوجم مقره وقبض على رئيسه وعلى عدد من أعضائه واستولى البوليس على وثائقه ، وأبعد سكرتيره من طرابلس : وينادى الحزب باستقلال ليبيا الموحدة (طرابلس وبرقة وفزان) على أن يكون نظام الحكم جمهوريا . وقد نشر السيد على الفقيه حسن بيانا بعد صدور قرار الأمم المتحدة جاء فيه :

١ — بقى علينا نحن الليبيين ألا نغتر بوعود الدول الكبرى وما ترمى إليه من أهداف هدامة فى صرح استقلالنا الشامخ وذلك بما تبذل من أموال كثيرة لطائفة خاسرة عرفت من أول الاحتلال الايطالى بأنها أداة إفساد وتحطيم وتهديم للمشروعات الوطنية التى يسعى لتحقيقها رجال عرفوا بشدة الشكيمة وقوة المراس وصلابة الإرادة والاندفاع المستميت وراء تحقيق الأهداف الوطنية .

٢ — أن هذه الطائفة الخاسرة باعت ضمائرها لدول أجنبية حتى تخدم مصالحها فى الأوساط الشعبية بليبيا وخارجها ، فتراها فى آناء الليل وأطراف النهار تبث الدسائس للتفريق بين زعماء البلاد ورؤسائها والحيلولة دون تطبيق الميثاق القومى الذى ينص على أن شكل الحكم يجب أن يكون جمهوريا فى ليبيا وذلك بما تروجه من أباطيل وأكاذيب وقلب للحقائق وانتصار للباطل ، ووقوف فى سبيل رغبات الأمة من أن الشعب الليبى يرغب فى مبايعة زيد أو بكر أميرا على البلاد أو ملكا عليها ، وأن هذا لهو الأفك المبين .

٣ — أن مايقوم به هولاء الدعاة سماسرة السياسة الأجنبية هو دعايات مغرضة تستند إلى الأباطيل والأفتيات على حقوق الأمة بما يقره جمهور العلماء والوجهاء والسراة من أهل الحل والعقد بالقطر الليبى . ان هولاء السادة أصحاب المكانة الاجتماعية فى الأوساط الليبية لايقرون الا النظام الجمهورى المرتكز على الشورى والمنصوص عليه شرعا وقانوناً .

٤ — وفضلا عن ذلك فان سواد الأمة يريد أن تجرى انتخابات عامة حسب النظم الدستورية المعمول بها فى الولايات المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول الراقية ذات النظام الجمهورى .

٥ — ان الأمة تريد أن يتولى شئونها رجال أحرار لم يدنسوا بخدمات الدول الاستعمارية ومن أصحاب الكفاءات العلمية والمقدرة السياسية على

تسيير دقة الأمور للدولة الليبية الفتية . ان الأمة لا تقر مطلقا أن تسند مناصب الدولة الرفيعة إلى أناس خدموا الاستعمار سابقا ولاحقا وتعاونوا مع دوله على تمزيق أوصال هذا الوطن سياسيا وحربيا .

٦ — والخلاصة أن الأمه جميعا لا تقر تلك الترشيحات الفردية لا تولّى رياسة الدولة الليبية باسم أمير أو ملك بل تريد أمتنا انتخابات حرة تسفر عن اختيار من تتوافر فيه شروط الرياسة والزعامة من جميع النواحى الشرعية والقانونية والوطنية وبذلك تستقر الأحوال وتوضع الأمور فى نصابها ويعطى مالقيصر لقيصر وما لله لله[1] .

وقد ظل الحزب على معارضته لتطور الأمور فى ليبيا فرفض تقديم قائمة مرشحين فى لجنة الواحد والعشرين ورفض أن يشترك أعضاؤه فيها لأنها تهمل النسبة العددية بين سكان المناطق الثلاثة وتسوى بين عدد ممثليها ، ولم يقبل الحزب أخيراً الاعتراف بلجنة الستين .

وموقف هذا الحزب يستلفت النظر بعد تخاذل المعارضة وقبول حزب الاستقلال ترشيح أعضائه فى لجنة الستين ، واشتراك السيد منصور قداره سكرتير هيئة تحرير ليبيا المعارضة للمؤتمر الوطنى فى الوزارة الاتحادية .

* * *

وأما اللجنة الطرابلسية فقد كانت منذ إنشائها عام ١٩٤٣ تعبر عن رأى جمهور المجاهدين الليبيين الذين انتقلوا إلى مصر تحت ضغط الارهاب الايطالى وقد عملت منذ البداية على تنوير الشعب الليبى بمصالحه وعلى الاتصال بالعالم العربى والهيئات الدولية لتوضيح موقف الليبيين من قضيتهم ، وأصدرت

---

(١) الأهرام ١٥ / ١ / ١٩٥٠ .

اللجنة فى ذلك المنشورات والبيانات والمذكرات ونشطت منذ قرار هيئة الأمم فى العمل لتنفيذ هذا القرار ، وكانت دائما تنسق جهودها مع توجيهات الجامعة العربية . وقد أوضحت اللجنة مبادئها فيما يلى :

١ — اعتبار القطر الطرابلسى وحدة لا تتجزأ من حدود مصر إلى حدود تونس ومن البحر الأبيض إلى حدود السودان وهى إذ تعبر بطرابلس فانما تقصد القطر كله بهذه الحدود الطبيعية .

٢ — مناهضة السياسة الاستعمارية .

٣ — العمل على جعل السياسة الطرابلسية جزءاً من سياسة الجامعة العربية .

٤ — المطالبة بالاستقلال التام الناجز والوحدة الشاملة التى لا شرط فيها ولا قيد[١] .

وعملت اللجنة منذ البداية وفى الفترة الأخيرة خاصة على بيان جناية الادارة البريطانية والفرنسية العسكرية فى تعطيل تقدم البلاد ، وفى السعى إلى تمزيق أجزائها ، وتمسكت بحق الشعب الليبى فى أن يكون المرجع الأول والأخير فى تقرير نظام الحكم وشكله على أسس ديموقراطية حرة .

ويمكن أن نلخص اتجاه اللجنة الطرابلسية السياسى من المذكرة التى قدمت إلى مندوب الهيئة عند زيارته لمصر فى فبراير سنة ١٩٥٠ . قالت اللجنة : لقد ابتدعت السياسة البريطانية التقسيم الحالى للأراضى الليبية فأقامت إدارتين مختلفتين فى كل من برقة وطرابلس وتركت للسلطات الفرنسية احتلال فزان وإدارتها ، كما فرقت فى الوضع السياسى بين برقة وطرابلس فاعتبرت الأولى أراضى محررة ، بينما اعتبرت الثانية أراضى محتلة معادية . ثم أخذت السياسة

---

(١) نشرة اللجنة الطرابلسية : نشأتها ، سياستها ، مبادئها ، أعمالها . ص ١٠ .

البريطانية فى تدعيم هذه الفرقة بمنحها التأييد الأدبى والمادى للسيد إدريس السنوسى وهو زعيم دينى يكثر اتباعه فى برقة والواقع أن الدافع لهذه السياسة لم يلبث أن وضح للشعب الليبى الذى تبين فيه محاولة خلق طبقة حاكمة تدين بالسلطة والوجود للقوى المحتلة بحيث تستطيع اعتمادا على تأييد السنوسيه وطاعتها أن توطد لنفسها الأمر ضد الرغبات الوطنية للشعب الليبى وضد أى قرار قد تتخذه الشعوب الحرة الممثلة فى هيئة الأمم المتحدة ، والهيئة التى تشرف الآن على توجيه هـذه السياسه وتحريك هذه الدسائس هى حكومة برقة التى لا هم لها إلا تتويج السيد السنوسى أميرا على ليبيا وتوطيد الأمر للبريطانيين فيها .

وأن اللجنة الطرابلسيه لتطالب بالآتى باسم شعب ليبيا الحرة :

أولا : الاستقلال التام لليبيا كلها بحيث يعتبر أى اتفاق أو وعد ارتبط به السنوسى مع بريطانيا لاغيا لمناقضته لإرادة الشعب وقرار هيئة الأمم المتحدة.

ثانيا : الوحدة الحقيقية للبلاد بحدودها الطبيعيه وتوحيد نظام الحكم والادارة فيها .

وترى اللجنة أن يترك نظام الحكم للشعب يقرره ممثلوه المنتخبون انتخابا حرا .

وقد مضت اللجنة الطرابلسية تحاول كشف المؤامرات التى تحاك للعبث باستقلال ليبيا ووحدتها ، وقدمت فى ذلك المذكرات إلى الجامعة العربية ومجلس ليبيا الدولى وأصدرت البيـانات تعلن معارضة السياسة الانفصالية وهذه خلاصة موقفها من التطورات الأخيرة :

١ — المطالبة بالوحدة الاندماجية التى لا تقسيم فيها ولا فوارق .

٢ — المطالبة ببطلان مساواة طرابلس ببرقة وفزان فى عـــدد أعضاء الهيئة التحضيرية وفى كل هيئة تمثل الشعب .

٣ — المطالبة بجعل الانتخابات على النسبة العددية لجميع أفراد الشعب باعتبار الشعب وحدة لا تتجزأ .

٤ — المطالبة بإعطاء الشعب حرية الاختيار ، يختار ما شاء من أنواع الحكم ومن شاء لرياسة الحكومة والحكم فى ذلك للأكثرية .

٥ — عدم الاعتراف بصلاحية النظام القائم فى برقة لتحقيق الوحدة الاندماجية التى يطالب بها الطرابلسيون لأنه حكم بنى على الفوارق ولم يوخذ فيه رأى الطرابلسيين .

٦ — عدم الاعتراف بما بين السيد السنوسى ودول أوربا من الالتزامات والمعاهدات لأنها التزامات ومعاهدات من طرف واحد[١] .

(٤)

وعلى هذا النحو مضى العام الأول على قرار الأمم المتحده ، فسيطرت بريطانيا وفرنسا على تطوراب الأحوال وعزلت مجلس ليبيا الدولى وعرقلت أعماله ، واحتضنت مندوب الأمم المتحدة فكان أداتها المنفذة ، وفرقت بين أهل البلاد فقربت من يتابع سياستها واضطهدت من عارضها ، ووضحت الخطة المبيتة فسارت بالبلاد نحو التقسيم تحت شعار الفدرالية التى تضمن لها بقاء نفوذها واستمرار قواعدها فى البر والبحر والجو وهكذا ماحلت الدوره الخامسة للجمعية العامة للأمم المتحدة حتى كانت قضية ليبيا تلخص فى كلمتين : الوحدة أم الفدرالية .

نوقشت التقارير الثلاثة المقدمة من مندوب الأمم المتحدة ودولتى الادارة

---

(١) مذكرة مرفوعة إلى مجلس هيئة الأمم المتحدة بليبيا . يونيه سنة ١٩٥٠ ص ٩ .

فى اللجنة السياسية الخاصة للأمم المتحدة فاستغرقت عشر جلسات من ٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ إلى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٠ . وقد وضح موقف الدول فيها فى الدورة الخامسة للهيئة كما كان فى دورتيها السابقتين . فوقفت الدول العربية والآسيوية وكتلة الدول الشرقية فى جانب ووقفت بريطانيا وفرنسا وأمريكا والدول التى تدور فى فلكها فى جانب آخر . وحاولت هذه الدول الأخيرة أن تحول بين مندوب مصر فى مجلس ليبيا الدولى وهو فى نفس الوقت رئيس المجلس فى شهرى سبتمبر وأكتوبر والمفوض منه فى جلسة ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٠ للتحدث باسمه أمام الأمم المتحدة ، وبين أن يشترك فى المناقشة خشية أن يفضح التصدع الذى أصيب به المجلس من جراء الاطماع الاستعمارية وخضوع مندوب الأمم المتحدة لسياسة الدول الاستعمارية . ولكن المناقشة انتهت بالسماح لكامل سليم بك بحضور جلسات اللجنة .

افتتح مستر بلت المناقشة فكان مما قاله « يحسن لتحقيق وحدة ليبيا الجمع بين فكرة الدوله الموحدة مع نظام حكومى من طراز فدرالى يأخذ بنظر الاعتبار الظروف السياسية والجغرافية والتقاليد المرعية فى البلاد . ويتوقف شكل الدولة المقبلة على قرارات الجمعية الوطنية فى بعض المشاكل الجوهرية . ومع ذلك فان فكرة الدولة الليبية المستقلة الموحدة الاسلامية تلقى الضار مطّردى الزيادة (١) .

وقال مندوب بريطانيا (Jebb) أن المشكلة الرئيسية هى كيف تصل ليبيا وهى بلاد واسعة قاحله إلى توازن اقتصادى ، أما تقرير شكل الدولة الليبية الفتية فأمر متروك لليبيين يختارون بعين الدولة الموحدة والفدرالية . وكيف يستقل الليبيون فى أول يناير سنة ١٩٥٢ مع نقص الاداريين الأكفاء

---

(١) Nations Unies: Assemblee Generale, 5e Session, Commission politiqre speciale A/A C. 38/ SR.7

ووجود الأقليات الهامة والاختلاف البين بين سكان الأقاليم الثلاثة . وقال ان ما أنشىء فى برقة ليس جيشا وإنما هو حرس للأمير ، وأن أهل طرابلس لا يريدون إجراء انتخابات . وإن الاداره البريطانيـة لا تتهم بفرض الانفصالية لأن الاتجاه الفدرالى يعبر عن إرادة سكان برقة وفزان واختلف فيه الطرابلسيون . وهذا كله يدعو إلى التساؤل عن مقدرة شعب ليبيا (١) .

وقال مندوب فرنسا (De Murville) أن النظام الذى أنشىء فى فزان كان بمشاورة الأهالى واتفاقهم . وإن فرنسا غير مسئولة عن أعمال لجنة الواحد والعشرين واقتراحاتها عن الجمعية الوطنية وإن ذلك تم على يد مندوب الأمم المتحدة . وإن إلحاق منطقتى غدامس وغات بتونس والجزائر تمليه اعتبارات إدارية ، ولأن أهل البلاد من التوارق رفضوا الاشتراك فى انتخاب رئيس المنطقه (٢) .

وقال مندوب الولايات المتحدة (Gross) إن إنشاء دولة ليبيه موحدة يتعارض مع قرار الأمم المتحدة فى نصه وروحه ، لأن القرار لم يتعرض لشكل الحكومة وإنما ترك لليبيين تقريره . وقد احترم مندوب الأمم المتحدة هذا القرار وإن الولايات المتحدة التى جاهدت فى سبيل استقلالها تريد أن ترى فى ليبيا دولة مستقرة تحترم الحريات الأساسية للشعب وتبعد عن كل نفوذ أجنبى (٣) .

وافتتح مندوب الاتحـاد السوفييتى (Aroutiounia$_n$) حملة المعارضة فقال انه برغم الاختلافات الطفيفة فان ليبيا بلد واحد . وقد عملت فرنسا وبريطانيا على تقسيمها ، وتحويل الأجهزة الادارية إلى حكومات صورية .

---

(1) A/AC 38 /SR · 11

(2) A / AC /38 / SR 15

(3) A/ AC 38 / SR 15

فاعترفت بريطانيا بالسيد السنوسى أميراً على برقة وانشأت جيشا تحت قيادة البريطانيين يشبه الجيش العربى فى شرق الأردن، وتابعت بريطانيا هذه السياسة فى طرابلس . واعترفت فرنسا بأحمد بك سيف النصر رئيسا لمنطقة فزان . وقد رمت بريطانيا وفرنسا بهذه السياسة الاستعمارية إلى إعاقة انشاء دولة موحدة فى ليبيا خوفا من امتداد حركة الاستقلال إلى مستعمراتها المجاورة ويرى الاتحاد السوفيتى ان الحل الوحيد للمشكلة هو انشاء دولة ليبية موحدة تتمتع بسلطاتها التنفيذية والتشريعية الخاصة .. وأن تأليف لجنة الواحد والعشرين على أساس المساواة بين المناطق الثلاث تقسيم صريح للبلاد . وينبغى أن يكون التمثيل على أساس النسبة العددية . وأن تكون الجمعية الوطنية منتخبة . وعلى الأمم المتحدة أن تتدخل لتمتع تأثير إدارات الاحتلال أما مندوب الأمم المتحدة فيبدو أنه ترك للسلطات الادارة حرية التصرف وانتهاج سياسة انفصالية برغم اعتراض بعض أعضاء المجلس الدولى . ولا يمكن أن تشتغل ليبيا إلا إذا انسحبت القوات الأجنبية وصفيت القواعد الحربية . ان بريطانيا وفرنسا تحاولان استخدام ليبيا قاعدة حربية لتحقيق أهدافهما السياسية والحربية والاستراتيجية فى حوض البحر الأبيض وافريقيا والمحافظة على امتيازاتهما البترولية ووجود القواعد الحربية وقوات الاحتلال بجوار مصر وغيرها من بلاد الشرق الأدنى يسمح لبريطانيا وفرنسا بالضغط على هذه البلاد وابقائها دائماً فريسة التهديد(١) .

وتكلم مندوب الباكستان (السيد تفضل على) فقال ان ادارات الاحتلال لم تتخذ أية خطوة هامة فى سبيل نقل السلطة إلى حكومة مولفة على أساس سليم . بل على العكس أقامت بريطانيا حكومة ذاتية فى برقة

---

(١) A/A C. 38/S. R. G.

وأقامت فرنسا مثلها فى فزان فاعترف مندوب الأمم المتحدة بالأمر الواقع وفى حالة فزان ألحقت أجزاء من ليبيا بسلطات خارجة عن حدودها . ومهما تكن الدوافع لتصرفات ادارات الاحتلال فقد كانت نتيجتها تشجيع الاتجاهات الانفصالية . وإذا كانت الضرورة قد أملت المساواة فى تمثيل المناطق فى لجنة الواحد والعشرين فليس هناك ما يبرر المساواة فى التمثيل فى الجمعية الوطنية . أن الفقرة العاشرة من قرار الأمم المتحدة تملى على إدارتى الاحتلال أن تعمل على نقل السلطة بأسرع مايمكن ومع ذلك فقد مر عام دون أن تؤلف الجمعية الوطنية ويرى وفد الباكستان أن لايدخر جهدٌ فى ذلك حتى لاتمس سمعة الأمم المتحدة (١) .

وهاجم مندوب سوريا (السيد فريد زين الدين) الادارتين البريطانية والفرنسية لوضعهما العقبات فى حرية المرور بين الأقاليم الثلاثة ، ولإلحاق أجزاء من فزان إداريا بتونس الجزائر ووجود عملات ثلاث فى البلاد . وانتقد مندوب الأمم المتحدة فى اعتقاده أن دولتى الادارة لها مطلق الحرية حتى أول يناير سنة ١٩٥٢ وقال أن أعمال المجلس الدولى عطلت لأن بريطانيا وفرنسا ضيعتا عدة أشهر قبل تعيين مندوبيهما فيه . وقال أن السوابق التاريخية فى الهند والباكستان واندونسيا وسوريا نفسها تدل على أن الخطوة الأولى نحو استقلالها كانت بإنشاء حكومة مؤقتة تقوم بدعوة جمعية وطنية تضع الدستور وتختار حكومة دائمة (٢) .

وتكلم مندوب مصر (الدكتور محمد صلاح الدين بك) فأكد أن الطريقة السليمة لتحقيق وحدة ليبيا تقوم على اعداد جمعيـــة وطنية ليبية مؤلفة على أساس النسبة العددية للسكان . ومبدأ المساواة فى التمثيل الذى أقرته لجنة

---

(١) A/A. C. 38/ SR. 12

(٢) A/A. C. 38 / SR. 12

الواحد والعشرين يتنافى مع المنطق السليم فإنه يمكن ثلث السكان أى برقة وفزان من التحكم فى مصائر الثلثين أى طرابلس. وذلك يناقض مبدأ الوحدة الذى وضعه قرار الجمعية العامة . وقال أنه من الغريب أن لجنة الواحد والعشرين أرادت الحصول على موافقة كل من المناطق الثلاث وأجلت أعمالها بغياب مندوبى فزان ، فإن ذلك معناه حق النقض لفزان . والحل الديموقراطى الوحيد هو نظام التمثيل النسبى وعلى الأمم المتحـــدة أن تتحرى الحلول الديموقراطية والبحث عن سواها خطأ فاحش (١) .

وقد انتهت المناقشة فى اللجنة السياسية الخاصة بأن تقدمت الوفود المختلفة بثلاثة مشروعات قرارات :

الأول : مشروع القرار السوفيتى وينص على نقطتين (ا) توحيد مناطق ليبيا : برقه وطرابلس وفزان فى دولة واحدة وإنشاء سلطات تنفيذية وتشريعية خاصة بليبيا . (ب) سحب القوات الحربية الأجنبية فى مدى ثلاثة أشهر وتصفية القواعد الحربية الموجودة فى البلاد .

الثانى : مشروع قرار تقدمت به وكندا وشيلى وا كوادور واليونان وينص على (ا) استمرار دولتى الادارة فى جهودها بالتعاون مع المندوب لتكوين نظم حكومية فى ليبيا تتفق مع رغبات السكان بطريقة تسهل إنشاء دولة ليبيا المستقلة ذات السيادة فى أقرب فرصة وأقصاها أول يناير سنة ١٩٥٢ (ب) دعوة المجلس الاقتصادى والاجتماعى إلى تقديم المساعدة الفنية والمالية لليبيا لإنشاء نظام إدارى سليم واقتصاد مستقر . (حـ) قبول ليبيا عضوا فى الأمم المتحدة بعد إنشاء دولتها المستقلة (٢) .

---

(١) A/AC. 38/SR. 12

(٢) A/ AC. 38/ L. 12

الثالث : مشروع قرار الدولة العربية السعودية ومصر وأندونسيا والعراق وباكستان وسوريا ولبنان واليمن وينص على (١) دعوة السلطات ذات الشأن إلى الاسراع بتطبيق قرار الأمم المتحدة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ وخاصة لصيانة وحدة ليبيا ونقل السلطات قريبا إلى حكومة ليبية مستقلة (ب) دعوة جمعية وطنية تمثل أهالى البلاد تمثيلا صحيحا إلى الاجتماع فى موعد أقصاه أول يناير سنة ١٩٥١ وتنشىء الجمعية الوطنية حكومة مؤقتة مسئولة أمامها تنتقل إليها السلطات التى فى أيدى دولتى الادارة وتنشأ الحكومة المؤقتة فى موعد أقصاه أول مارس سنة ١٩٥١ (١) .

وقد استطاعت الدول الصديقة لليبيا أن تعمل على ادماج المشروعين الثانى والثالث فى مشروع موحد لتضمن تصديق الجمعية العامة عليه فتم لها ذلك فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٥٠ وتقدمت اللجنة السياسية الخاصة إلى الجمعية العامة بمشروعى القرارين السوفيتى ومشروع الكتلة العربية والآسيوية ودول المشروع الثانى السابق .

* * *

ناقشت الجمعية العامة للأمم المتحدة قضية ليبيا ومشروعى القرارين يومى ١٦و١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ (جلسات ٣٠٥ إلى ٣٠٨) ودارت المناقشة حول نقط ثلاث : (١) تأليف الجمعية الوطنية الليبية بعد قرار لجنة الواحد والعشرين . (ب) مراحل تأسيس الحكومة الليبية الجديدة (ج) صيانة وحدة البلاد .

قال مندوب لبنان (فؤاد عمون) أن تأليف الجمعية الوطنية على النحو الذى اقترحته لجنة الواحد والعشرين من تعيين الممثلين ومساواة الأقاليم فى

---

(١) A AC . 38 L 13

التمثيل لايحقق التمثيل الصحيح لأهالى ليبيا ، وإذا وضعت مثل هـذه الجمعية دستور ليبيا كان ذلك فضيحة للأمم المتحدة ، ولـكن لا بأس بأن تعتبر هذه الهيئة جمعية تأسيسية تعد دستوراً يقره شعب ليبيا أو نوابه المنتخبون . وقد أيد مندوبو العراق وسلفادور وسوريا وباكستان ومصر مندوب لبنان حين اقترح دعوة ممثل الأمم المتحدة ليؤكد ضرورة إقرار الدستور الليبى بطريقة ديموقراطية وأن تـكون الجمعية الوطنية ممثلة تمثيلا صحيحا للشعب وإن الجمعية الحالية ليست إلا هيئة عليها اعداد النصوص فقط .

أما مندوب الولايات المتحدة فقد رجا أن تعمد الجمعية الوطنية بوصفها الحالى إلى حـكومة قائمة على الأسس الديموقراطية المناسبة لليبيا . وقال مندوب الاتحاد السوفيتى أن الطريقة التى أنشئت بها لجنة الستين دليل جديد على تشجيع دولتى الادارة لتقسيم ليبيا وعرقلة وحدة البلاد واستقلالها .

وعند مناقشة مراحل تأسيس الحـكومة الجديدة حاول مندوب مصر (وحيد رأفت بك) أن تنص الجمعية العامة فى قرارها على انتخاب الجمعية العامة فى قرارها على انتخاب الجمعية الوطنية ولـكن مستر بلت قال أنه يستحيل إجراء انتخابات قبل يناير سنة ١٩٥١ فحاول مندوب سلفادور تأجيل موعدها شهرين ولـكن مندوب اليونان قال أن مشروع اللجنة السياسية الخاصة كان نتيجة اتفاق ومساومة ويخشى أن يجر تعديله إلى تخلى الأعضاء عن تأييده ، ورفض مندوب الولايات المتحدة وبريطانيا إدخال تعديل على المشروع وقال مندوب فرنسا أن القانون الدستورى يقر اقتراح لجنة الواحد والعشرين . أما المندوب السوفيتى فقال انه لا يستطيع أن يؤيد المساومة على حساب مصالح الشعوب وان الجمعية العامة لا مندوب الأمم المتحدة هى التى تقرر طبيعة الجمعية الوطنية .

وأما عن صيانة وحدة ليبيا فقد ذكر مندوب لبنان أن قرار الأمم المتحدة

يتضمن وحدة البلاد وأن قبول المندوب لمبدأ المساواة فى التمثيل فيه اعتراف بمبدأ الفدرالية وقال أن مناطق ليبيا أقسام إدارية وليست دولا وليس لها أية صلة بالوضع القانونى الحقيقى للبلاد . وقال مندوب مصر أن ليبيا كانت دائما موحدة أيام الحكم العثمانى والاحتلال الايطالى . وطالب المندوب السوفيتى بأن يكون قرار الأمم المتحدة واضحا صريحا فى النص على وحدة ليبيا وتخليصها من سيطرة الدول الاستعمارية .

وقد اقترحت الجمعية العامة على مشروع القرار السوفيتى فرفضته ووافقت بأغلبية ٥٠ صوتا وامتناع ستة على القرار التالى : -

الجمعية العامة:

بناء على قرارها فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ بأن تكون ليبيا دولة موحدة مستقلة ذات سيادة ،

وبعد الاطلاع على تقرير مندوب الأمم المتحدة فى ليبيا المعد بمشاورة مجلس ليبيا ، وعلى تقريرى دولتى الادارة ، المقدمة إلى الجمعية العامة وفقا لقرارها السالف ، وعلى التصريحات التى أدلى بها مندوب الأمم المتحدة وممثلو مجلس ليبيا .

وبعد ملاحظتها - خاصة - أن مندوب الأمم المتحدة قد عبر عن أمله القوى فى الوصول إلى الهدف الذى ترمى إليه الجمعية العامة أى تكوين حكومة مستقلة ذات سيادة فى ليبيا ، فى الموعد المقرر مع المعاونة المطردة من دولتى الادارة مع مندوب الأمم المتحدة وتوجيه مجهودات لهذا الغرض ،

وبعد الاطلاع على تصريحات مندوب الأمم المتحدة فى تقريره السالف الذكر من أنه يجب تقديم المعونة الفنية والمالية لليبيا قبل الاستقلال وبعده أيضا إذا طلبت الحكومة الليبية عونا من هذا النوع ،

١ - تعبر عن أملها القوى فى أن يقوم مندوب الأمم المتحدة بمعاونة

ومشاورة أعضاء مجلس ليبيا . باتخاذ الاجراءات اللازمه لأداء واجبه فيما يتصل بتحقيق استقلال ليبيا ووحدتها وفق القرار المذكور آنفا .

٢ - تدعو السلطات ذات الشأن إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة لتطبيق قرار ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ تطبيقا سريعا متكاملا فعليا وخاصة لتحقيق وحدة ليبيا ونقل السلطات إلى حكومة ليبية مستقلة .

ومن جهه أخرى :

٣ - توصى:

(ا) بدعوة جمعية وطنية تمثل سكان ليبيا تمثيلا صحيحا إلى الانعقاد بأسرع مايمكن وعلى أية حال قبل أول يناير سنة ١٩٥١ .

(ب) وأن تؤلف هذه الجمعية بأسرع مايمكن حكومة مؤقتة لليبيا فى موعد أقصاه أول أبريل سنه ١٩٥١ .

(حـ) وأن تنقل دولتا الادارة سلطاتها تدريجا إلى الحكومة المؤقتة بحيث تنقل جميع السلطات التى تمارسا حاليا منذ الآن إلى أول يناير سنه ١٩٥٢ إلى الحكومه الشرعية فى ليبيا .

(د) وإن يحدد مندوب الأمم المتحدة بمعونة ومشاورة مجلس ليبيا وبالاتفاق مع دولتى الادارة طريقه نقـــل السلطات المذكورة فى الفقرة (حـ) السالفة

٤ - تدعو فورا المجلس الاقتصادى والاجتماعى والمؤسسات الخاصه والسكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة إلى إمداد ليبيا بكل ما فى استطاعتهم بالمعونة الفنية والمالية التى تطلبها لخلق الظروف الضرورية لتقدم البلاد الاقتصادى والاجتماعى .

٥ - توصى من جديد بأنه حين تصبح ليبيا دولة مستقلة فإنها تقبل عضوا فى هيئة الأمم المتحدة وفقا للبند الرابع من الميثاق (١) .

---

(١) V / 1528

ختام

الموقف الآن

رسم قرار الجمعية العامة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ الخطة التى ينبغى أن تنهج لابلاغ ليبيا استقلالها فى أول يناير سنة ١٩٥٢ ، فنص على قيام حكومة واحدة مؤقتة ، وتأليف جمعية وطنية تمثل السكان تمثيلا صحيحا ، ونص صراحة على ضرورة صيانة وحدة البلاد .

وقد أدلى مستر بلت أمام الجمعية العامة فى جلسة ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ بالتصريح التالى الذى يحمل خطة العمل لتنفيذ قرار الجمعية العامة قال :

« لاحظت ـ باهتمام زائد ـ عند أصغائى إلى الخطباء المختلفين ـ اتجاها إلى نقد إنشاء وتكوين الجمعية الوطنية التى سوف تجتمع ابتداء من ٢٥ نوفمبر أى قبل الموعد الذى يحدده مشروع القرار المقدم إلى الجمعية العامة بخمسة أسابيع ، وتتلخص هذه الانتقادات فى نقطتين :

الأولى : ان الجمعية الوطنية مؤلفة من أعضاء معينين لا منتخبين .

الثانية : المساواة فى تمثيل المناطق الثلاث فى الجمعية الوطنية برغم الاختلافات المحسوسة فى عدد سكان كل منها .

ولما كنت قد أوضحت فى تقريرى إلى الجمعية العامة الذى أعددته بمشاورة مجلس ليبيا ، الأسباب والظروف التى جعلت الجمعية الوطنية بحالتها الراهنة ، والسبب فى أنها لم تجتمع حتى الآن ، فإنى أرى أنى أضيع وقت الجمعية العامة إذا دخلت فى تفصيلات الأمر من جديد ، ولكنى أقرر أنه إذا كان أعضاء الجمعية الوطنية قد عينوا ولم ينتخبوا فإن ذلك كان على عكس ما أرى ، وأن المساواه فى التمثيل بين المناطق الثلاث قد فرضت فرضا فإن

برقه وفزان جعلا المساواة فى التمثيل شرطاً لازماً لاشتراكهما فى لجنة الواحد والعشرين التحضيرية وفى الجمعية الوطنية ، وما كان يمكن لهاتين الهيئتين أن تجتمعا إذا لم تقبل هذه الشروط ، وما كانت الخطوة الأولى ، الخطوة الحاسمة ، نحو وحدة ليبيا تتم . وأظن أنى أعبر بوضوح فيما يختص بى إذا قلت انى لا أميل إلى فكرة الجمعية المعينة ولا إلى المساواة فى التمثيل بصورة دائمة ، بل أقرر أنه ليس من المرغوب فيه ، بل على العكس ، من الضار ، أن يكون لدستور ليبيا المقبل هاتان الخاصتان .

وأعتقد فيما يتصل بالجمعية الوطنية التى تجتمع فى ٢٥ نوفمبر أن من واجبى أن أصر صرح بأنها ما دامت تتألف من أعضاء معينين لا منتخبين فإنى أشك كل الشك فى أن يكون لها السلطة الأدبية والسياسية الضرورية لوضع الدستور النهائى .

لقد كنت دائما أنظر إلى مستقبل ليبيا على أنه مستقبل دولة ديموقراطية ولذلك فان برلمان ليبيا المستقل يجدر به أن يكون جمعية منتخبة من مجموع سكان ليبيا . ومع ذلك يجب أن ننظر إلى الوضع كما هو ، فإن ليبيا تنقسم — لأسباب تاريخية وجغرافية — إلى مناطق ثلاث رغم اشتراكها فى أمور كثيرة — هى أكثر مما يجب لإنشاء دولة موحدة — فإن لها خصائصها الذاتية كما أن لسكان كل منها آراء ومصالح خاصة يتعلقون بها وينوون المحافظة عليها ، وهذا يصدق خاصة على برقة وفزان . وهذه المشكلة ليست جديدة فهى قائمة فى بلاد أخرى وقد استطاع كثير من البلاد حلها واعتقد أنه يمكن حلها فى ليبيا .

وقد أثارت نقطة ثالثة فى اللجنة السياسية الخاصة انتقادات لا أرى لها وجها ، وهى أن الحكومة المؤقتة لن تكون مسئولة أمام الجمعية الوطنية .

وقد قلت فى اللجنة انى لا أوافق على مسئولية الحكومة المؤقتة أمام الجمعية الوطنية لسبب بسيط عملى هو انه إذا كانت الحكومة المؤقتة مسئولة أمام الجمعية الوطنية فإنه يستحيل عمليا فى الفترة القصيرة التى أمامنا إعداد الدولة الجديدة للاستقلال . ولا يعنى ذلك أن الدستور النهائى ينص على عدم مسئولية حكومة ليبيا أمام برلمانها بل أرى على العكس ان مبدأ المسئولية خاصة جوهرية لكل دولة ديموقراطية .

لهذه الأسباب فى نيتى عند عودتى إلى ليبيا أن اقترح على المجلس تقديم التوصيات التالية إلى الجمعية الوطنية الليبية والشعب الليبى :

(أولا) ينبغى اعتبار الدستور الذى تقره الجمعيه الوطنية دستورا موقتاً يجب إقراره نهائيا أو تعديله بواسطة برلمان منتخب عن مجموع سكان ليبيا . وحتى إذا استنفد ذلك بعض الوقت فإنى اعتقد أن هذا الاحتياط لابد منه إذا أردنا أن تقوم دولة ليبيا على أساس سياسى مستقر .

(ثانياً) رغبة فى التوفيق بين الاتجاهين الموجودين فى البلاد أى الاتجاه إلى الوحدة من جانب والاتجاه إلى الذاتية الاقليمية ، يحسن أن يشتمل البرلمان على مجلسين : مجلس شيوخ يتألف من عدد صغير من الممثلين المنتخبين فى المناطق الثلاث على أساس المساواة ، ومجلس نواب تنتخبه البلاد جميعها وأرى أن يختص مجلس النواب بجانب اختصاصاته الأخرى ، بالنظر فى الأمور المتصلة بالميزانية .

(ثالثا) يجب أن تكون حكومة ليبيا مسئولة أمام مجلس النواب(١) .

* * *

على أن الأحداث توالت سريعاً فى ليبيا ، فلم يمض أسبوع على قرار

---

(١) A/ PV. 306

الأمم المتحدة الجديد حتى اجتمعت الجمعية التأسيسية أو لجنة الستين يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ فى طرابلس برياسة الشيخ محمد أبو الاسعاد العالم مفتى طرابلس وقررت على الأثر إرسال برقية إلى السيد ادريس السنوسى أمير برقة تدعوه إلى أن يصبح ملكا على ليبيا ، وقد قبل السيد إدريس السنوسى هذه الدعوة على الفور . وفى ٢ ديسمبر أعلنت الجمعية التأسيسية :

(ا) ان ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة .

(ب) دستور ليبيا ديموقراطى ونظامها فدرالى .

(ﻫ) ان السيد ادريس السنوسى ملك ليبيا .

(ى) ان الجمعية التأسيسية هى وحدها صاحبة الحق فى وضع دستور ليبيا وألفت لجنة لوضع الدستور اختير المفتى رئيسا دائما لها . وأعلنت الجمعية التأسيسية ان يوم ٥ ديسمبر عطلة رسمية فى الأقاليم الثلاثة احتفالا بتنصيب السنوسى ملكا على ليبيا .

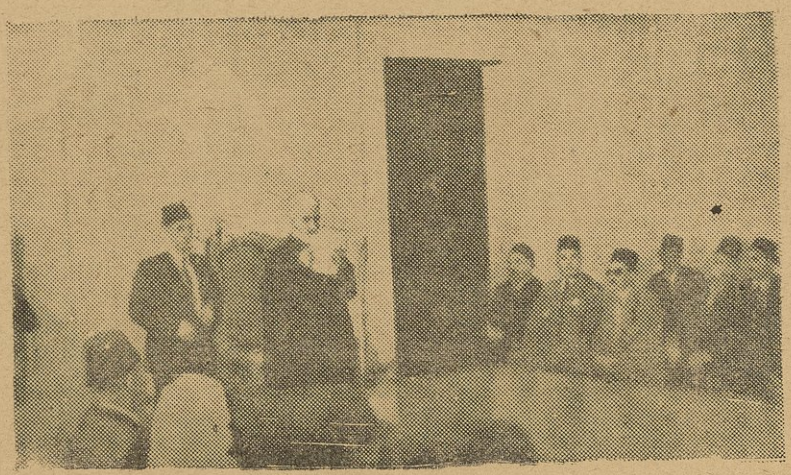

مفتى طرابلس يلقى خطبة افتتاح الجمعية التأسيسية

على أن السيد ادريس لم يلبث ـ استجابة لنصيحة بريطانية ـ أن بعث إلى

رئيس الجمعية التأسيسية رسالة أعرب فيها عن استعداده التام لقبول دعوة الجمعية ليكون ملكا على ليبيا ، ولكنه يؤثر تأجيل المناداة به ملكا بصفة رسمية إلى مابعد وصول الخطوات السياسية والادارية والدستورية إلى المرحلة التي يستطيع فيها مباشرة سلطاته الملكية .

وبرغم ذلك فقد أخذ السيد السنوسى يمارس سلطاته كملك بطريقة غير مباشرة ، فتباحث مع الجمعية التأسيسية والادارة البريطانية لإعلان حكومة محلية مؤقته فى طرابلس برياسه السيد محمود منتصر ، وقد أعلنت هذه الحكومه فى ٨ مارس سنه ١٥٩١ وتولى السيد منتصر الرياسة ووزارات الداخلية والمعارف والعدل وتولى منصور قداره المالية ومحمود المليت الأشغال وابراهيم بن شعبان المواصلات وسليم النادى الزراعه ، وأعلن رئيس الحكومه أنه سينتهج سياسة متفقة مع سياسة حكومتى برقه وفزان لضمان ارتباط الأقسام الثلاثة .

وفى ٢٧ مارس سنه ١٩٥١ طار رئيس الجمعية التأسيسية إلى بنغازى للتشاور مع السيد السنوسى لتأليف حكومة ليبية فدرلية ، وفى ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ أصدرت الجمعية التأسيسية قرارا بتأليف الحكومة الاتحادية الليبية المؤقتة برياسة السيد محمود منتصر وعضوية وزيرين طرابلسيين آخرين ووزيرين برقاويين ووزير فزانى واحد . وقد عدل القرار فى ١٧ أبريل وأصبحت الحكومه الاتحادية تتألف من السيد محمود منتصر رئيسا ووزيرا للمعارف ومنصور قدارة للمالية وابراهيم بن شعبان للمواصلات وعن برقه السيد على الجربى للخارجية والعدل وعمر شنيب للدفاع وعن فزان محمد ابن عثمان للصحة العمومية .

وفى ١٣ أبريل سنة ١٩٥١ وصل أعضاء الحكومه الاتحادية ومعهم رئيس الجمعية التأسيسية إلى بنغازى وقابلوا جلالة الملك السنوسى وأعلنوا

اغتباطهم لزيارته طرابلس ، وقد تمت هذه الزيارة فى ١٩ مايو سنه ١٩٥١ ونقلت وكالة الأنباء العربية خطابا وجهه السيد إدريس فى طرابلس قال فيه :

السيد السنوسى فى زيارة طرابلس الأخيرة وبجانبه محمود بك منتصر

« ان النظام الفدرالى تقرر بواسطة جمعية تأسيسية وطنية تألفت طبقا لقرار الأمم المتحدة وبموافقة المجلس الاستشارى لليبيا ، وبعد مشاورات قام بها أدريان بلت مندوب الأمم المتحدة مع زعماء الأقطار الثلاثه . ان النظام الفدرالى ليس بدعة كما يتصور بعض الناس وليست ليبيا هى أول أمة تختاره . ان بعض الأقطار التى حملت على هـذا النظام فعلت ذلك لأنها لم تستوف المعلومات عن المركز الحقيقى فى ليبيا وأمانى شعبها ، وليس لدينا أى شك فى أن أهل ليبيا خبر من يعرف أين تكون مصلحتهم . ونرجو أن تتولى الحكومة المؤقتة الراهنة فى ليبيا إجراء الانتخابات العامة بأسرع مايمكن وفقا لنصوص الدستور لكى يتسنى نقل السلطة فى أقرب فرصة ممكنة من الدولتين اللتين تتوليان الادارة الآن إلى الحكومه الجديدة » (١)

(١) الاهرام ٣١/٥/ ١٩٥١

واضح أن هذه التطورات الأخيرة تتنافى مع قرار الأمم المتحدة وتعهدات المندوب أمام الجمعية العامة ، وقد انفرد مستر بلت بالعمل مرة أخرى وظهر من جديد تصدع مجلس ليبيا ، فبعد عطلة دامت ثلاثة أشهر عاد المجلس إلى الاجتماع فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ ثم أجل إجتماعاته شهراً حين عارض مندوبو مصر وباكستان وطرابلس الأوضاع القائمة ، ثم عاد المجلس فأجل جلساته إلى ١٥ يوليو بعد تفاقم الخلاف .

وقد ظهر فى إجتماعات المجلس أن مندوبى بريطانيا وفرنسا وأمريكا يؤيدون النظام الفدرالى ، ويعترفون بأن الجمعية التأسيسية هيئة ذات كفاية أنشئت بطريقة قانونية . وذكر المندوب البريطانى أن تجريح الجمعية بعد إنشائها مضيعة للوقت فى غير ضرورة .

وكانت معارضة مندوبى مصر وباكستان وطرابلس تتلخص - كما عرضها كامل سليم بك مندوب مصر - فى النقط الآتية :

(ا) إن لجنة الواحد والعشرين تعدت مهمتها التى هى ايجاد جمعية وطنية تمثل سكان برقة وطرابلس وفزان تمثيلا صادقا ديمقراطيا ، بأن قررت أن تكون الأغلبية فيها بالثلثين وأن يكون النصاب القانونى ١٥ عضوا رغبة فى ضمان عدم اتخاذ أى قرار لا يؤيده البرقاويون والفزانيون وهم أقل من ثلث ليبيا مما لا يتفق مع قرارات الجمعية العامة . وأن لجنة الواحد والعشرين اختارت عامدة متعمدة حلول غير الدمقراطية واغتصبت لنفسها حق تنفيذها كأنها هيئة تنفيذية ، وقد ضربت صفحا عن الشروط التى تقضى بأن تقوم بوضع خطة يدرسها المجلس والمندوب للتحقق من تمثيل السكان تمثيلا صادقا فى الجمعية الوطنية كما تقضى باتخاذ المندوب مع الدولتين المسئولتين عن الادارة جراءات إقامة الجمعية الوطنية . ورفضت اللجنة فضلا عن ذلك أن تكون السلطة التى تتولى تعيين الأعضاء العشرين الطرابلسيين فى الجمعية الوطنية من

اختصاص مندوب الأمم المتحدة ومجلس ليبيا ، واختارت أن يقوم المفتى بهذا التعيين فى حين أنه العضو الوحيد فى اللجنة الذى لم يختره ولم يؤيده أى حزب بل رشحته الادارة البريطانية وهكذا رفعته اللجنة بمنحه سلطة احتيار الطرابلسيين العشرين إلى صف سمو السنوسى ملك ليبيا المقبل وقد اختار أولئك الأعضاء بمشورة الإدارة البريطانية وبأغلبية عضوين فقط من ستة .

(ب) أن لجنة الستين التى يطلق عليها بغير حق اسم الجمعية الوطنية . هيئة غير شرعية لأنها قامت بطريق التعيين وبنسبة التساوى بين الأقاليم الثلاثة مع الاختلاف الكبير فى عدد سكان كل منها ، فهى أقرب إلى تمثيل الحكام لا السكان ، وليست هى الجمعية التى نصّ عليها قرار الأمم المتحدة . وقد خالفت لجنة الستين قرار الأمم المتحدة وتحدت مجلس ليبيا الدولى بتقريرها إقامة حكومتين فى كل طرابلس وفزان وفرضها النظام الفدرالى الذى يرمى إلى إنشاء جهاز حكومى كامل يتألف من مجلس وزراء ومن برلمان فى كل من برقة وطرابلس وفزان ، فى حين أنها تعلم أن أغلبية السكان (ثلثى السكان على الأقل وهم سكان طرابلس) يمقتون الفدالية ويطالبون بالوحدة وإن أعضاء هـــذه الجمعية — وبعضهم لا يقرأ ولا يكتب وبقيتهم من ذوى الثقافة الابتدائية وجميعهم تنقصهم الخبرة بالحياة العامة ، فضلا عن طريقة اختيارهم وتعيينهم ، لا يمكن أن يوكل إليهم وضع دستور البلاد لأن ذلك لا يوكل إلا إلى جمعية نظامية يتمتع أعضاؤها بالحصانة .

(ﻫ) أن ممثلى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبرقة وفزان يعرقلون أعمال المجلس ويقللون من شأنه ، فمندوب فرنسا يرى أن بحث المجلس لأعمال لجنة الستين تدخل فى الشئون الداخلية لليبيا ، ومندوب بريطانيا يرى أن مهمة المجلس المراقبة ليس غير ، ومندوب أمريكا يرى ألا يعرض المجلس لشىء إلا بطلب من الجمعية الوطنية ، ومندوبا برقة وفزان يقولان أن الجمعية

الوطنية الحالية ليست فى حاجته إلى أية نصيحة . يرى المندوبون ذلك فى حين أن المندوب والمجلس موجودون لتنفيذ قرار الجمعية العامة ، وللعمل وفق ميثاق الأمم المتحدة ، والذى يتحدى رأيهما ونصيحتهما إنما يتحدى بذلك الجمعية العامة وميثاق الأمم المتحدة . إن هؤلاء المندوبين إنما يؤيدون تقسيم البلاد ويعاونون على فرض آراء الأقلية .

(٤) إن مندوب الأمم المتحدة أخل بالتزاماته الأوبية ووعوده التى قطعها على نفسه أمام الجمعيه العامة وخالف قرار الأمم المتحدة بقوله أن الجمعية الوطنية الحالية حرة فى قبول أو رفض النصيحة التى تصـــدر منه فى المجلس .

* * *

وقد وجد الاتجاه إلى الفدرالية وقرارات لجنه الستين معارضة قوية بين صفوف الطرابلسيين خاصة ، فقامت مظاهرات وحركات احتجاج أيام ٤ نوفمبر ، ٥ ديسمبر ، ١٩ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، ٢٣ يناير سنة ١٩٥١ وقدمت المذكرات إلى مندوب الأمم المتحدة ومجلس ليبيا ، واصطدم المتظاهرون بقوات البوليس .

وقد حدث ذلك كله برغم التضييق الشديد على الحريات الذى يتمثل فى قانونى المطبوعات ومنع الجرائم . فقانون المطبوعات وضعته إدارة الاحتلال بالتعاون مع المجلس الادارى فى طرابلس وينص على أن للسكرتير العام للادارة البريطانية الحق فى إيقاف الصحف عن الصدور دون الرجوع إلى حكم القضاء . وقانون منع الجرائم أصدرته حكومة طرابلس المحلية فى ٢٥ مارس سنه ١٩٥١ ويقضى بأخذ تعهدات بمبالغ معينه يحددها الحـكام وجاء فى المادة الخامسه منه أن ذلك ينطبق على أى شخص يسلك بطريقه يراها

كبير المتصرفين خطرا عن السلام والراحة العمومية بالتحريض على الازعاجات أو بإثارة العداء بين الشعب أو بين طبقات مختلفة من الناس ونص القانون على وجوب التبليغ عن محل الإقامة والحصول على تضريح بالانتقال من جهة إلى أخرى (١).

وقد عبرت بعض الاحزاب والهيئات التى لا تقر الأوضاع القائمة عن احتجاجها عليها فى اجتماعات عامة أو بمذكرات تقدمت بها إلى مندوب الأمم المتحدة ومجلس ليبيا الدولى والجامعة العربية، فجاء فى مذكرة للكتلة الوطنية الحرة إلى المجلس الدولى: «إن الأمور هنا تجرى فى غير مجراها الطبيعى الديمقراطى بما يجرى من تجاهل لارادة الأمة الليبية ورغبتها وذلك بإنشاء ثلاث حكومات إقليمية صورية تهيمن عليها حكومة إتحادية ليبية موهومة. زد على ذلك قيام ما يسمى بالجمعية الوطنية التأسيسية الليبية بصورة تتنافى وروح الدساتير الحرة والأنظمة الديموقراطية. إن جميع ماجرى من أوضاع فى تأسيس كيان دولتنا الليبية لاتعترف به الأمة وتستنكره وترفضه رفضا باتا ولا تقره بأى حال من الأحوال، وترى ذلك افتئاتا وتعديا على حقوق هذه الأمة الليبية. إن الشعب الليبى بمختلف طبقاته ورجاله يلقى المسئولية التامة عن عاتق المجلس الدولى ويراه المسئول الأول عن جميع ما جرى من عبث وفساد وتمزيق فى وحدتنا واستقلالنا (٢)».

وعقد المؤتمر الوطنى اجتماعا ضم ممثلى الأقاليم وقرر عدم الاعتراف بشرعية الجمعية التأسيسية ورفض الاعتراف بإنشاء حكومات ثلاث منفصلة فى برقة وطرابلس وفزان، وطلب إلى أعضاء المؤتمر فى تلك الحكومات والجمعية التأسيسية الانسحاب منها، وأكد المجتمعون التمسك بملكية السنوسى على

---

(١) طرابلس الغرب ٢٥ مارس سنة ١٩٥١.

(٢) لواء الحرية ١٦ أبريل سنة ١٩٥١.

ليبيا الموحدة وضرورة تنفيذ قرار الأمم المتحدة تنفيذا سليما .

واتجهت اللجنة الطرابلسية بخطاب مفتوح إلى السيد السنوسى قالت فيه « إن عدم معارضة سموكم لأعمال المستر بلت والمستعمرين وأنصارهم لايؤثر فى تصميم الشعب على السير فى طريق الوحده الاندماجية وعدم الاعتراف بهيئه الستين وأبطال قراراتها ، ويحملكم تبعه ما يعترض قضيته أو يسىء إلى استقلاله كما يحملكم تبعه كما ما يترتب على النظام الفدرالى من معاهدات واتفاقات ويعتبرها باطلة لأنها وقعت ممن لا يملكها ولا يملك الموافقه عليها »

وقد آزرت الدول العربيه الحركة الوطنية الليبية فلم تعترف بالأوضاع القائمه فى ليبيا ، واستنكر مندوبوها فى الأمم المتحدة أعمال دولتى الادارة ومندوب الأمم المتحدة . وطالبت بصيانه وحدة ليبيا واستقلالها وقيام الجمعيه الوطنيه على أساس الانتخاب والتمثيل النسبى للسكان .

وقد حاولت لجنه الستين أن تحول الدول العربية إلى الاعتراف بشرعيتها وتاييد الاتجاه الفدرالى الذى تعمل له ، فأرسلت وفداً من مفتى طرابلس رئيس الجمعيه التأسيسية وعمر شنيب عن برقه وأبو بكر أحمد عن فزان إلى القاهرة فى ٢٢ يناير سنة ١٩٥١ للاتصال باللجنة السياسية للجامعة العربية وقد استمعت إليه اللجنة ولكنها لم تأخذ برأيه وأصدرت اللجنة السياسية قراراً نشر فى ٢٢ مارس سنة ١٩٥١ جاء فيه :

« إن ما يجرى عليه العمل من اعتبار لجنة الستين جمعية وطنية لها الكلمة النهائية فى وضع الدستور الليبى على الرغم من أنها مؤلفة بطريقة التعيين والتساوى بين المناطق الثلاث من غير مراعاة لعدد سكان كل منها ، أمر يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة التى تنص صراحة على أن تكون الجمعية الوطنية ممثلة لسكان ليبيا تمثيلا صحيحا ، ويتنافى مع أبسط المبادىء الديموقراطية .

وترى اللجنة أن النظام الفدرالى الذى تتجه إليه لجنة الستين بتأثير السلطات الأجنبية ليس إلا عودة إلى تقسيم ليبيا الذى سبق أن رفضته الأمم المتحدة مؤيدة استقلال ليبيا ووحدتها وفقا لما تبينته من رغبات السكان ، هذه الرغبات التى تجلت فى كل وقت وبخاصة فى الوقت الحاضر على الرغم من كبت الحريات وضغط الشعور .

ولذلك تعلن اللجنة أن دول الجامعة العربية لا تعترف بلجنة الستين كجمعية وطنية لليبيا . ولا بالنظام الفدرالى أساسا للدستور الليبى ، وتدعو مندوب هيئة الأمم والمجلس الاستشارى فى ليبيا إلى العدول عن هذه الخطة واحترام المبادىء الديموقراطية ، وقرارات الأمم المتحدة ، وتحمل المندوب والمجلس والسلطات الأجنبية تبعة تشويه قرارات الأمم المتحدة وتعطيلها على النحو المشار إليه » .

الأسكندرية فى يونية ١٩٥١ — السيد محمود الشنيطى

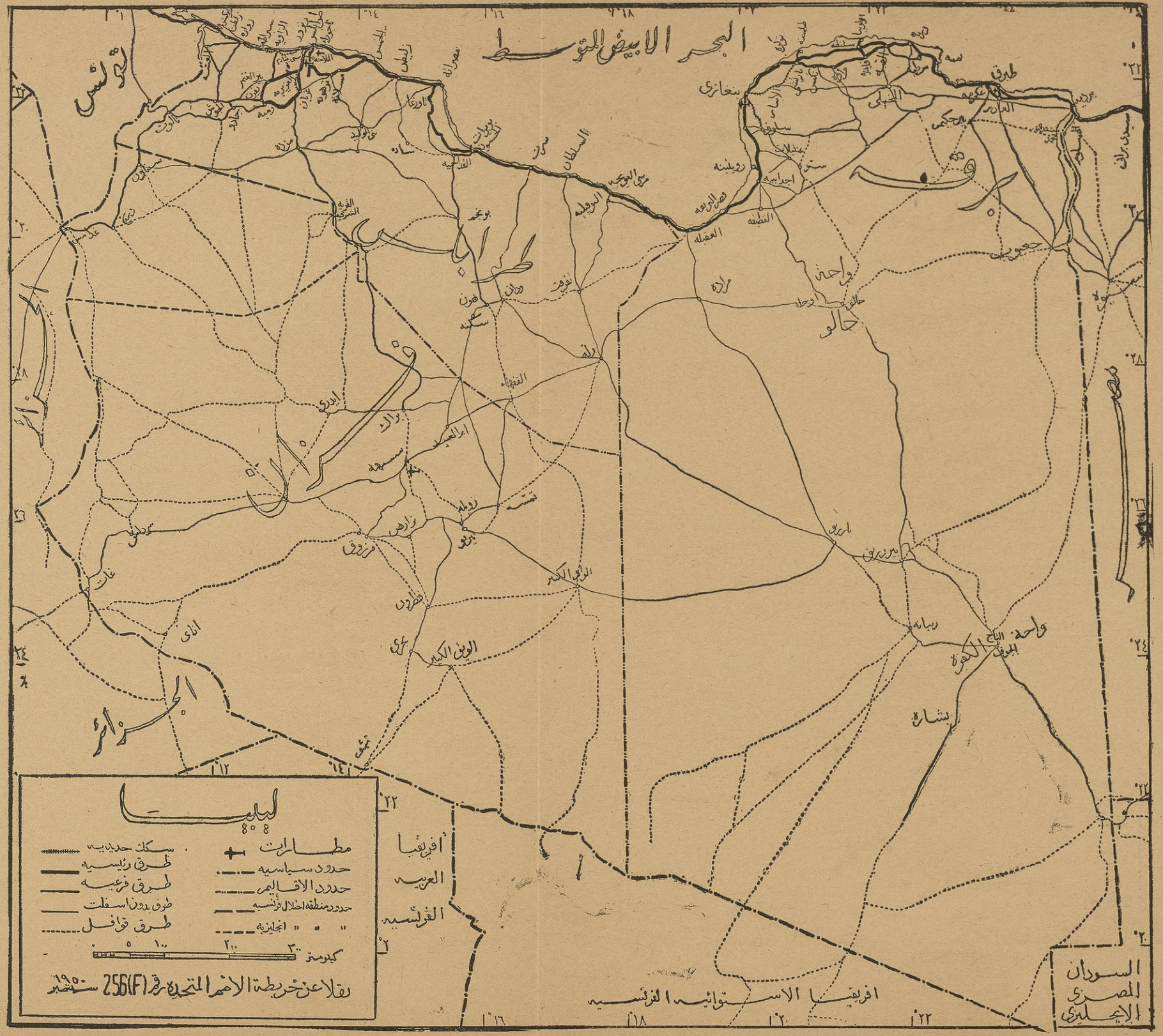

البحر الابيض المتوسط
تونس
الجزائر
طرابلس
بنغازي
طبرق
بردية
سيدي براني
جغبوب
واحة
جالو
مرادة
العقيلة
القطيفة
اجدابية
ستوة
سلوق
بوبخم
القداحية
مزدة
غدامس
سبها
مرزوق
تمسة
الواو الكبير
الويق الكبير
بشارة
واحة الكفرة
افريقيا العربية الفرنسية
افريقيا الاستوائية الفرنسية
السودان المصري الانجليزي
ليبيا
مطارات
حدود سياسية
حدود الاقاليم
حدود منطقة احتلال فرنسية
" " انجليزية
سكك حديدية
طرق رئيسية
طرق فرعية
طرق بدون اسفلت
طرق قوافل
كيلومتر
نقلا عن خريطة الامم المتحدة رقم 256(F) سبتمبر ١٩٥٠

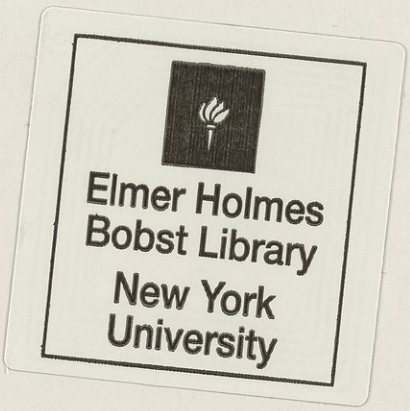
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NYU - BOBST
31142 04175 5748
DT235 .S5 1951
Qa´¿iyat L